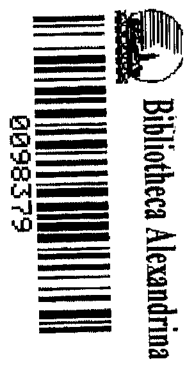




الجزء الثاني



المملكة الأردنية الهاشمية وفلسطين

المملكة العربية السعودية

الجمهورية العربية السورية



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

المعالم الأثرية

في

البلاد العربية

الجزء الثاني

المملكة الأردنية الهاشمية وفلسطين

المملكة العربية السعودية

الجمهورية العربية السورية

مقدمة

يسر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أن تقدم الجزء الثانى من كتاب « المعالم الأثرية فى البلاد العربية » ، الذى صدر جزؤه من قبل مشتملا على آثار الجمهورية العراقية والجمهورية العربية اليمنية .

ويشتمل هذا الجزء الثانى على آثار ثلاث دول من الدول العربية هى : المملكة الأردنية الهاشمية وفلسطين المملكة العربية السعودية ــ الجمهورية العربية السورية .

اما آثار الدول العربية الأخرى ، فستصدر تباعا فى اجزاء تالية برهانا ماديا على الوحدة التاريخية والحضارية للوطن العربى .

ولقد نبتت فكرة اصدار هذا الكتاب ، فى الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، فى عام ١٩٥٦ ، ثم تثبتت جذورها بعد المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية الذى عقد فى تونس فى مايو ١٩٦٣ ، وتناول هذه الفكرة بالمناقشة ضمن جدول اعماله ، واتخذ التوصية التالية التى أقرها المجلس

((يوافق المؤتمر على وضع كتاب عن ((المعالم الأثرية فى البلاد العربية » ينشر باللغة العربيه ، و يترجم أيضا الى اللغات الأجنبية الحية)) .

وجاء المؤتمر الخامس للآثار الذى عقد فى القاهرة فى مايو ١٩٦٩ ، ليعطى مشروع هذا الكتاب دفعة قوية ، ذللت كثيرا من العقبات التى أبطأت به حتى ذلك الحين ، اذ أصدر توصية ناشد فيها الدول العربية ضرورة الاسراع فى موافاة الادارة الثقافية بالمادة العلمية عن آثارها ، وفقا المنهاج الذى تقرر لتأليف هذه المادة .

وهكذا أمكن البدء فى نشر هذا الكتاب ، للتعريف بالحضارة العربية ، داخل الوطن العربى وخارجه ، باعتبار ذلك خدمة ثقافية محضة ، وباعتباره — فى الوقت نفسه — خدمة للمصلحة العربية العليا ، أخذا بكل اسباب الانتصار لقضايانا فى عصر أصبح يفرض على أصحاب القضايا العادلة ، الأخذ بكل الوسائل ، بلوغا الى نصرتها .

ونعتقد أن هذا الكتاب ، الذى بين ايدينا جـزءه الثانى ، سيحقق الكثير فى هذه الناحية ، اذ يطالع فيه المواطن آثار امته ، فيتجدد اعتزازه بذاته ، وثقته بنفسه ،وهما أساسان للنصر لا غنى عنهما .

ثم يقرأه الأجنبى بلغته ،بعد ان يترجم — وهو ما ستشرع فيه المنظمة العربية باذن الله تعالى — فيقف على حقيقة هذه الأمة ، ويقر بدورها الطبيعى فى بناء الحضارة الانسانية ، ويزداد يقينا ، أو يستيقن من بعد شك بأن امة هذا شأنها ، جديرة بالاحترام ، قادرة — بمالها من ملكات — على اشادة صرح حضارة جديدة ، كما شيدت أصول الحضارات السابقة ؛ وبذلك يمكن المعاونة ، فى استقطاب قطاعات فى الرأى العام العالمى — شيئا فشيئا — الى صف قضايانا العادلة . فى وقت أصبح لهذا الراى ، فى ميزان السياسة العالمية ، كفة راجحة .

والله تعالى هو نعم المسئول ، وبه التوفيق

مارس سنة ١٩٧٢

المدير العام للمنظمة

الدكتور عبد العزيز السيد

محتويات الكتاب

ثالثا : المعالم الاثرية فى الجمهورية العربية السورية :

موجز فى آثار سورية العربية ومتاحفها :

موضـــوع	رقم الصفحة

الشركة المصرية للطباعة
(حسن مدكور وأولاده)
٣ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
ت : ٥١٥٧١ - ٦٥٧١ - ٩٠

المعالم الأثرية

في

المملكة الأردنية الهاشمية

المناطق الأثرية فى المملكة الأردنية الهاشمية ★

عرض عام

فى نحو الألف الثالث ق.م تدفقت قبائل الكنعانيين الخارجة من الجزيرة العربية الى البلاد المعروفة اليوم ببلاد فلسطين ، وزاولت أعمالها فيها من ضرع وزرع وبنت مساكنها فى السهول والأغوار من المدر وفى الجبال من الحجر ، ولقد عرفت الكلس « الشيد » من حرق الحجر واستخدمته فى تطيين وقصارة الآبار التى بدأت تجمع فيها ماء المطر • وأهم ما قدمه الكنعانى للحضارة هو استعمال الدولاب فى صنع الأوانى الخزفية • وفى منتصف القرن الخامس عشر تعرضت للفتح المصرى ، ذلك الفتح الذى كان يكتفى برهائن من أبناء الأمراء وبجزية سنوية مما تنتجه الأرض • وهكذا اقتبست كنعان أنواعاً من الحضارة المصرية نجدها فى مخلفات العصر البرنزى • ولما ضعفت حكومة مصر بسبب الانقلابات الدينية والثورات السياسية اضمحل سلطانها فى كنعان ولم يستطع دفع غزو الخابيرو والسوتى القادم من البادية فى الشرق ولا حماية البلاد من غزو الفلسطينيين القادمين من البحر الكبير • وهكذا أصبح فى كنعان ثلاثة شعوب هم الكنعانيون أصحاب البلاد الأصليون والخابيرو غزاة البر والفلسطينيون غزاة البحر • وقد يكون الاسرائيليون هم من نسل أولائك الخابيرو ولا سيما عندما طردوا من مصر فى منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد •

وبعد أن عاش الاسرائيليون حقبة فى مصر متمتعين بعطف حكامها من أقاربهم الرعاة (الهيكسوس) حتى اذا قام الثائر المصرى أحمس وقضى على حكم الرعاة وقع الاسرائيليون تحت الاضطهاد والتسخير فى مصر الى أن أخرجهم منها موسى واجتاز بهم البرية ووصل بهم الى كنعان • وعندما خلفه يشوع نفذ سياسة الغزو والابادة والافناء • بدأ ذلك بأريحا أول مدينة كنعانية غربى نهر الأردن فأحرقها وقتل سكانها وذبح العجماوات دون شفقة ثم تقدم نحو الغرب يقوم بمثل هذه الفظائع • نعم لقد هدموا

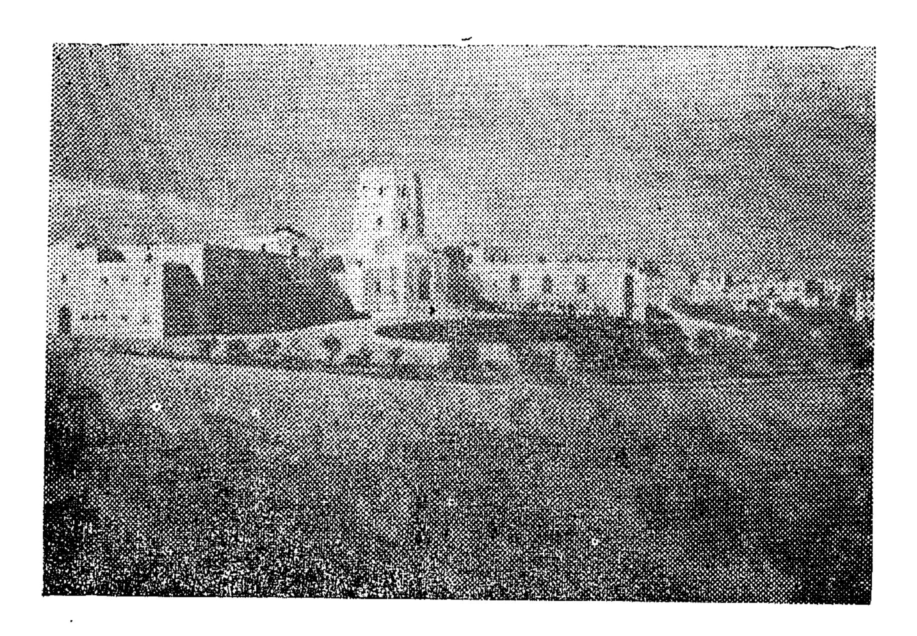
★ بقلم الأستاذ محمود العابدي ــ مساعد مدير الآثار سابقا •

المدن وقضوا على الحضارة وأهلكوا السكان فى حرب استمرت نحو ثلاث مئة سنة حتى استطاعوا أن يقيموا لهم مملكة هزيلة لم تترك من الآثار سوى ذكرى هيكل سليمان فى القدس الذى بناه له الفينيقيون وقد هدمه نبوخذ نصر البابلى سنة ٥٨٦ ق.م .

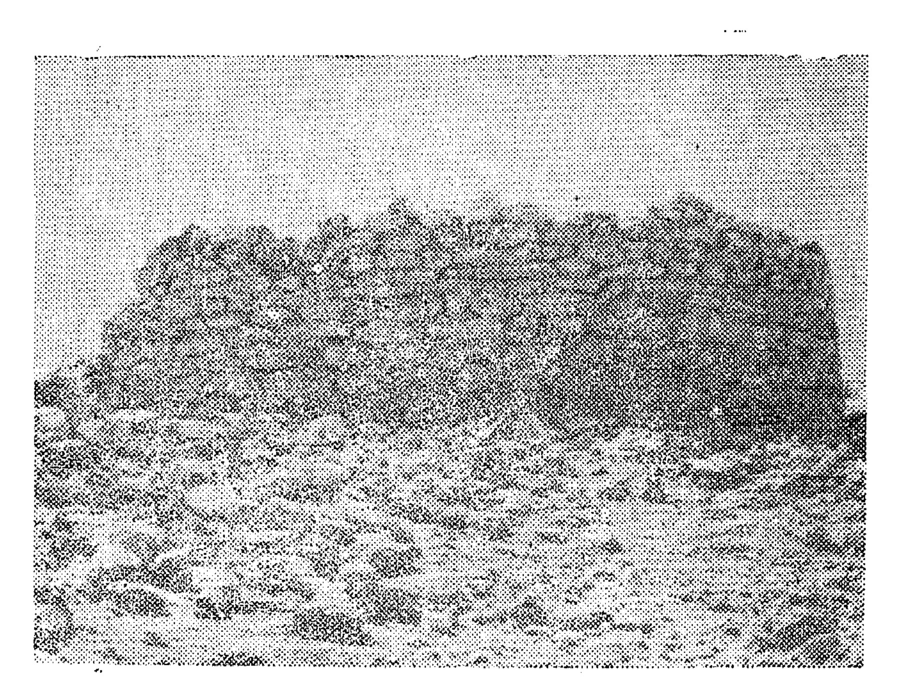
أما شرقى الأردن فقد تعرض للموجة العمورية التى أنشأت فيه ممالك صغيرة تفصل بينها الأنهار والوديان ، واشتهر منها أدوم ومؤاب وعمون وقد تعرضت هذه الممالك للغزو الاسرائيلى الا ان أدوم استطاعت بقوتها ان تدرأ عنها ذلك الخطر كما لم يبق الاسرائيليون طويلا فى مؤاب وعمون فى طريقهم الى كنعان التى زعموا أن الله وعدهم بها . وأهم ما ترك العموريون فى شرقى الأردن هذه الأنصاب التى لا نزال نشاهدها ، لتكون مقابر للعظماء ومواضع لتقديم القرابين ، ثم نشأت حولها بعض البيع والصوامع للعبادة . وكذلك هذه الرجوم التى جعلتها أمكنة للدفاع والمراقبة ولا نزال نراها تحيط بمدينة عمان الحالية وأشهرها رجم الملفوف (لوحة رقم ٢) .

كان الاسرائيليون فى فلسطين كلما شعروا بضعف العموريين فى شرق الأردن هاجموهم وحاولوا الاستيلاء على بلادهم . وخير شاهد على ذلك الحجر المؤابى الذى اكتشف فى بلدة ذيبان احدى عواصم مؤاب وتقع على بعد ٦٠ كم للجنوب من عمان وهذا الحجر موجود الآن فى متحف اللوفر فى باريس وقد نصبه ميشع ملك مؤاب وسجل عليه بالحرف الفينيقى واللهجة المؤابية انتصاره على ملوك اسرائيل نحو سنة ٨٥٠ ق.م .

نشأت الامبراطورية الآشورية فى ما بين النهرين على حب التوسع وهكذا اجتاحت بلاد الشام الى أن وصل جيشها الى البحر المتوسط ودخلت فى حكمها شرقى الأردن وفلسطين . ولقد أصبحت السجلات الآشورية من الوثائق المهمة فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد كما كانت رسائل تل العمارنة وثائق خطيرة فى تاريخ البلاد فى القرنين الرابع عشر قبل الميلاد . ولقد خلف الآشوريين فى امبراطوريتهم حكومة بابل الثانية التى اشتهر من ملوكها نبوخذ نصر الذى هدم الهيكل فى القدس وسبى اليهود الى بابل .



اللوحة رقم ١ ـ المتحف الأثرى الفلسطينى بالقدس



اللوحة رقم ٢ ـ رجم الملفوف فى عمان

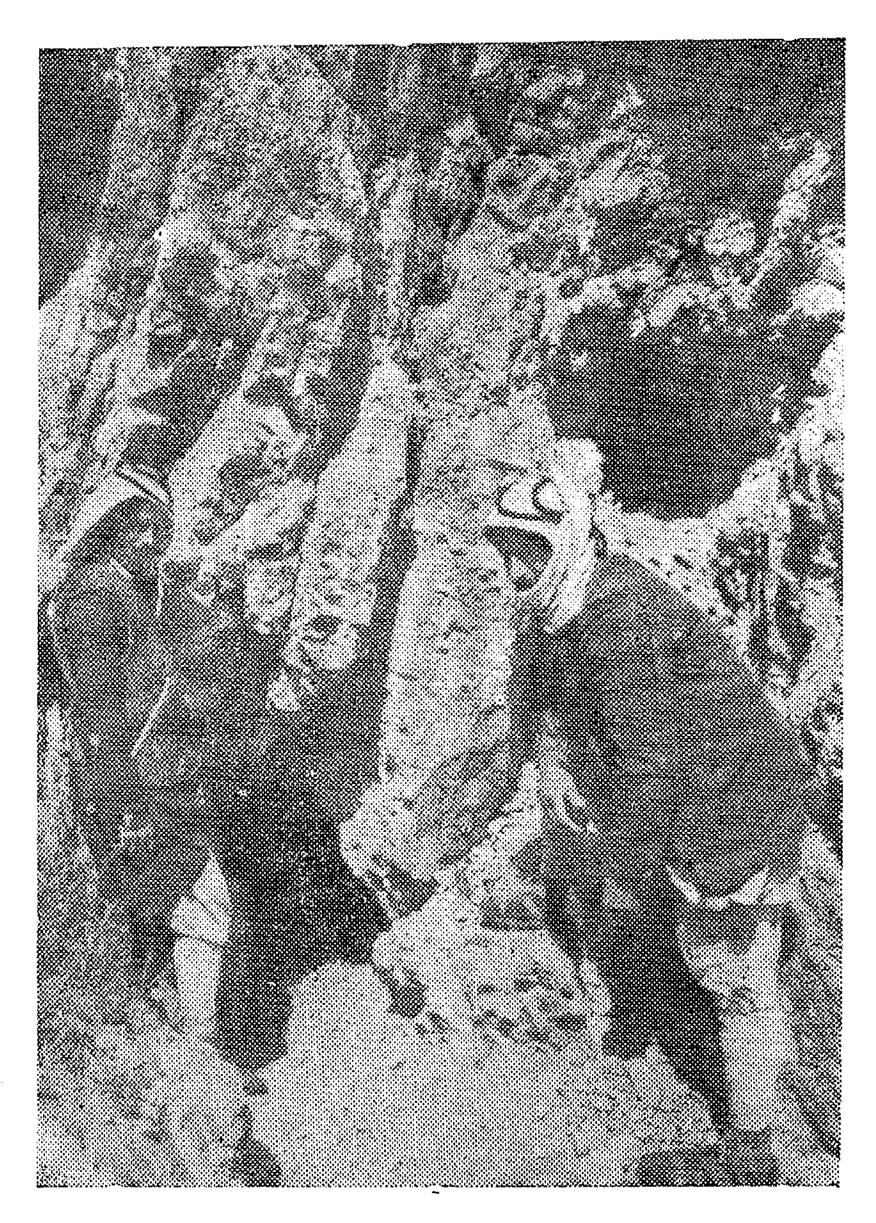
فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد نشأت حكومة فارس بزعامة مليكها قورش الذى فتح هذه البلاد وظل خلفاؤه يحكمونها حتى غلبهم على حكمها الاسكندر الأكبر فى نحو سنة ٣٣١ ق٠م ، وعندما توفى وتقاسم خلفاؤه امبراطوريته كانت هذه البلاد كالكرة تتقاذفها حكومة السلاقسة فى سورية وحكومة البطالسة فى مصر • ولقد حاول الحكم اليونانى فى هذه البلاد مزج الشرق بالغرب عن طريق توحيد الثقافة ونشر الحضارة الهلينية فى هذه البلاد ولذلك أوجدوا فى كل مدينة قديمة حياً جديداً مناسباً لسكنى الجوالى اليونانية • كما أنشأوا فى الداخل عشر مدن وهى المعروفة بالديكابولس وتنتشر من بيسان فى غربى الأردن بشكل أصابع اليد فى شرقى الأردن حتى يصل الابهام الى دمشق فى سورية ، وكان أهل البلاد ينظرون اليها نظرة عداء ولم يتركوا فرصة حتى هاجموها فيها الى أن شكلت حلفا فيما بينها حتى وصل أقصاها فى الجنوب الى العقبة وكأنها جدار يصد غزو قبائل البادية من المشرق •

قمران ومخطوطات البحر الميت

عندما رجع اليهود من السبى البابلى أخلصوا للحكم الفارسى ثم للحكم اليونانى حتى قام من ملوك اليونان من ضغط عليهم وتعرض لدينهم وعاداتهم فثاروا بقيادة سمعان المكابى وأوجدوا امارة مكابية صغيرة • ولكنهم فى هذه الأثناء نشأت بينهم فرق وطوائف متعادية متخاصمة اشتهر منها فرقة الأسينيين التى أخذت تتشدد فى تطبيق شريعة موسى التى أخذها من يهوه • وهذا التشدد لم يعجب كهنة الهيكل فطردوهم من القدس وخرجوا نحو الشرق الى أن أوصلوا الى البرية التى تحيط بالبحر الميت من جهة الغرب وسكنوا فى كهوفها يزاولون العبادة حسب طقوسهم الى أن ضاقت بهم فبنوا قرية على مرتفع يشرف على البحر الميت وجعلوها مجمعاً لهم يعيشون فيها معيشة الزهد الى أن اقترب منهم الجيش الرومانى الذى جاء ليخمد ثورة اليهود فى القدس سنة ٦٦ م فخافوا على أعز ما لديهم وهى كتبهم المقدسة والتى كانت مكتوبة على جلود الغنم فلفوها بكل عناية فى خرق من الكتان وأودعوها فى جرار

فخاريه ثم أخفوها فى الكهوف الواقعـة فى الغرب من قمران وهم يأملون أنهم سيعودون اليها ويسترجعونها • ولكن الجيش الرومانى أبادهم عن بكرة أبيهم وظلت اثارهم نائمة حتى أيقظهـا راع بدوى من عشـيرة التعـامرة التى تضرب خيامها بين بيت لحم والبحر الميت وتفصيل ذلك :

فى ربيع ١٩٤٧ وبينما كان الراعى التعمرى محمد الذيب يبحث عن معزاه الضـالة دخل كهفاً فى منطقة قمران (اللوحة رقم ٣) فوجد فيه عدة جرار ، وقد حطمها كلها آملا أن يجد فيها كنوزا ذهبية وما أشد خيبته عندما وجد فى احداها سبعة ملفات تنبعث منهـا روائح غريبـة فأخذها الى رجل يتعامل بالعـاديات ويقيم فى مدينـة بيت لحم • وقـد حملها هـذا بدوره الى رئيس طائفته ـ مطران السريان فى القدس • وبعـد أن عرضـها المطران على كثـير من العلماء الذين اعتـادوا زيارته فى ابرشيته حملهـا الى الجامعة العبرية على جبل الطور فى القدس فأكبوا على تصـويرها ودراسـتها وتيقنوا أنهـا بعض أسفار التوراة فاشتروا أربعة منهـا واعتذروا عن الثـلاثة الباقيـة لعدم توفر المخصصـات وأسرع المطران ـ الذى أغراه المبـلغ الضـخم الذى قبضـه ثمن الملفات الأربعة ـ الى المدرسـة الأميركية للأبحاث الشرقية فى القدس وبعـد أن درسها من حضر من علمائها نصحوه أن يسافر بها الى الولايات المتحدة • وفعلا هربها عبر سوريا ولبنان الى جامعة جون هوبكنز حيث وضعها بين يدى البروفيسور أولبرايت الذى يعتبر أكبر الثقات الأحياء فى الآثار الفلسطينية • وبعد التعمق فى دراستها تأكد أنها نسخة كاملة من سفر أشعيا ـ ذلك السفر الذى فيه فراغات كثيرة فى التوراة المتداولة بين أيدى الناس فى هذه الأيام • وهنا تجسمت له أهمية هـذا الاكتشاف • وحتى يستطيع تقدير التاريخ الذى كتبت فيـه هـذه المخطوطات أرسـل جذاذات من طرف جلدها وكتانها لمعهد الأبحاث الذرية فى شيكاغو • وهناك أثبت فحصها بالاشعاع الكربونى رقم ١٤ بأنهـا كتبت فى تاريخ يتراوح بين ١٠٠ ق.م و ١٠٠ ب.م . وهـذا يعنى أنها تسبق التوراة الحالية بنحو ١٠٠٠ سنة • اذالمعلوم ان أقدم توراة بين يدى الناس تعود الى سنة ٩١٦ م وهى مترجمة عن الترجمة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية • وهذا فضل آخر لتوراة قمران المكتوبة بلغتها العبرية الأصلية •



اللوحة رقم ٣ ـ محمد الديب ورفيقه أمام الكهف الأول فى قمران
حيث وجد المخطوطات

لقد حملت أسلاك البرق هذا النبأ الذى هز الدوائر العلمية هزاً عنيفاً وصل صداه الى فلسطين فى أواخر ١٩٤٨ عندما كانت نيران الحرب مشتعلة فيها بين العرب واليهود وكان من المستحيل البحث عنها • وظل الأمر كذلك الى السنة التالية عندما استطاع مدير آثار الأردنوبمساعدة مدير مدرسة التوراة للأبحاث الأثرية التابعة لدير الدومنيكان فى القدس وبالاشتراك مع السيد يوسف سعد من موظفى المتحف الأثرى بالقدس ـ تمكنوا بمساعدة أحد رجال الجيش العربى من معرفة الكهف الذى وجدت فيه المخطوطات السبع • وقد استطاعوا أن يجمعوا من هذا الكهف بقايا وجذاذات وقطعاً من القماش تقاسموها مثالثة فيما بينهم •

وفى سنة ١٩٥٢ اكتشف فى كهف ملف من نحاس فتح فى كلية الهندسة فى جامعة منشستر وقرأ ما حفر عليه فاذا هو نبأ عن أدوات ثمينة من خشب الأبنوس والفضة والذهب دفنت فى مكان ضاعت أوصافه فى هذا اليوم واذا وزنت هذه الموجودات بميزان اليوم قدرت بمئتى طن من الذهب والفضة • وبعد سنتين اكتشف الكهف الرابع الذى ألقى فيه الأسينيون مخطوطاتهم باستعجال عندما وصلت اليهم طلائع الكتائب الرومانية ولذلك تعرضت الى التلف البالغ • ومع ذلك جمعت منها كمية كبيرة تملأ خزائن المتحف الفلسطينى بالقدس •

وضعت هذه المخطوطات فى المتحف الفلسطينى تحت دراسة يقوم بها نفر من علماء الدراسات التوراتية وقد أصدروا ثلاثة مجلدات عن هذه الدراسة ـ بالاضافة الى المجلد الذى صدر عن الملفات السبعة الأولى الموجودة فى اسرائيل • وهذه خلاصة عن تلك الدراسات :

١ ـ معظم الموجودات أسفارا وأجزاء من أسفار نستطيع أن نجمع منها توراة كاملة ـ باستثناء سفر استير •

٢ ـ تفاسير وشروح على سفر حبقوق •

٣ ـ مخطوطة كاملة من سفر لامك كتبت باللغة الآرامية •

٤ ـ النظام الخاص بطائفة الأسينيين الذى كانت تتقيد به ومنه عرفنا

انهم حرموا الزواج فعاشوا رجالا فقط وحرموا الملكية الشخصية ، فاذا انضم اليهم عضو جديد تنازل عما يملك الى الجماعة . وانهم كانوا يجتمعون فى جامع واحد للوضوء والصلاة أولا وللطعام جماعة ولنسخ الأسفار المقدسة ثالثا • وكان الماء أكثر شيء يحرصون على جمعه فى صهاريج خربة قمران • وكانوا يتعاطون الزراعه ولا سيما حول مزرعتهم فى عين الفشخة المجنوب من قمران • وان أعظم صناعتين زاولوهما هما صناعة الفخار ودبغ الجلود •

٥ - لقد كتبت هذه المخطوطات على جلود المعزى بالقلم والحبر ومعظمها باللغة العبرية •

٦ - جزء قليل منها فى متحف اللوفر بباريس وجزء قليل فى متحف عمان مع الملف النحاسى • وفى القسم المحتل من فلسطين يملك اليهود الملفات السبعة الأولى • أما باقى الكميات الكبرى فانها فى المتحف الفلسطينى فى القدس العربية • ويتقاطر الزوار لمشاهدتها كل يوم • وكلها ملك لدائرة الآثار الأردنية • وقد سمحت بعرض مزمور كبير فى متاحف الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا مع بعض قطع الكتان والأوانى الفخارية والنقود المعاصرة • وقد اعتبرت تلك الدول هذا العمل أكرم عطاء قدمته الأردن لبلادها بأن أتاحت لجماهير شعوبها مشاهدة أثر نفيس طالما حلموا برؤيته (اللوحة رقم ٤) •

العهد الرومانى

فى سنة ٦٣ ق.م . هزم القائد الرومانى بومباى جيوش السوقيين اليونان من بلاد الشام ودخل القدس ظافراً وجعل فلسطين ولاية رومانية ولما أدرك أهمية المدن اليونانية فى هذه البلاد أمر بانعاشها وتجديد حياتها حتى تقوم بعملين عظيمين هما الوقوف فى وجه رجال البادية أولا والاستمرار فى نشر الحضارة الهيلانية التى كان الرومان يحبونها ويقدرونها • ولقد اشتهر من هذه المدن :

أ - فيلادليفيا (ربة عمون) :

لقد التجأ داود الى ملك عمون من غضب سلفه الملك شاؤول • ولكن

اللوحة رقم ٤ — من مخطوطات قمران

داوود عندما أصبح ملكا على اسرائيل أخذ يتحرش بملك عمون ويختلق الأسباب الموجبة لقتاله والاستيلاء على مملكته بدلا من الاعتراف بجميله • لهذا أرسل جيشه فاشتبك مع العمونيين فى ربتهم العليا حيث قتل حامل علم جيشه « أوريا الحثى » ولم يطل رضوخ عمون لاسرائيل ولكنها بعد مدة وقعت تحت حكم آشور وبابل واليونان• وقد عرف قيمتها بطليموس فيلادلفوس الثانى ملك مصر اليونانى « ٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م. » فأغدق عليها انعامه وغمرها بمساعداته • ولقد أظهرت بلدية عمون امتنانها فأطلق عليها اسمه وأصبحت تعرف بفيلادلفيا • ومن أهم آثارها :

(١) الحمام (أو سبيل الحوريات) الذى ما زال واقفا بشكل برجين مستديرين على سيل عمان وقد كان فيه حمامات ساخنة وبرك باردة للسباحة وكان مترفو فيلادلفيا يتخذونه نادياً ومجتمعا للتسلية ولبحث أمورهم المختلفة • ثم تحول قسم منه فيما بعد الى كنيسة مسيحية كما تحول قسم آخر الى خان للتجار ودوابهم (لوحة رقم ٥) •

٢ - المدرج أقيم سنة ١٠٦ م على أنقاض مدرج يونانى قديم واستمر العمل فيه والزيادة عليه كلما زاد عدد سكان فيلادلفيا حتى اكتمل نحو سنة ١٣٠ م وكتب على عتباته العليا هذا التاريخ بمناسبة زيارة الامبراطور هدريان • يتألف المدرج من ثلاث مرتبات فى كل مرتبة ١٥ صفاً من الأدراج والكراسى بحيث تتسع الـ ٤٥ صفا من المقاعد لنحو ثمانية آلاف متفرج وعلى جوانبه وتحت أدراجه بنيت الأقبية التى كانت مخصصة لدخول المتفرجين وخروجهم كما خصصت الأقبية السفلى لتغيير ملابس الممثلين والمصارعين والموسيقيين وفى أسفله الساحة ويقف خلفها المسرح الذى كانت تجرى عليه الاحتفالات المنوعة من تمثيل وغناء وموسيقى ورقص وصراع • أما فى أيام الشتاء فقد كانت الحفلات تجرى فى الملهى المسقوف والملاصق للمدرج وبجانب فندق فيلادلفيا الحديث وكانت أمام المدرج الساحة العامة(اللوحة رقم٦)

٣ - آثار القلعة : تشغل هذه الآثار بسطة طولها ٩٠٠ متر ومتوسط عرضها ٤٠٠ متر وتشرف على المدينة السفلى التى كانت تسمى مدينة المياه • وأهم آثار القلعة :

هيكل هركليوس الضخم والذى لم يبق منه الا المداميك السفلى المحيطة بالصخرة التى بنى عليها كما بقيت بعض أجزاء الأعمدة والعتبات العليا التى كتب عليها ان هذا الهيكل المكرس لعبادة الشمس بنى فى زمن الامبراطور ماركوس أوريليوس نحو سنة ١٦٠ م (اللوحة رقم ٧) •

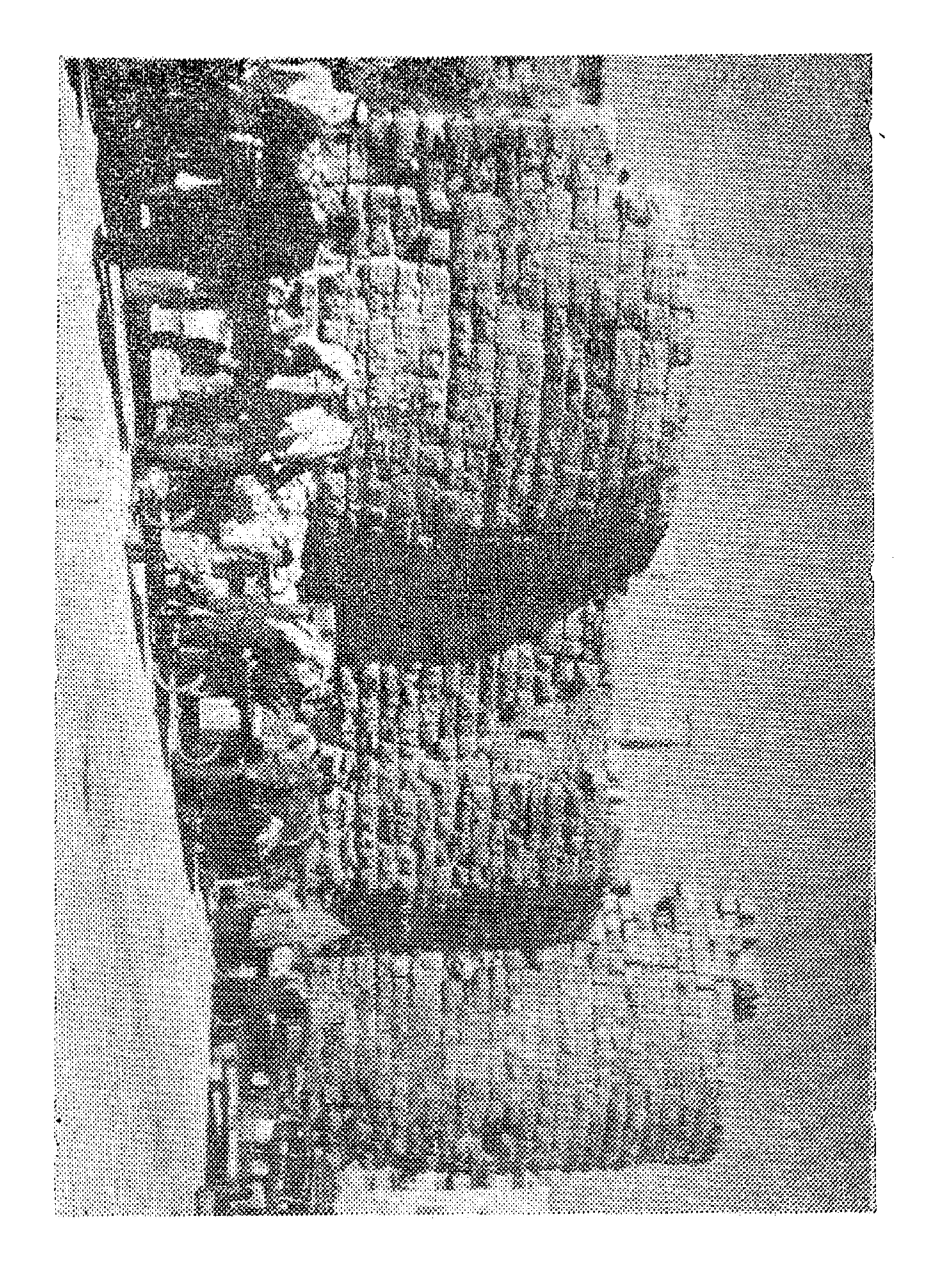
هيكل الزهرة « فينوس » فى الزاوية الشمالية الغربية والذى لا تزال واجهاته الخارجية قائمة ويظهر فى نوافذها قرص الشمس • وقد تحول جزء منها فيما بعد الى كنيسة مسيحية كما تحول جزء آخر الى مسجد اسلامى فى العهد الأموى لم نبق منه الا قواعد الدعائم • وفى أثناء الحروب الصليبية تحول هذا الهيكل الى ثكنة عسكرية أقام فيها جنود صلاح الدين مدة طويلة• (اللوحة رقم ٨) •

القصر العربى والبعض يسميه الساسانى أو الغسانى فقد بنيت قواعده على الطراز الرومانى وأضيفت اليه زيادات فارسية أما زخارفه من الداخل ونوافذه فعربية صرفة • وهى تتألف من مربع احتلت زواياه الأربع أربع غرف وبقى وسطه بشكل صليب وكانت تغطيه قبة هدمتها الزلازل (اللوحة رقم ٩) •

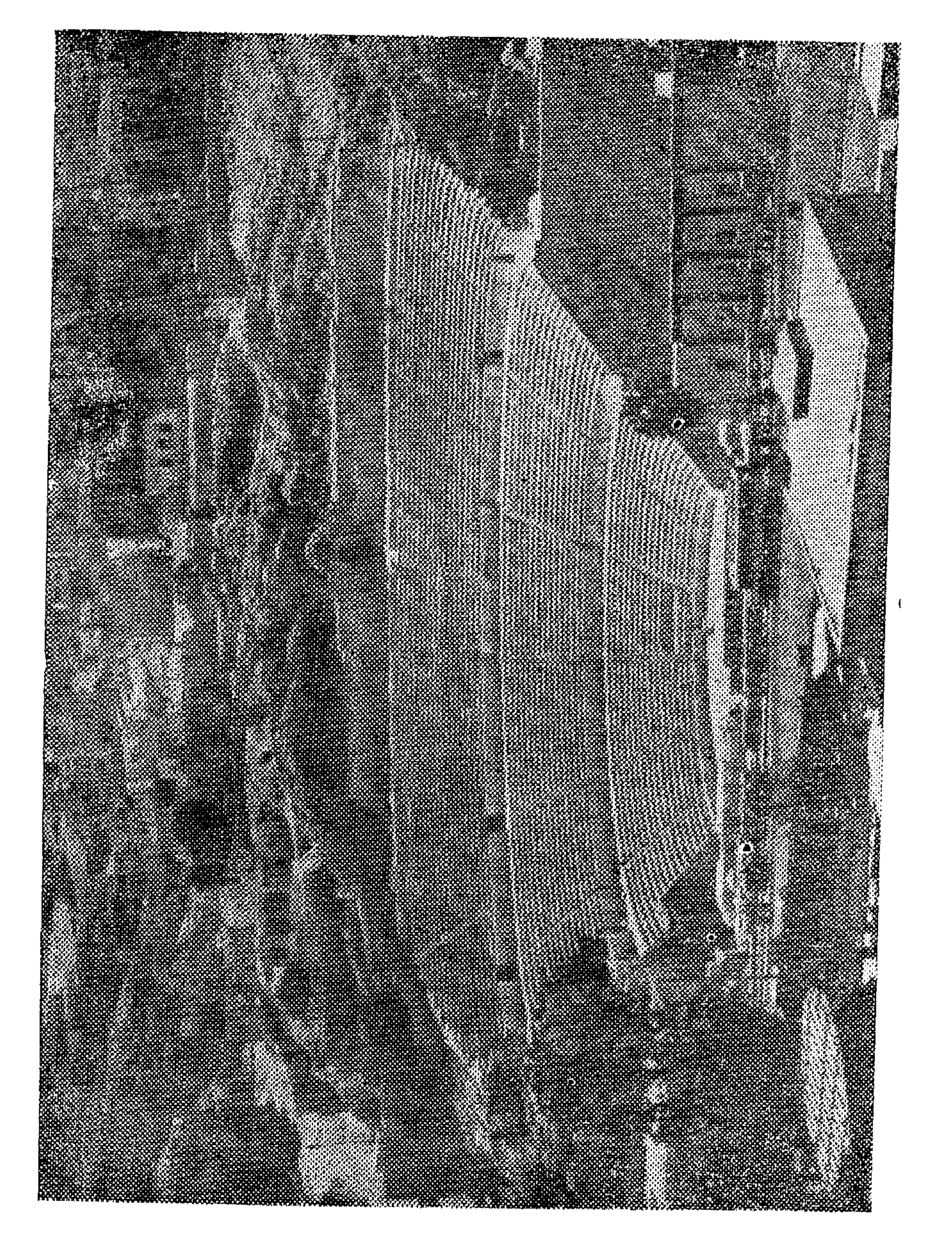
اذا غادرناه نحو الشمال أتينا الى بركة مستديرة كانت تمتلىء من ماء المطر لسقاية الخيل وللشمال منها كنيسة بيزنطية على الطراز الباسيليكى •

ويحيط بالقلعة سور رومانى أوضح ما فيه الزاوية الشمالية الغربية وقد بنيت وكأنها مدرجة وفى العصور المتأخرة أضيفت اليها القصارة بالطين حتى لا يتسلق الأعداء على الدرجات الضيقة وعلى جوانب هذا السور أبراج لم يبق منها قائما الا المطل على السيل • وخارج السور الغربى صهريج واسع جدا كان يكفى سكان القلعة أيام الحصار •

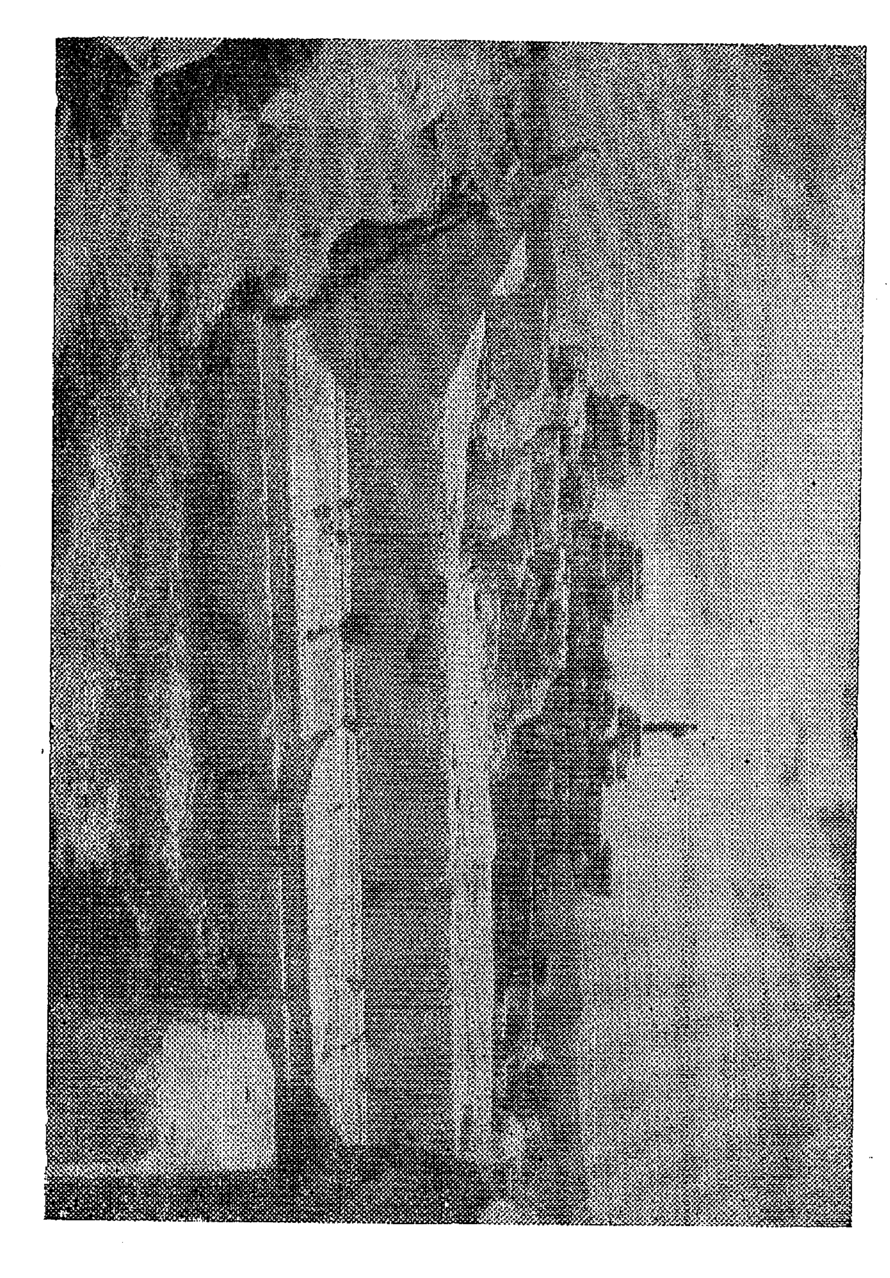
لقد فتح يزيد بن أبى سفيان مدينة عمان سنة ١٣ للهجرة واستمرت زاهية الى أن خربتها الزلازل والحروب حتى جاءها مهاجروا الجركس واستوطنوها سنة ١٨٧٨ وفى سنة ١٩٢١ أصبحت عاصمة أمارة شرقي الأردن



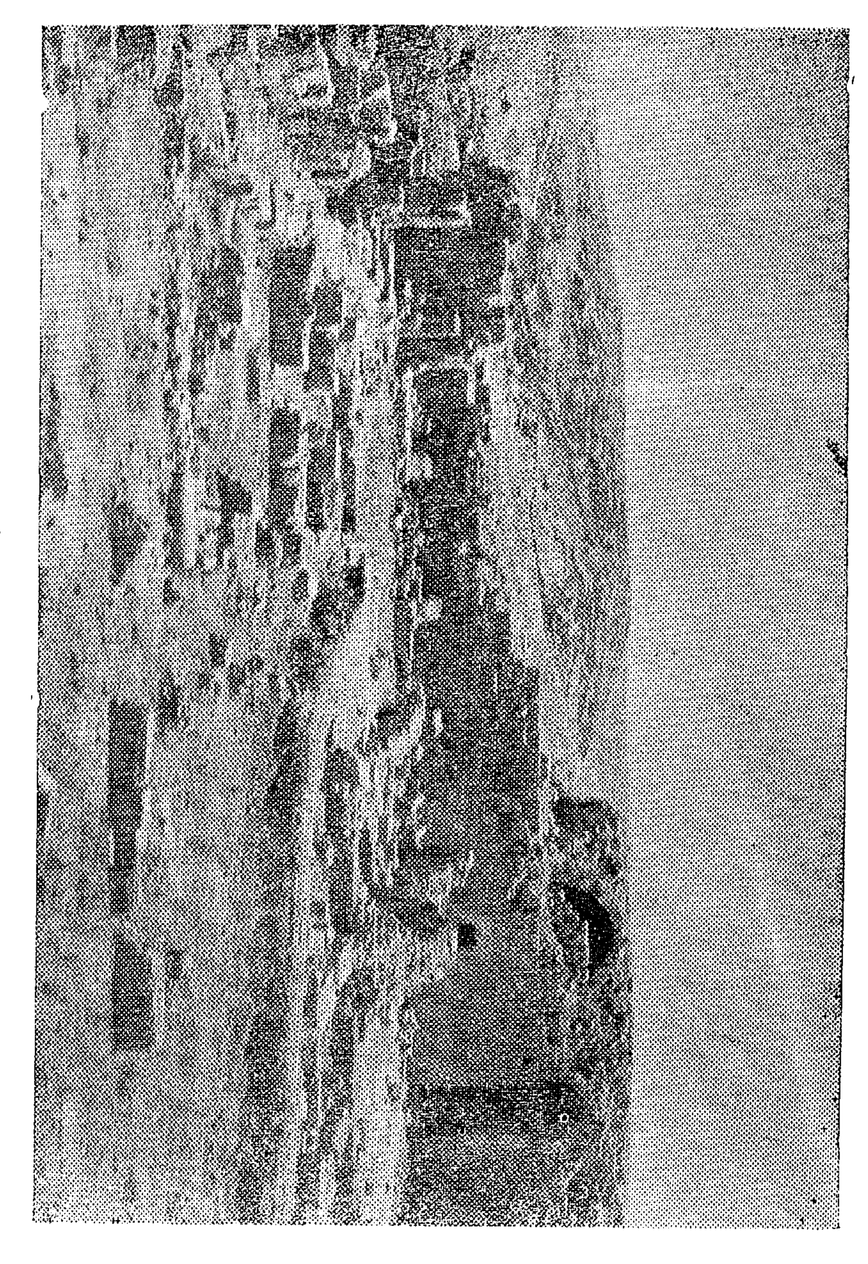
اللوحة رقم ٥ ـ الحمامات الرومانية



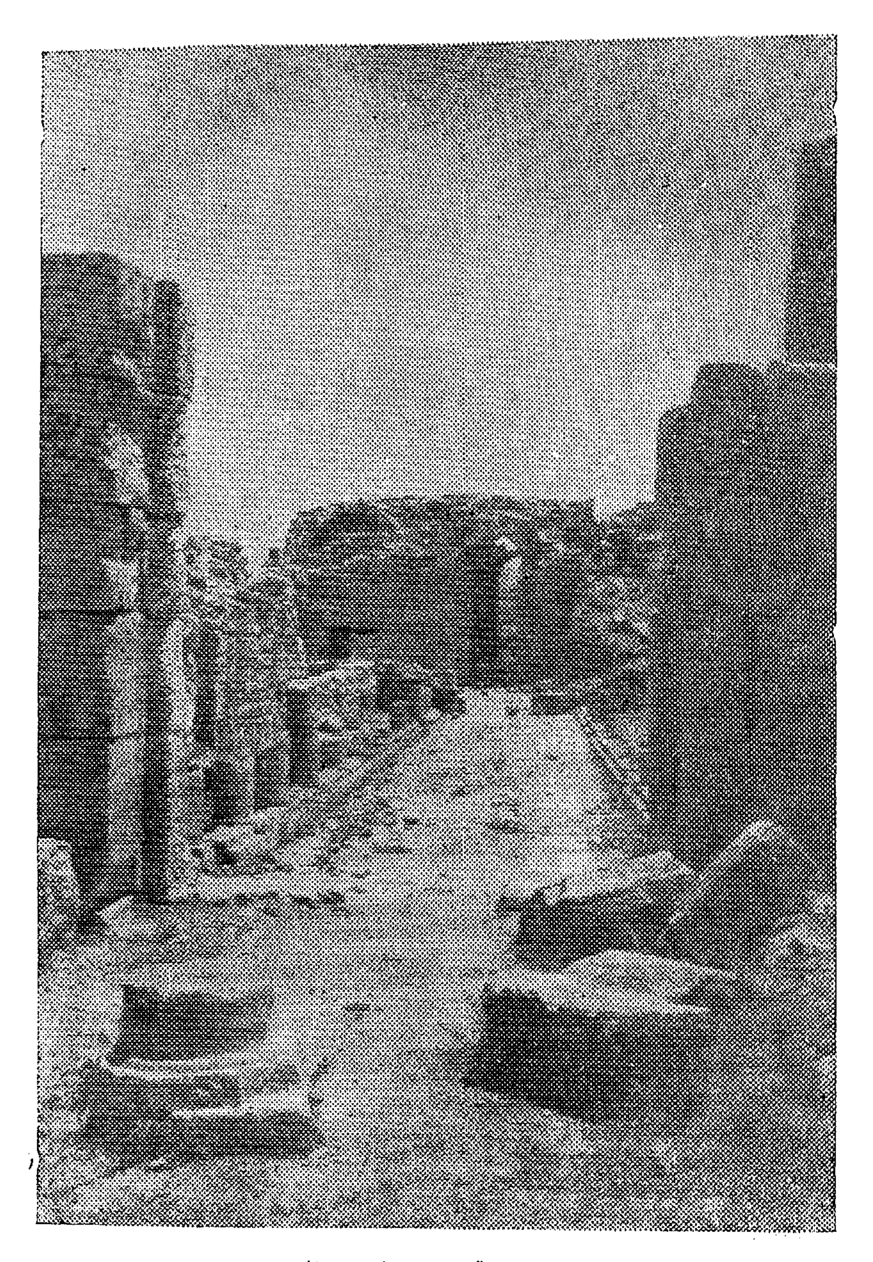
اللوحة رقم ٦ – المدرج الروماني في عمان



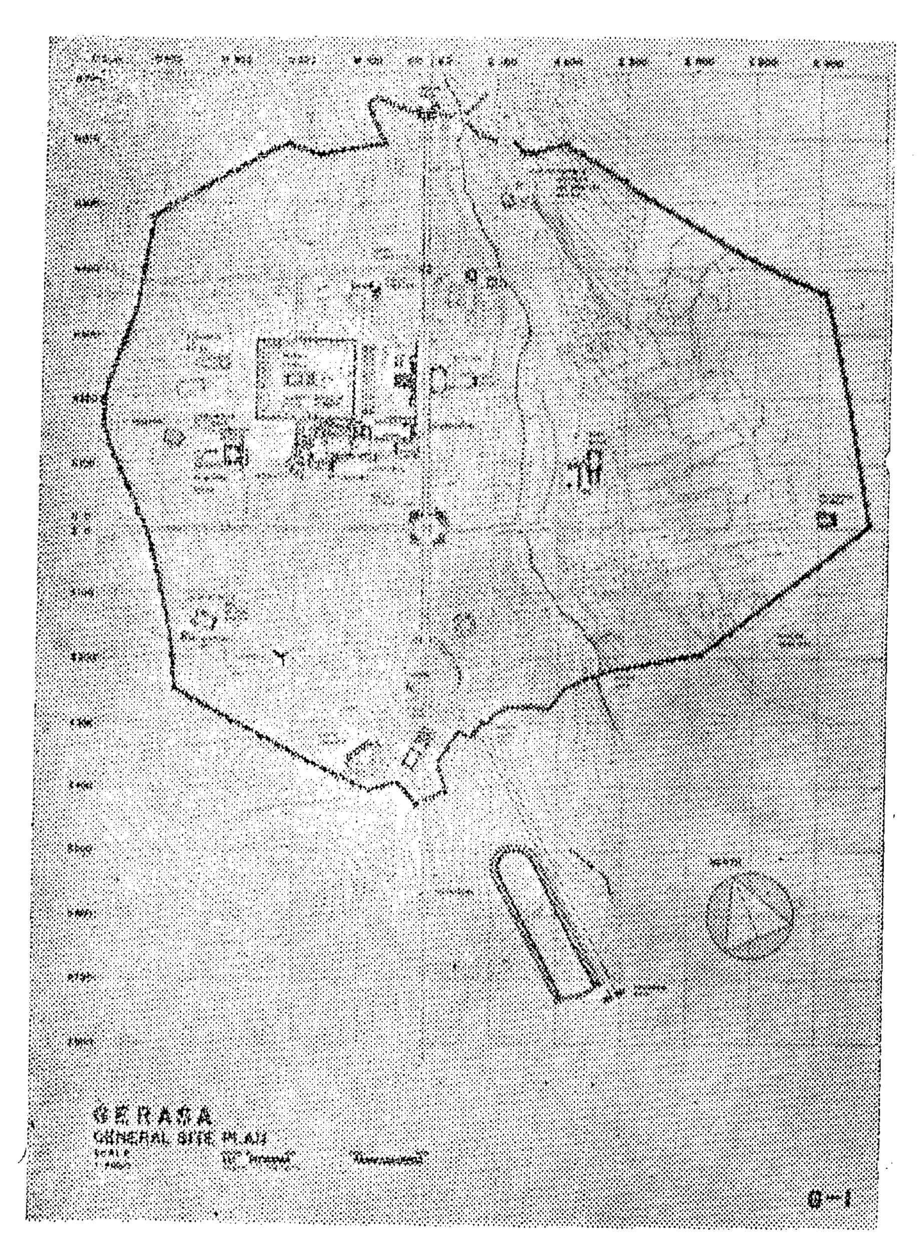
اللوحة رقم ٧ – هيكل هركليوس



اللوحة رقم ٨ – هيكل الزهرة « فينوس »



اللوحة رقم ٩ ـ القصر العربى



اللوحة رقم ١٠ ـ مخطط مدينة جرش •

ولقد تضخم عدد سكانها بعد النكبة الفلسطينية سنة ١٩٤٨ فأصبحوا اليوم ٣٠٠ ألف نسمة .

ب جرش :

ان آثار هذه المدينة هي من أروع ما هو باق في هذه البلاد من آثار العمران القديم فالأعمدة الكبيرة القائمة في وسطها والمعابد الكثيرة المنتشرة في أرجائها تترك في النفس أثرا لا يزول مع مضي الأيام . ولا غرو في ذلك اذ أن ثمرة استعمار الرومان لهذه البلاد كان من غير شك هذه المدينة ، وهي تقع في مربع غير هندسي طول ضلع الواحد ما يقارب الميل ويحيط بها سور سمكة ثمانية أقدام (اللوحة رقم ١٠) ولهذا السور ستة أبواب واليكم الآن أهم ما فيها من الآثار .

١ ـ قوس النصر : عندما نصل الى المدينة من الجهة الجنوبية يقع نظرنا أولا على قوس النصر القائم على ثلاثة أقواس ، منتصفها مزين بأربعة أعمدة عليها طائفة من النقوش الجميلة . اذا دخلنا هذا القوس وجدنا على يسارنا ـ وذلك بعد السير مسافةقصيرة ـ ملعباً كبيراً كان الرومان يقيمون فيه ألعابهم ويظهر من البناء انه كان يستعمل أيضا للألعاب المائية . وفي سنة٦١٤م حول الفرس جزء منه الى ميدان للعبة الكرة والصولجان « البولو » ومساحة هذا الملعب تقرب من ستة مئة ياردة مربعة وعلى بعد ثلاث مائة ياردة شمالاً من قوس النصر بوابة المدينة وكانت تدعى بوابة فيلادلفيا أي باب عمان .

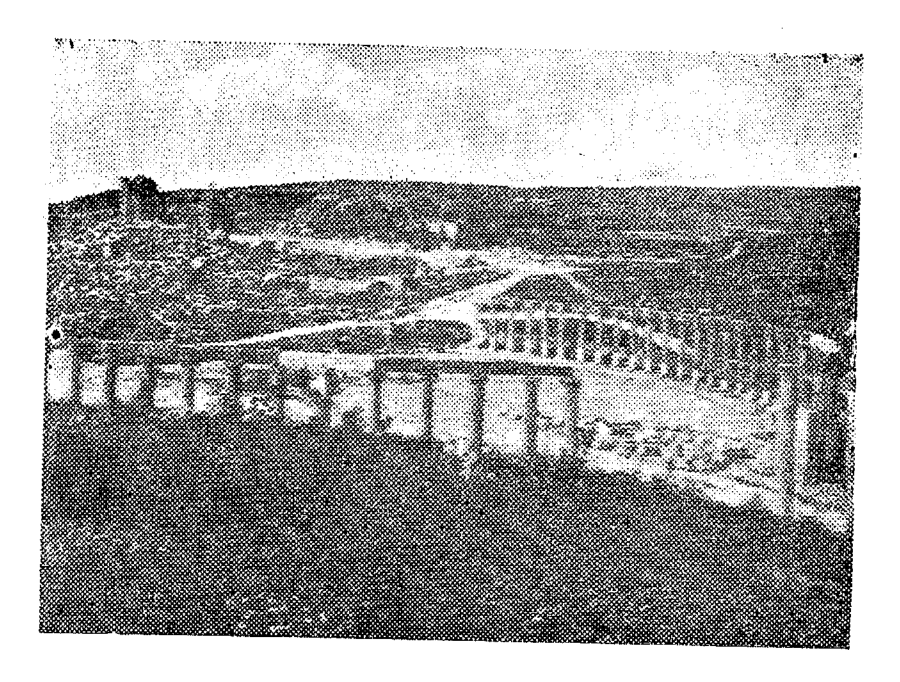
٢ ـ معبد زيوس أو المعبد الجنوبي : وبعد المرور من هذه البوابة الى داخل المدينة نجد على يسارنا معبداً قائماً على مرتفع يحف به صفان من الأعمدة ـ في كل صف منهما ثمانية أعمدة . ولم يبق من هذه الأعمدة في محلها سوى عمود واحد.وكانت مساحة المعبد الداخلية ٧٠ قدماً مربعاً (اللوحة رقم١١).

٣ ـ المدرج الجنوبي : الى الجهة الغربية من هذا المعبد مدرج كبير يرتفع من ساحته ٣٢ حلقة من المقاعد وهو على حال حسنة من العمران . ومقاعده مقسمة بحيث لا تختلف كثيراً عن تقسيم مقاعد بعض ملاهينا في هذا الوقت . وكان الرومان يمثلون فيه رواياتهم المسرحية .

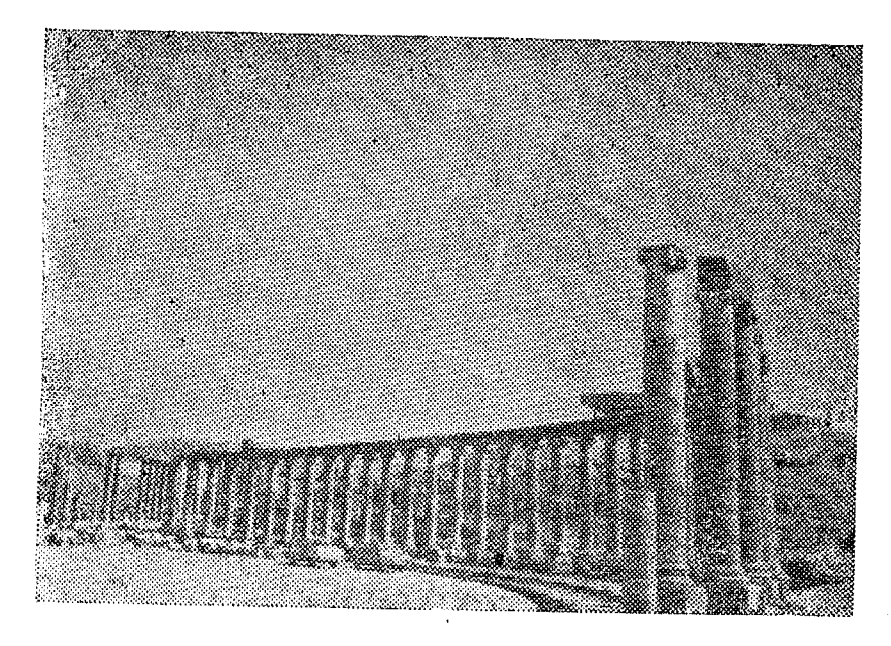
٤ - الساحة العامة : هي بيضوية الشكل تحيط بها الأعمدة الأيونية ويبلغ محيطها ٣٠٨ أقدام ويقول الدكتور فيشر الذى كان رئيسا لبعثة جامعة ييل فى حفريات جرش سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ انه كان محلا للاجتماعات السياسية والاجتماعية • وأرضه مرصوفة بحجارة جميلة فى دوائر متوازية ذات مركز واحد • ويقال انه كان يستعمل أيضا باحة للأسواق • ويوجد حوله الآن ٥٧ عاموداً قائماً ويتباين طول العمود الواحد من ١٦ - ٢٠ قدما (اللوحة رقم ١٢) •

٥ - الشارع الرئيسى : وهو يمتد من الساحة العامة الى نهاية المدينة من الجهة الشمالية • وعلى جانبيه أعمدة كرنثية • ويقطع هذا الشارع شارع آخر فى زاوية قائمة • وفى نقطة التقاطع تقوم أربعة أحجار كبيرة طول الواحد منها سبعة أقدام وعرضه ١٢ قدما وسمكه ١٢ قدماً أيضاً • ويوجد على جانبى هذا الشارع أعمدة كورنثية كالشارع الأول • وهو يمتد الى القرية الحالية • وذلك بعد أن يقطع النهر الجارى فى وسطها بجسر كبير بنى من الحجارة الكبيرة • وهذه الحجارة الأربعة هى مركز المدينة لأنها تقع على مفرق بعض الطرق • ويقع فى شمالى الشارع العمومى بوابة الشام وهى تشابه فى هندستها بوابة عمان الواقعة فى جنوب هذا الشارع (اللوحة رقم ١٣) •

٦ - معبد ارطميس : يحسب من أعظم آثار جرش وأروعها يقع على رابية تشرف على البلد من جميع نواحيه وهو على حالة لا بأس بها من العمران بسبب عدم تأثر بنائه بحوادث الزمان كالزلازل والحروب • ويحيط به حائط أساسى لا يزال موجوداً • وجدران هذا المعبد استعملت فى العصر البيزنطى كمحجر يأخذ منه السكان الحجارة لأبنيتهم الخاصة • وتدل الحفريات الأخيرة أن العرب استعملوا هذا المعبد حصنا ولقد خربه ملك القدس الصليبى بولد وين الثانى سنة ١١٢١ م • وأعمدته الباقية منه فى الجهة الشرقية لا تزال قائمة على ما كانت عليه • والدهليز الذى تقع عليه هذه الأعمدة الفاخرة ظهرت بعد أن نقبوا عنه سنة ١٩٣٠ وكان يتعبد فى هذا المعبد كثيرون من عبدة الأصنام ولكن لما جاءت النصرانية قل عددهم وضعف شأنهم ولم يكن منهم الا أن



اللوحة رقم ١١ ـ الساحة العامة ومعبد زيوس



اللوحة رقم ١٢ ـ الساحة العـامة في جرش •

تركوه للمسيحيين الذين استعملوا كثيراً من فسيفسائه وحجارته فى بناء كنائسهم (اللوحات ١٤ ، ١٥).

الحمامات : فى جرش حمامان كبيران أحدهما غربى السيل وثانيهما شرقيه ولا يزالان ظاهرين . (اللوحة رقم ١٦) .

الكنائس : عندما أصبحت النصرانية ديناً رسمياً للامبراطورية الرومانية بنيت فى جرش عشر كنائس لا تزال احداها تحافظ على مصطبتها التى ما زالت مفروشة ومرصعة بالفسيفساء الجميلة والتى رسمت عليها صور للانسان والحيوان والنبات ممتازة ورائعة .

ولا ننسى السبيل القائم فى وسط الشارع وقد يكون أغنى أبنية جرش فى الزخارف الهندسية ويقف الزائرون أمامه متعجبين . وفى جرش المدرج الشمالى الذى كان يستعمل للحفلات العنيفة كالمصارعة .

ج - البتراء :

لقد استطاع الأنباط أن يمتلكوا زمام التجارة منذ القرن الرابع قبل الميلاد وجعلوا مدينة البتراء مستودعاً ومخزناً أميناً لتجارة العالم القديم وكان فى امكانهم أن يحافظوا عليها اذ ليس لها الا ثلاثة مداخل فاذا أقفلت امتنعت على الفاتح الأجنبى . ولقد ظهرت آثار الغنى على مدينة البتراء التى نحتها الأنباط فى الصخر . ومع انها فقدت استقلالها السياسى سنة ١٠٦ م وأصبحت ولاية رومانية فان حركة العمران فيها استمرت قرنين آخرين حتى خلفتها منافستها تدمر . وأهم آثارها :

الخان : هو عبارة عن ساحة على جانبيها رواقان منحوتان فى الصخر وقد قام السقف على أعمدة منحوتة على الطراز الأيونى وفى الصدر قاعة كبيرة استعملت لأغراض كثيرة منها أن تكون مقبرة لأسرة كبيرة ثم تحولت الى مركز جمركى ويقوم الآن فوقها بناية الاستراحة السياحية التى بنيت سنة ١٩٦٢ .

هيكل ايزيس : المنحوتة واجهته على الطراز المصرى وفى رأسه الأهرام

التى كان يعلوها تمثال الاهه ايزيس وتكون على يمين السائر قبور منحوتة فى صخور تشبه الصناديق الكبيرة الى أن يصل الى الكتابة النبطية المحفورة على الصخور اليمنى والتى يظهر على أحدها اسم الراقيمو من أسماء البتراء •

النفق : حفره الأنباط بطول يزيد على المئة متر لتجرى فيه مياه السيول والأودية المخربة •

السيق : هو شق أو سلع طبيعى فى الصخور يدخله زائر البتراء ويتراوح عرضه بين ٣ و ١٢ مترا • ويصل ارتفاع الصخور على الجانبين الى مئة متر وبعد المسير فيه نحو الميل نصل الى الخزنة •

الخزنة :

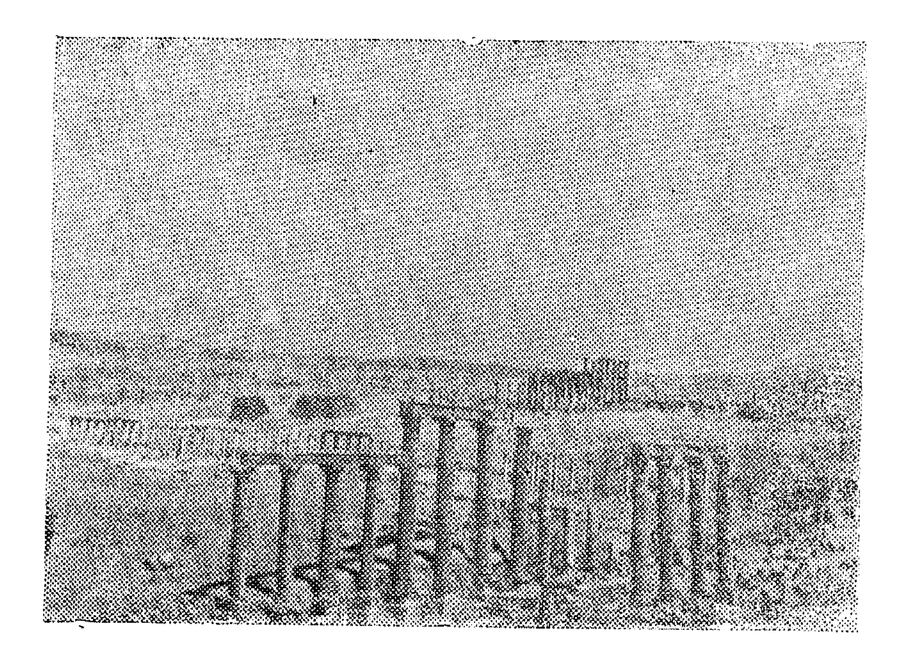
حالما ننتهى من (السيق) تظهر أمامنا الخزنة بواجهتها التى تتألف من طابقين وقد نحتت فى الصخر الوردى بأعمدتها وأطاريمها وزخارفها الرائعة وفيها نستطيع أن نرى حفر الأنباط وأعمدة اليونان وزخارف الرومان والقوة الآشورية والروح المصرية وكأنها كتاب يمثل حضارات الأمم التى سبقت الاسلام فى هذا البلد وهى اما أن تكون هيكلا للآلهة المصرية ايزيس أو ضريحاً للحارث الرابع أشهر ملوك الأنباط أو تذكارا لزيارة امبراطور الرومان هدريان لمدينة البتراء فى سنة ١٣٢ م (اللوحة رقم ١٧) •

المدرج :

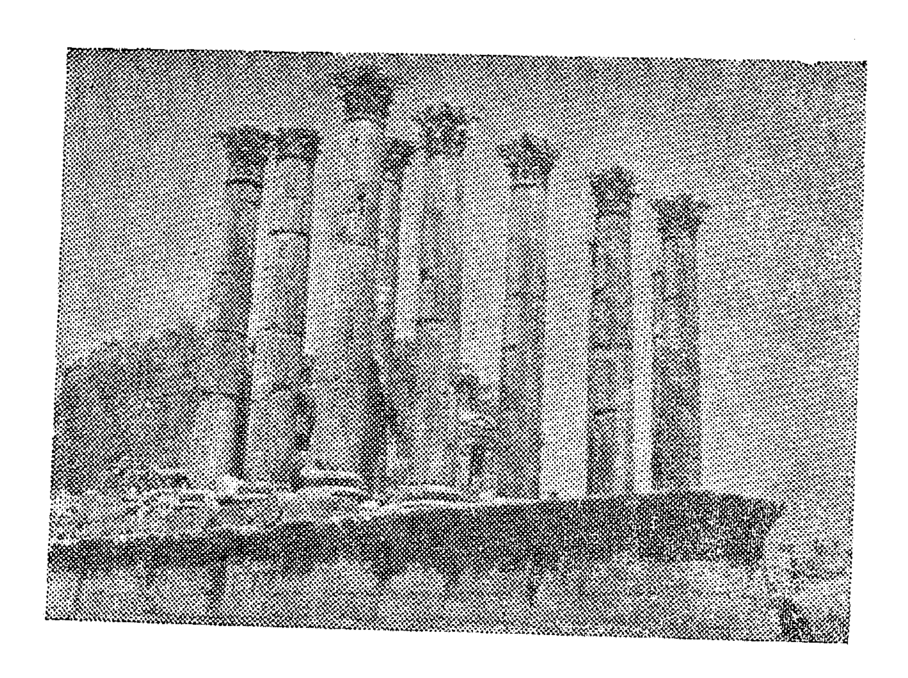
يتألف من أربعة وثلاثين صفاً من الأدراج تتسع لنحو ثلاثة آلاف متفرج وقد حفر فى الصخر الرملى الملون •

القبور :

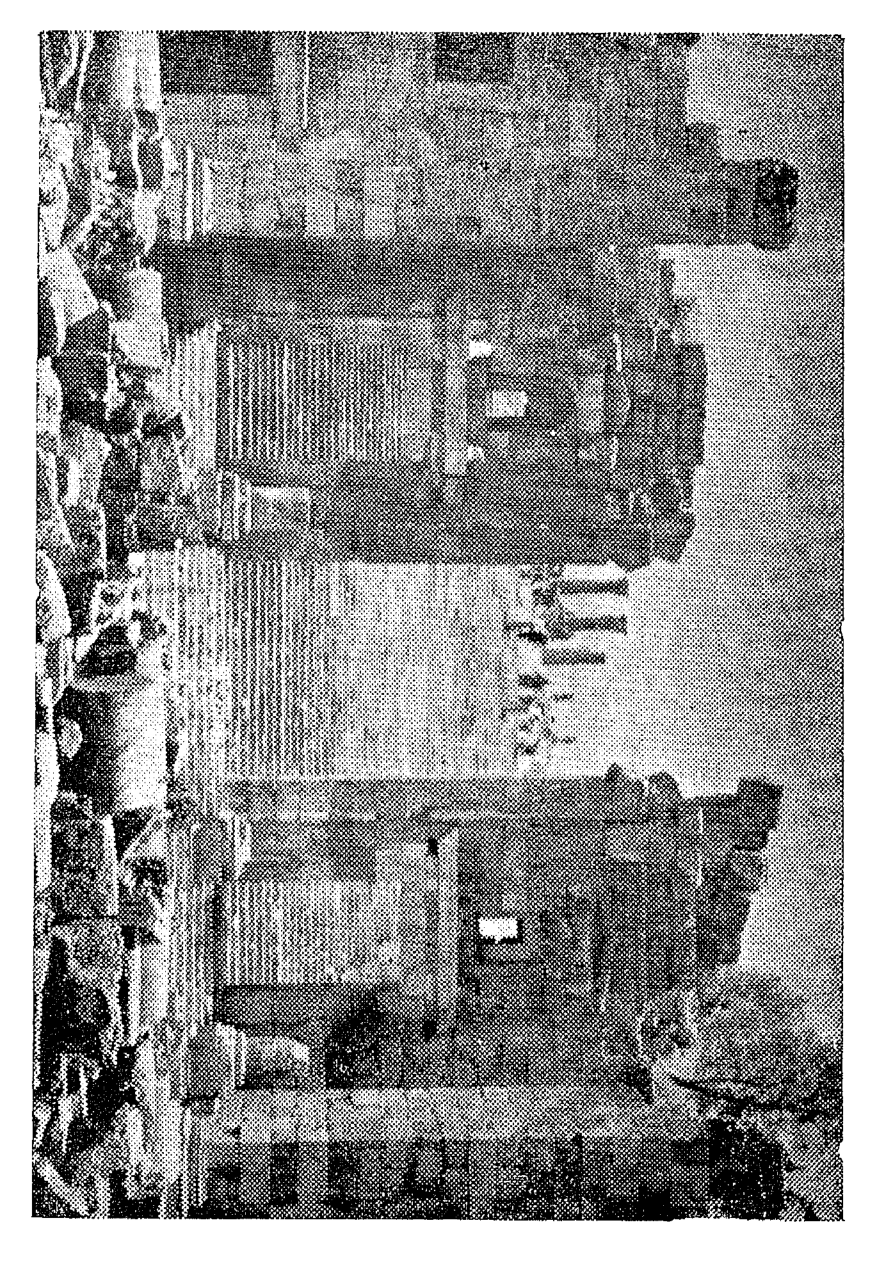
القبور الملكية وهى تشغل السفح المقابل للمدرج وأشهرها ضريح الجره « المحكمة » والضريح الكورنثى وضريح القصر المؤلف من ثلاثة طوابق أعلاها بنى من الحجارة ثم ضريح الحاكم الرومانى وهى عبارة عن قصور وقاعات فخمة منحوتة فى الصخور الملونة •



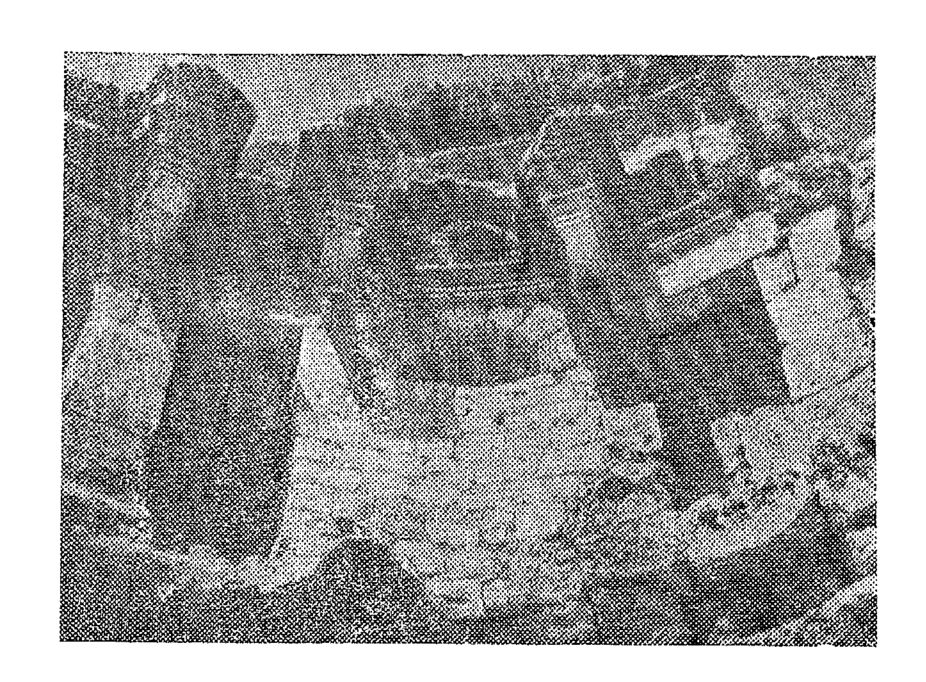
اللوحة رقم ١٣ ـ الشارع الرئيسى ـ شارع الأعمدة



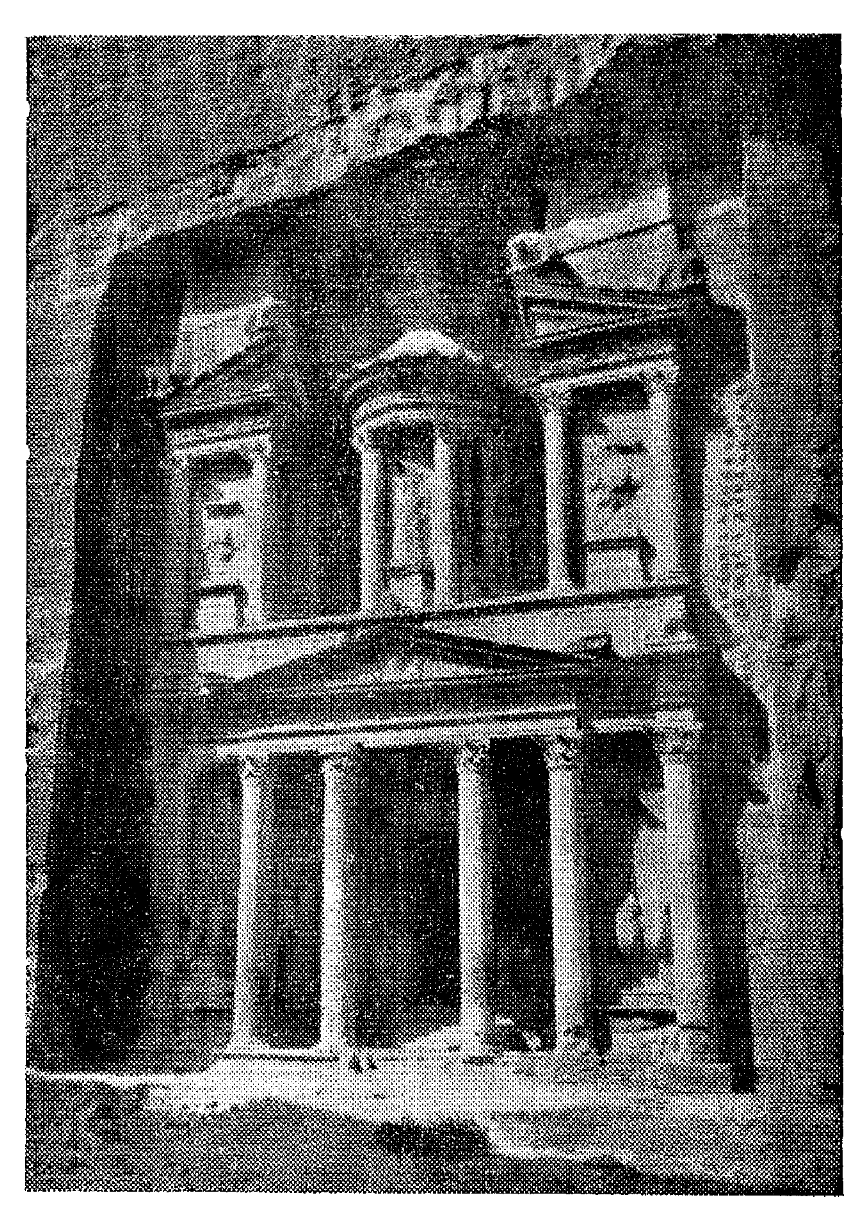
اللوحة رقم ١٤ ـ أعمـدة هيكل أرطميس



اللوحة رقم ١٥ – المدخل العام لمعبد أرطميس .



اللوحة رقم ١٦ – سبيل الحوريات ـ الحمامات فى جرش .



اللوحة رقم ١٧ ـ الخزنة فى البتراء

الشـارع المعمد :

يبدأ قريباً من المدرج شـارع مبلط وقفت على جانبيه الأعمدة الى أن يصل الى قوس النصر الثلاثى والذى يطل على ساحة قصر البنت •

قصر البنت :

هو البناء الوحيد الباقى فى البتراء وقد بنى فى القرن الأول بعد الميـلاد وأحيط برواق تحمل سقفه الأعمدة الضخمة أما زخارفه فكانت من الجبس• (اللوحة رقم ١٨) •

الدير :

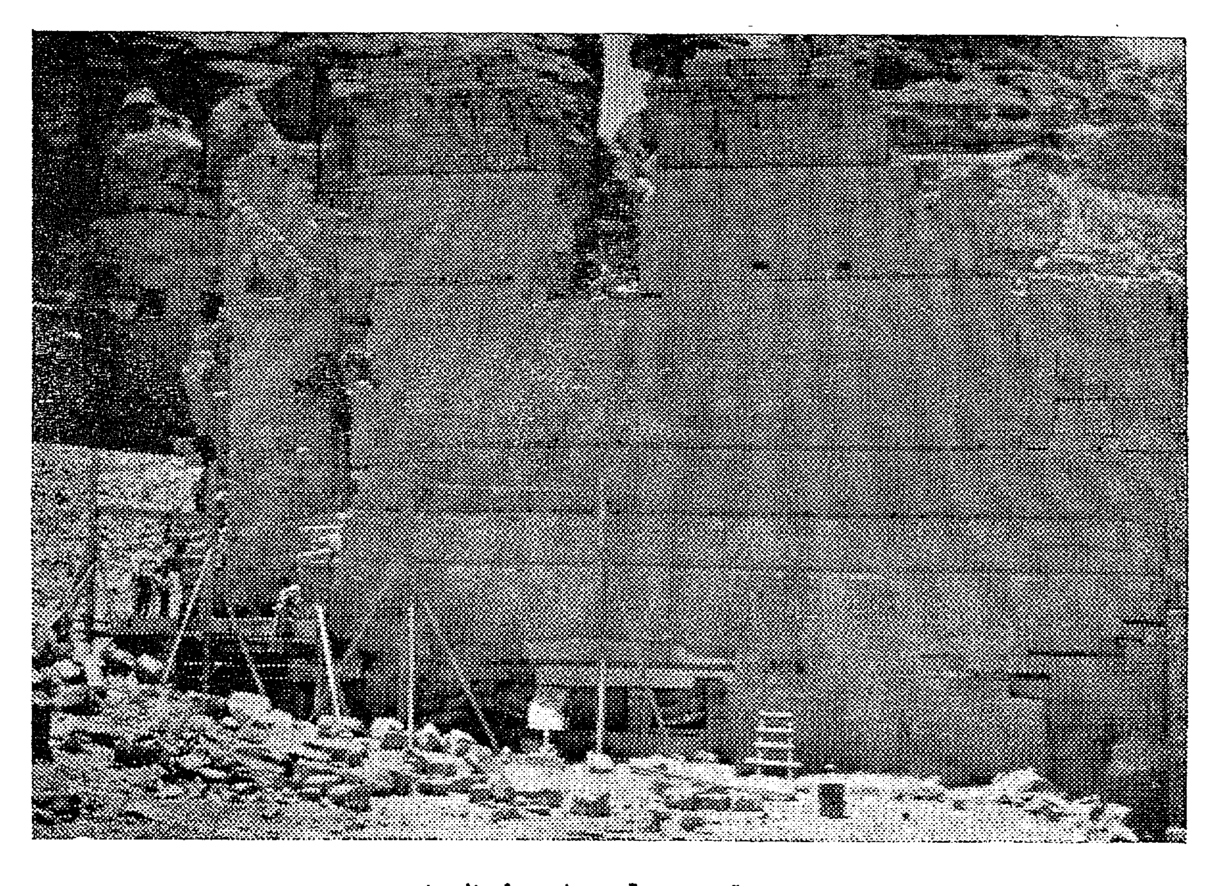
بنى بجانب الهيكل « قصر البنت » فندق فيلادلفيا الذى يجد فيه الزائر الطعام والشراب والراحـة ثم يغادره قاصـداً زيارة الدير الذى يرتفع أكثر من ٤٠٠ متر عن ساحة المدينة وكان معبداً وثنياً ولا يقل فى أهميته عن الخزنة ويتألف من طابقين أيضـا وقد علت ذروته العليـا الجرة الصـخرية التى هى المنظر التقليدى فى كل أثر نبطى (اللوحة رقم ١٩)

المذبح :

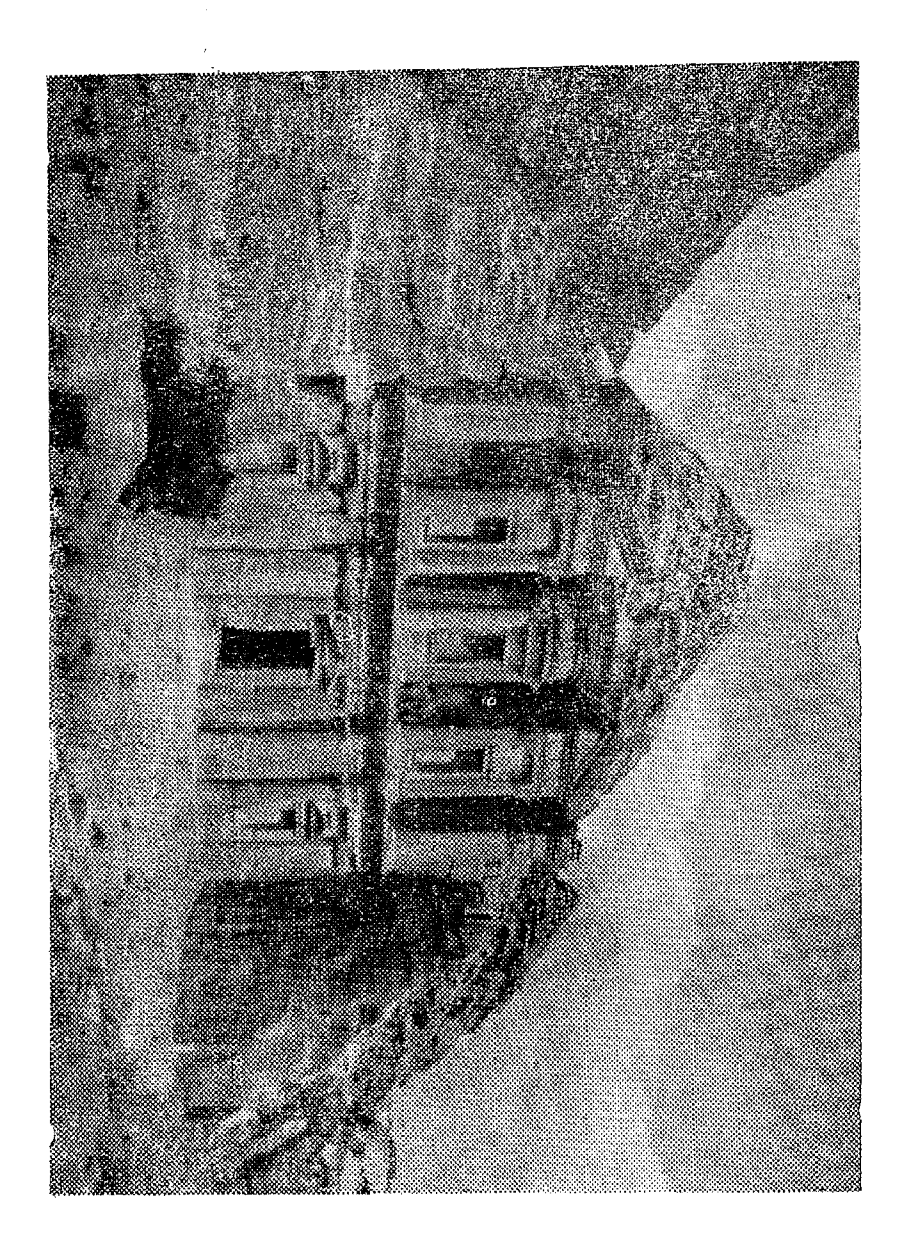
نعود الى ساحة البتراء ثم نتسلق الجبال من قصر البنت حتى نصل فى ذروتها الى المذبح فنشـاهد على تلك الصـخرة المحفورة حفراً محكماً مكان ذبح القرابين وجريان الدم وأحواض المـاء وهو يشرف فى الجنوب الغربى على مقام النبى هارون الذى كتب على عتبـة بابه « بسـم الله الرحمن الرحيم جدد عمارة هذا المشهد المبارك فى أيام مولانا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بانشاء ولده المقـام العالى الشمالى نصرهم الله تعالى فى أول تسـع وسبعمائة سيد محمد البدوى » •

ان ما يشاهده السائح الأجنبى فى البتراء يجعله يضعها فى مصاف عجائب الدنيا السبع •

* * *



اللوحة رقم ١٨ – قصر البنت فى البتراء .



اللوحة رقم ١٩ — الدير

العصر الاســـلامى

فى السنة الثامنة من الهجرة استشهد فى مؤتة عدد من القواد والصحابة الكرام وأقيم على مشهدهم أضرحة فخمة وشـيد عليها الملك الظاهر بيبرس مسجداً كان يقصد للزيارة والبركة • وفى سـنة ١٧ هـ تفشى طاعون عمواس فى فلسطين فاستشهد فيـه كثـير من القواد دفن بعضـهم فى غور الأردن • من أشهرهم أبو عبيدة ، وقـد أقام الظاهر بيبرس على ضريحه مسجداً فخماً كان له موسم سنوى للزيارة • ومثل ذلك البناء الذى أقيم على مقام سـيدنا موسى الكليم بين القـدس وأريحا ولا يزال السـكان مستمرين على زيارته من أيام صلاح الدين •

ولقد بنى عبد الملك مسجد الصخرة المشرفة فى بيت المقدس وبنى أبناؤه وأحفاده قصوراً فى البادية كانت مراتع لهو وميـادين صـيد وندوات شـعر وغناء وقد يكون بعضها مراكز ومحاكم لحـل الخصومات التى تنشأ بين سـكان البادية وهذه القصـور تدلنا على اسـتمراء العربى لاقتباس حضـارات الأمم السابقة والتمتع بها لا سيما عندما تدفقت الأموال على خزائن الأمويين فغرقوا فى حياة البذخ والترف • واظهاراً لهـذه النعم طلبوا أهـل الفن أينما وجدوا وكلفوهم ببناء وزخرفة هذه القصور التى نصفها بايجاز فيما يلى :

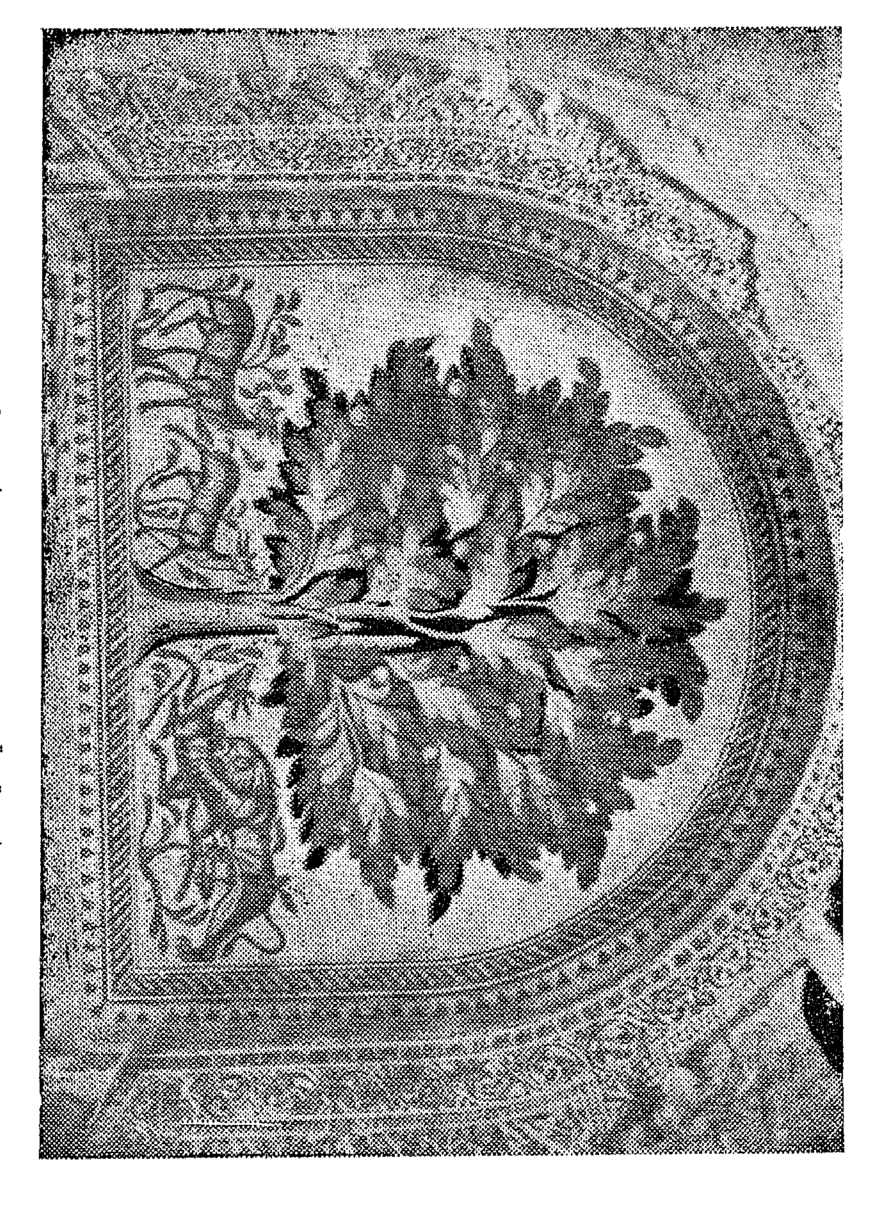
حمام السراح « الصرح » :

نسافر من عمان الى الزرقاء وعندما نصل الكيلو ٣٨ فى الشارع الرئيسى نغير الاتجاه فى طريق صحراوى نحـو الشرق وبعد ٥ كيلومترات تظهر لنـا قلعة الحلابات الرومانية وتغرينا بزيارتها لنشاهد فيهـا المسجد الاسـلامى • فاذا نظـرنا الى الشرق وقعت عيوننـا على حمـام السراح الذى يبعـد ثلاثة كيلومترات فى منبسط من الأرض ونحن نسرع اليه فاذا وصلنا رأينا من بقاياه ما يدل على انه كان حماماً مزوداً بكثير من الغرف والقاعات وبعضهـا للخدم والخيل ويظهر أن الفرسان كانوا اذا تعبوا فى حلبات السباق لجأوا الى هذا الحمام وتنعموا بمائه الذى كان يسخن بايقـاد الحطب ومما يؤسف له انه لم تبق منه

سوى غرفتين وبعض الأسس والآبار المجاورة • وعلى بعد منسه حفرت بئر ارتوازية أصبحت تكفى لسكان مخيم العائدين الفلسطينيين المجاور (اللوحة رقم ٢٠)

قصير عمرة :

نواصل سيرنا بسيارتنا ذات العجلات العالية نحو الشرق فنمر من قيعان تمتلىء فى أيام الشتاء بالمياه حتى تكون بحيرات طويلة وتكون مرتعاً خصباً لألوف من البط المهاجر أما فى الصيف فتصبح كأنها اسفنجة ناعمة أشبه ماتكون بأرقى المطارات التى صرف عليها المبالغ الطائلة وبعد نحو ٣٠ كم نغير اتجاهنا نحو الجنوب فنمر بوادى البطم وفى نهايته يقف أمامنا قصير عمرة وقد بنى من حجر كلسى ضارب الى الحمرة مدخله الوحيد من الشمال ويؤدى الى قاعة استقبال ٨٫٥ × ٧٫٥ أمتار مسقوفة بعقد برميلى أسطوانى قام على حنيتين من الحجر المنحوت • وفى صدر القاعة من الجنوب رسمت صورة الخليفة الوليد بن عبد الملك مستوياً على عرشه وقد أحاط به الخدم والحشم ويتحلى بثوب الامارة وتكسبه لحيته العربية الهيبة والوقار وفوق رأسه مظلة رفعت على عمودين • وعلى عقد المظلة عصابة من الكتابة الكوفية • والى يمينه جارية ترفع ذراعها والى يساره رجل يحمل الصولجان • وعلى حائط الجدار الغربى صورة ستة أشخاص يرتدون الملابس الفاخرة وقد كتب فوقهم بالعربية واليونانية أسماء قيصر وكسرى والنجاشى ولزريق • ولم تظهر كتابة فوق الصورتين الأخريين • وهؤلاء هم الملوك الذين فتح المسلمون بلادهم • وفى الحائط الغربى من القاعة باب يؤدى الى غرفة يدخلها النور من أربع طاقات صغيرة فى سقفها • وكان المستحم يدخلها بعد الحمام طلباً للهدوء والراحة • وفى الحائط الشرقى باب آخر يؤدى الى غرف الحمام الثلاث وقد رسمت على جدرانها الأربعة وعلى سقوفها رسوم ملونة لنساء ورجال وصيادين وحفلات طرب ومناظر من أعمال الانسان اليومية • كما يظهر فى سقف احداها صورة قبة الفلك وما عليها من أفلاك • كل ذلك حتى ينظر اليها المستحم وهو فى الماء الساخن وقد استرخى جسمه ونشطت أفكاره فيخرج وقد استراح من عناء وتخلص من وساوس • وهذا من أكبر النعم التى كان العرب يتنعمون



اللوحة رقم ٢٠ – من نقوش الحمام – أريحا

بها فى ذلك الزمان • وليس فى تاريخ العرب عمل فنى يضاهى هذه المجموعة من الصور الملونة « الفريسكو » فى قصير عمرة (اللوحة رقم ٢١) •

الأزرق :

تستأنف السيارة سيرها نحو الشرق حتى اذا قطعت ٢٥ كم فانها تصل الى واحة غريبة جداً فى هذه البادية تضم ثلاث برك عذبة وبجانبها برك أخرى مالحة وقد زرعت فيها أشجار النخيل وبرز فى طرفها قصر الأزرق الذى كان فى الأصل قلعة رومانية ثم اتخذه أحد خلفاء بنى أمية قصراً له ولا يزال فى داخله مسجد على الطراز الأموى أما القصر الحالى فتعلوه بلاطة كتب عليها « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا القصر المبارك الفقير الى الله عز الدين ايبك أستاذ دار الملك المعظم بولاية على بن الحاجب فى عام أربع وثلاثين وستمائة » وفى ساحة القصر حجارة كثيرة عليها كتابات لاتينية ولمداخل القصر أبواب حجرية من مصراعين •

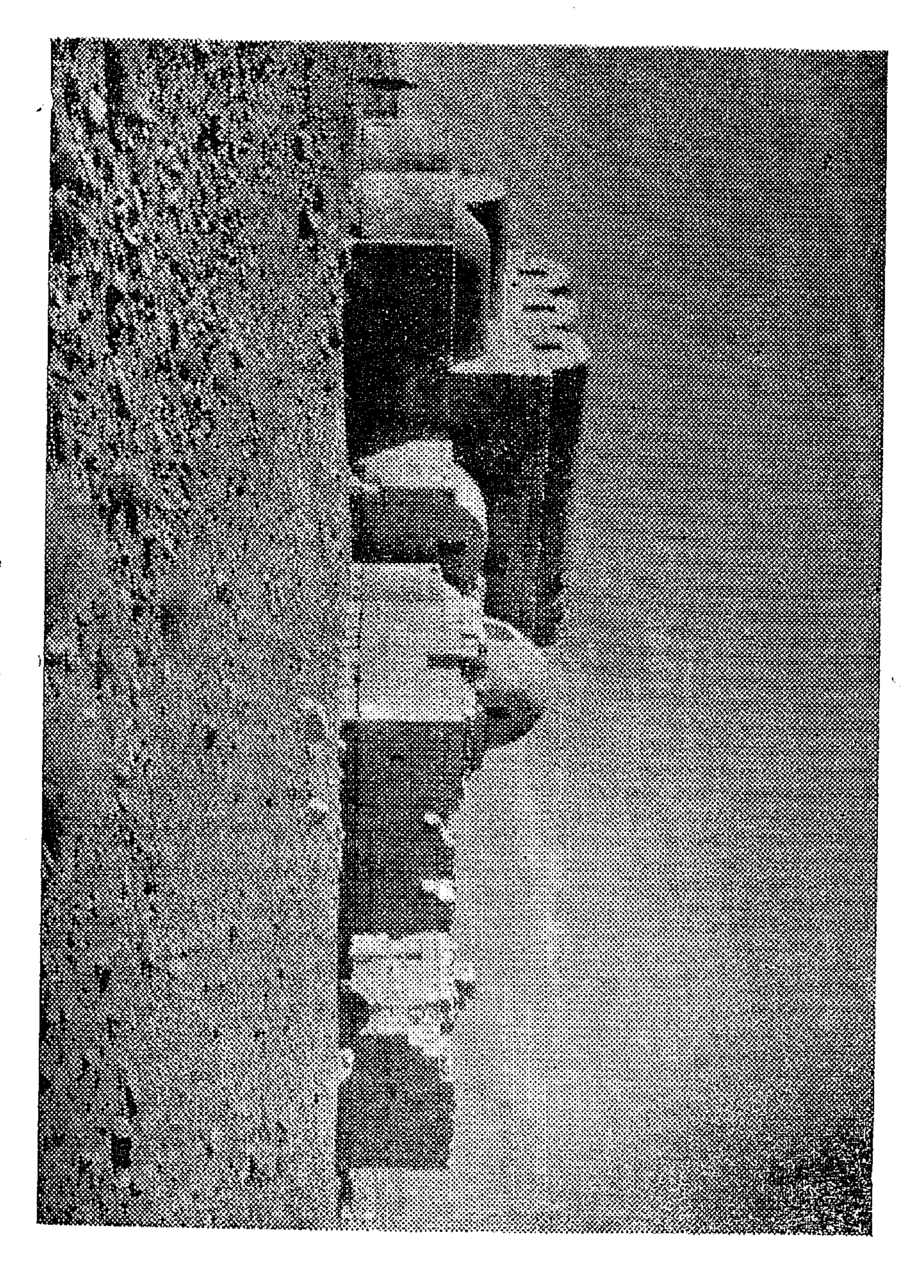
قصر الحرانة :

نعود من الأزرق الى العمرة ثم نغير طريقنا نحو الجنوب الغربى وبعد عشرين كم نصل الى قصر الحرانة « ويسميه الفرنج الخزانة » وهو بناء مربع طول ضلعه ٣٥ متراً ويجمع بين مزايا القصور ومناعة الحصون • فى كل زاوية من زواياه الأربع برج مستدير • فى منتصف كل واجهة برج آخر وفى الواجهات الأربع نواد صغيرة وطلاقات طولية • وبتأثير العوامل الطبيعية سقطت القصارة من الخارج فظهرت مواد البناء التى تتألف من حجر رملى طرى مع لبنة من الطين المحلى أيضاً وعلى علو ٧ أمتار افريز مزخرف يحيط بالقصر من جميع الجهات • باب القصر فى الجنوب وفوق المدخل كتابة عربية متأخرة خطها الزوار فى أوقات متفرقة • حول ساحة القصر تنتشر القاعات السفلى التى كانت تستعمل اسطبلات للخيل وهى خالية من النوافذ وعن اليمين وعن الشمال يصعد درجان الى الطابق العلوى • وقد زاوج البناء بين الأقواس والقناطر بأشكال مختلفة لسقف الغرف والأواوين ، كما طينه

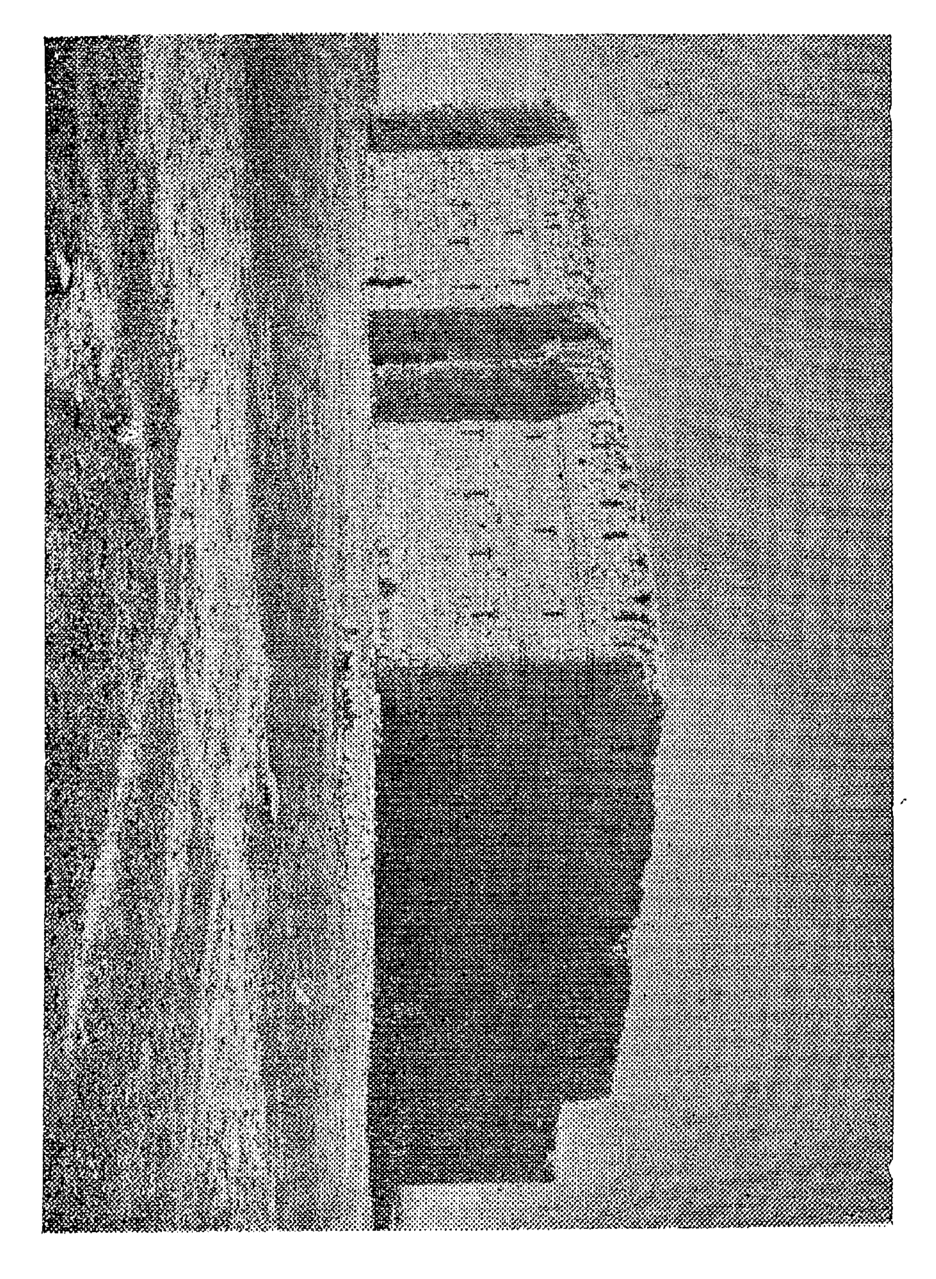
بهذه القصارة التى صقلها حتى أصبحت تشبه الجبس المنقوش بمختلف النقوش • وعلى محل احدى الغرف فى الناحية الغربية وجدت كتابة كوفية عليها اسم عبد الملك ابن عبد الله — الذى ربما كان أحد أتباع الوليد بن عبد الملك • وفى جدران الغرف العليا نوافذ تتسع فى الداخل وتضيق فى الخارج لتصبح صالحة لرمى السهام على المغيرين • وفيه كذلك مزاغل طولية لنفس الغرض • أما النوافذ المطلة على صحن القصر فعريضة تكفى لادخال النور ••• ومما يؤسف له أن القصر يعانى الشىء الكثير من التخريب والتدمير حتى أصبح فى حاجة ماسة الى الاصلاح (اللوحة رقم ٢٢) •

قصر طوبة :

نمضى ليلتنا فى الحرانة وفى الصباح نغادره متجهين نحو الجنوب الغربى وبعد أن تطوى سيارتنا نحو ٥٠ كم فى هذه البادية المعزاء المفروشة بالحصباء تدخل فى وادى الغدف أو الأغدف العريض وفى نهايته يقف قصر طوبة فى حالته الحاضرة • طول جداره ١٤٠ مترا وعرضه ٧٣ مترا وفى كل زاوية من زواياه الأربع برج مستدير وهنالك سبعة أبراج فى الجدار الجنوبى • وللقصر مدخلان من الشمال يفصل بينهما برج مستدير • وقد قامت على جانبى المدخلين غرف مربعة ٧ × ٧ أمتار وقد بنيت الأسوار والجدران من الحجر الطباشيرى الأبيض المصفر على ارتفاع قامة الرجل • ثم أكمل بناء الجدار بالطوب وعقد السقف عقدا برميليا • أما البناء الداخلى فيتألف عن يمين الداخل من أربعة صفوف متوازية من الأبنية كما يتألف عن يسار الداخل من مقصورتين مستطيلتين • أما الصف الثانى فقاعة مستطيلة بنيت من الطوب المحلى المشوى بالنار • حتى أصبح لونه أحمر أو أصفر فاقع أو أزرق فاتحا وأغلبها يظهر بلون الفستق • ولا يزيد سمك الطوبة على ٥سم وبين الطوب بلاط سميك وقوى جدا ، واذا تسلقت سطح القصر رأيت ساحتين تحيط بهما الغرف ويتألف منهما جناحان ولو أخذ منهما على حدة لأصبح قصرا لايختلف فى طرازه وتفاصيله عما هو مألوف فى سائر قصور بنى أمية• وعلى الاجمال فانه شديد الشبه بقصر المشتى من حيث البروج وسقوف الأبنية ومواد البناء والتقاسيم والزخارف • ولا يبعد أن يكون الجناحان قد بنيا فى فترتين



اللوحة رقم ٢١ — قصير عمرة



اللوحة رقم ٢٢ - قصر الحرانة

متقاربتين • وقد شيد هذا البناء من الطوب فعرفه السكان بقصر « طوبة الغدف » • ولعله هو الأغدف الذى كان الوليد بن عبد الملك ينزله • وقد نقلت عتبة المدخل الى متحف عمان الأثرى وهى غنية بما عليها من الزخارف • ولسوء الحظ لم توجد فى هذا القصر أية كتابة بعد (اللوحة رقم ٢٣)

قصر المشتى :

نغادر طوبة نحو الشمال الغربى فنمر بالبئر التى كانت تزوده بالماء وبعد أن نسير نحو ٦٠ كيلو مترا نصل الى الطريق الصحراوى بالقرب من زيزياء التى هى مشهورة ببركتها ثم نغير الطريق نحو الشرق حتى نمر عن محطة الجيزة فى سكة حديد الحجاز الى أن نصل الى قصر المشتى الذى أسهب القسيس ترسترام سنة ١٨٧٣ فقال عنه « انه قصر منفرد أدهشتنى نقوشه وزخارفه • وهى فى نظرى تفوق كل ما تركه العرب فى هذا الفن حتى قصر الحمراء نفسه » انه بناء مربع طول ضلعه ١٤٤ مترا يحيط به سور فى كل زاوية من زواياه الأربعة برج ناتىء على هيئة نصف حلقة • وفى واجهته الجنوبية أربعة أبراج مستديرة وفيها مدخل القصر • وتمتاز الواجهة الجنوبية بنقوشها وزخارفها التى جاءت على شكل هرمين وقد برزت نقوش تمثل الزرازير والأسود والمجنحة والجاموس والغزال والنمر الطاووس والحجل والببغاء • وترى كلها تشرب من كؤوس الماء أو تنقر من حب العنب وكيزان الصنوبر وكلها ضمن اطارات كأنها المثلثات تزينها أزهار بشكل مروحة النخيل أو النجوم الصغيرة • وفى سنة ١٩٠٥ أدهشت هذه الزخارف امبراطور ألمانيا غليوم الثانى عندما زارها وطلبها من السلطان عبد الحميد فقدمها هدية اليه وفكت حجارتها ونقلت بكل عناية الى برلين • وفى سنة ١٩٣٢ بنيت لتكون واجهة المتحف الاسلامى فى برلين (اللوحة رقم ٢٤) •

ندخل القصر من بابه الرئيسى فى الجنوب ونرى عن يميننا المسجد الذى بقى محرابه ظاهر مع ثلاثة مداميك من الجهات الثلاث الأخرى ونلاحظ عن يسارنا ما يدل على بيوت الحرس • وفى منتصف الساحة بركة ظهر فى وسطها شدوران كان الماء يتدفق منه • فاذا استمررنا فى مسيرنا نحو الشمال وصلنا

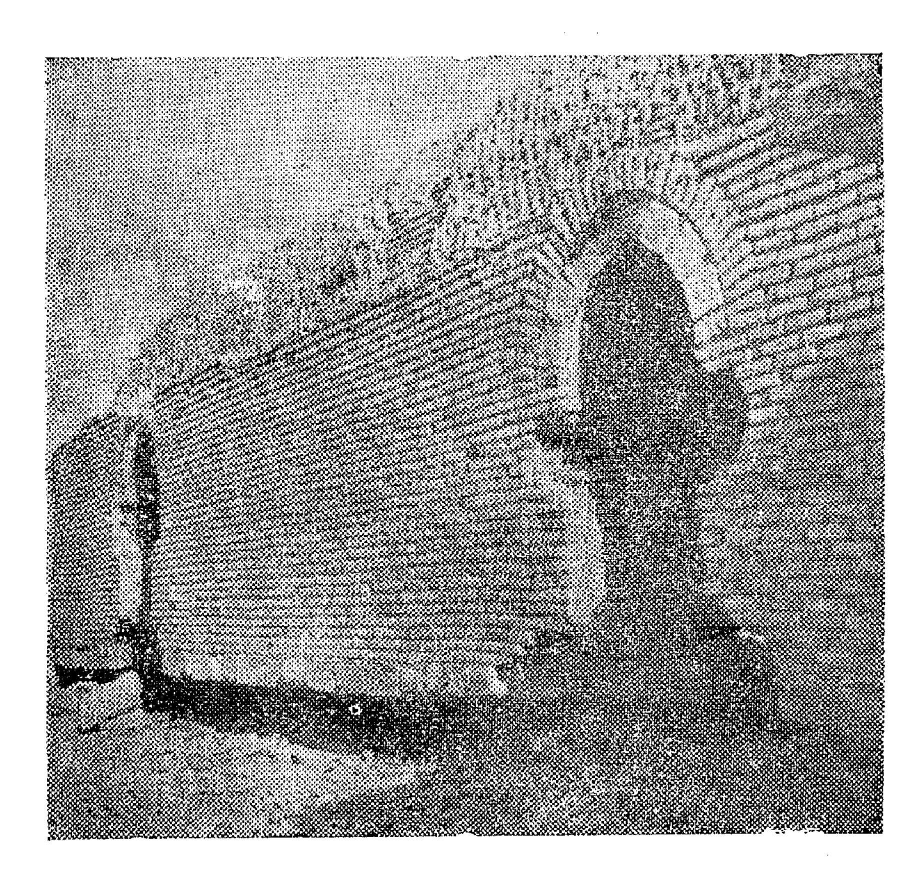
الى بناء القصر الرئيسى الذى كان يتألف من ايوان مستطيل على يمينه ويساره مدخلان رئيسيان الى قاعات القصر وأبهائه وغرفه • وفى الصدر قاعة بثلاثة محاريب تشبه ورقة السبانى أو البرسيم وتشبه كنيسة قصر الشمع فى مصر العتيقة وهذا يرينا الأثر القبطى فى البناء الاسلامى • وقد بنيت جدران القصر من الحجر الكلسى المنحوت ثم أكملت بالآجر المصنوع على الطريقة الفارسية وقد غشيت الواجهات بألواح من الرخام •

وهناك وصف لمعاصر فارسى يقول ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك شرع فى بناء مدينة فى البادية ولكنه مات أو قتل قبل اتمامها فأتمها من جاء بعده وخرج بهذا الشكل الذى يطابق طراز قصر طوبة • وقد أخذت دائرة الأثار فى تنظيفه واعداده لاقامة الحفلات التى أصبحت تجذب اليها سكان عمان التى تبعد نحو ٣٦ كم •

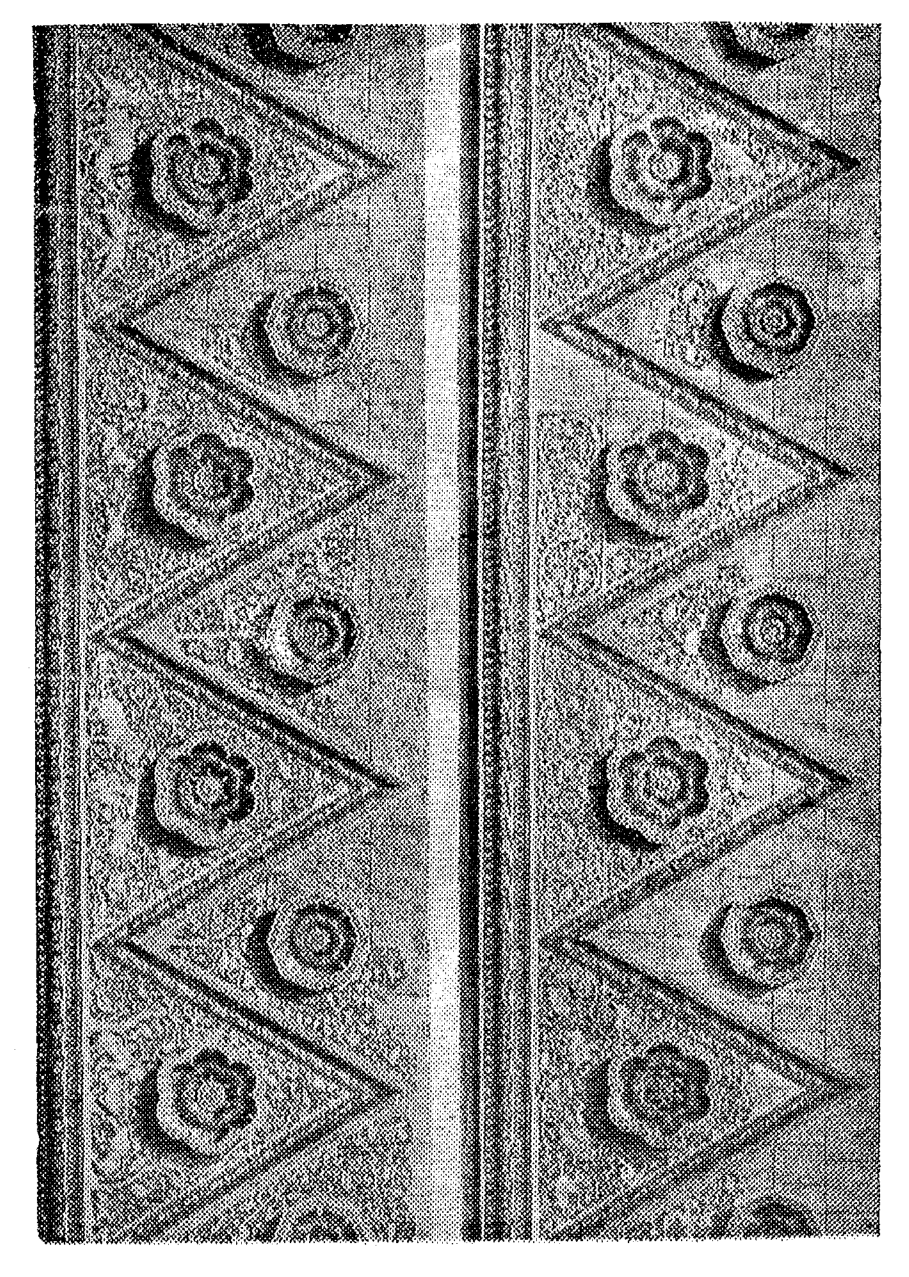
قصر هشام فى خربة المفجر :

يكاد يكون لكل واحد من خلفاء بنى أمية مشتى فى غور الأردن يتمتع به عندما يشتد البرد فى فصل الشتاء وقد عرفنا من ذلك قصر الصنبرة فى الجنوب الغربى من تلك البحيرة ولكن أهمها هو القصر الذى بنى فى خربة المفجر قرب أريحا لهشام بن عبد الملك (اللوحة رقم ٢٥) •

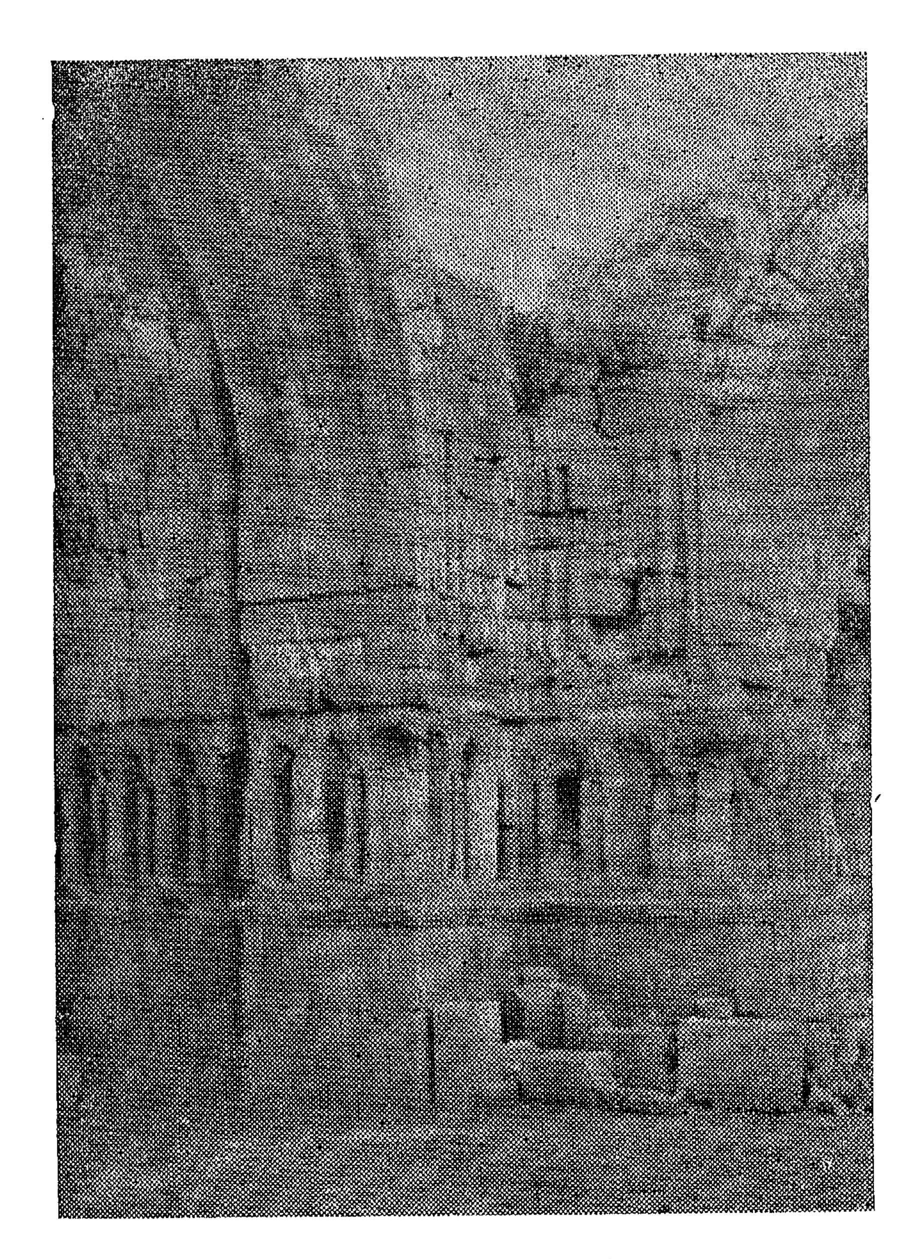
فى سنة **١٩٣٢** عينت طائرة خطاً من البناء على تل أثرى يبعد ثلاثة كم فى الشمال الغربى من أريحا يسميه المجاورون خربة المفجر ، وفى ثانى سنة بدأت دائرة الآثار الفلسطينية تحفر فيه وكانت الدلائل تشير الى انه بناء بيزنطى حتى عثروا على قطع من الرخام كتب عليها (لعبد الله هشام أمير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد عفى الله الأمير بحفظه ونصر جنده كتبت اليك كتابى هذا وأنا ••• ك) من هذا النص يعزو الأثريون بناءه الى الخليفة هشام ١٠٥ ـ ١٢٥ هـ • وهو أعظم القصور الاسلامية على الاطلاق وزاد صفحة بيضاء من صفحات الأمويين التى كنا نجهلها فهو يجمع بين ترف المدن وحرية الصحراء وانطلاق



اللوحة رقم ٢٣ ـ قصر طوبة الغدف



اللوحة رقم ٢٤ – زخارف قصر المشتى الموجودة الآن في برلين



اللوحة رقم ٢٥ - قصر هشام فى ضربة المفجر



اللوحة رقم ٢٦ ـ تمثال في قصر هشام

الحياة فيها ، كما يدل على مرونة العرب فى الاستفادة من فنون سوريا والعراق واستخدامها فى تحقيق رغباتهم الارستقراطية .

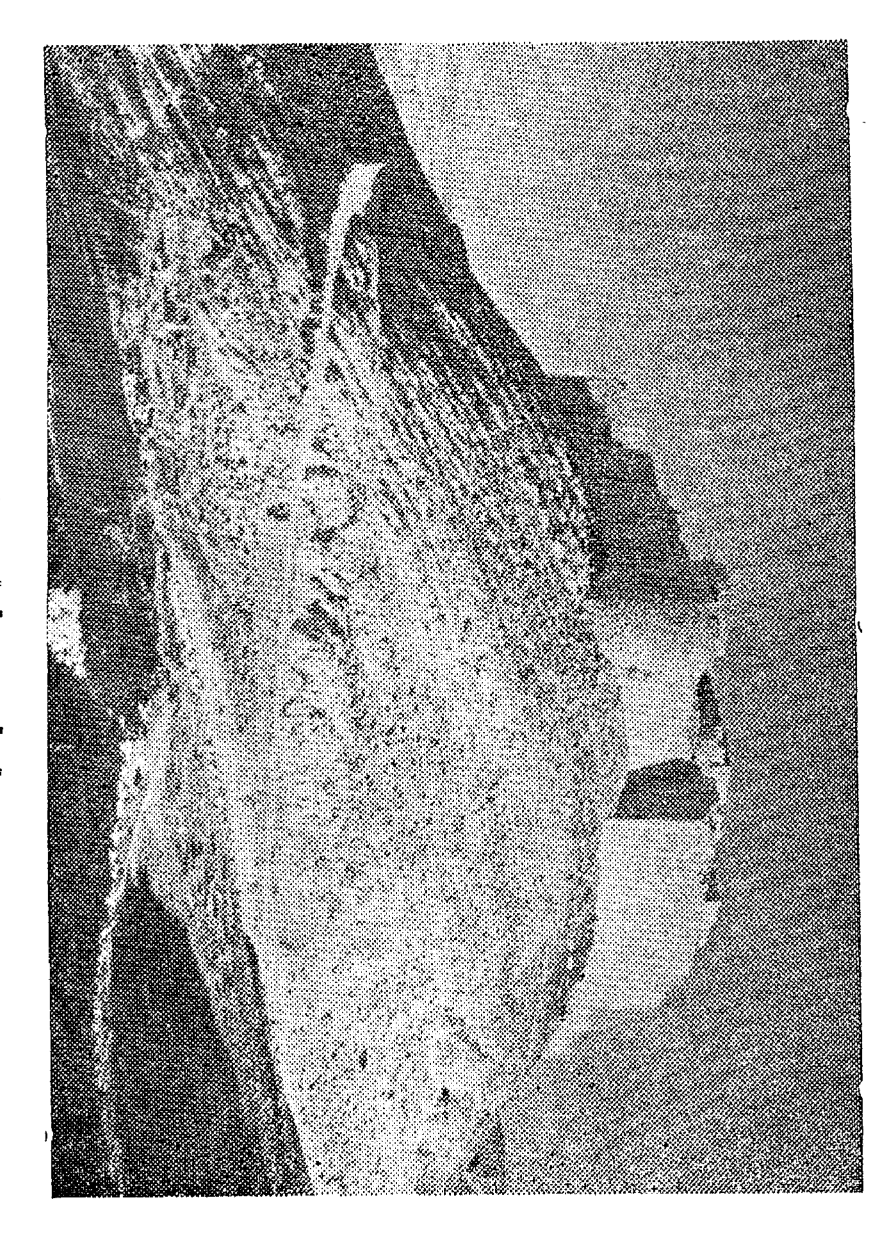
نجتاز السور الخارجى من باب شرقى قام على جانبيه برجان مستديران لندخل الى الرحبة الأمامية التى يبلغ طولها ٣٠٠ م وعرضها ٤٠ م وكان يحيط بها من جهاتها الأربع أروقة ذات أقواس فاذا خطونا الى الامام كان على يميننا بركة كانت مقصورة ومدهونة بالأحمر والأصفر وكان الماء يتدفق من نافورة فى وسطها . ثم نعود لندخل البوابة الرئيسية لنجد فيها ثلاث متكآت مستديرة يمتد عليها الحراس كما كانوا يتمددون على رحال الجمال فى البادية وفوق المقاعد زنار مزخرف بنقوش الزهر والورق وفوقه ثلاث محاريب نصبت فيها التماثيل وغطتها أقواس نصف دائرية تشبه ما هو موجود فى قبة الصخرة. وكان هذا المدخل مسقوفاً بالقرميد . فاذا انتهينا من المدخل وصلنا الى ايوان تقوم حوله جدران كانت مغطاة بالجبس عليها رؤوس بشرية تغطيها عمائم الرجال وخُمر النساء مع كثير من الطيور والحيوانات البرية والأهلية . وكان الصحن مبلطا ببلاط أسود جلب من منطقة مقام النبى موسى وتحت هذا البلاط مصارف ينصرف فيها الماء الى خارج القصر ، وفى الزاوية الجنوبية الشرقية مسجد خاص للخليفة كانت جدرانه مغشاة بالرخام الأبيض وهو خال من أى نوع من الصور وبجانبه مقر الخليفة وقد ألحق به الحمام الخاص وفيه بيت النار وحوض الماء الساخن ومخدع الاستراحة وقد رصفت أرضه بالفسيفساء الملونة . وفى الشمال ايوان واسع ٢٩ × ١١ مترا قامت فيه أعمدة تحمل سبع قباب وقد تكون هذه قاعة الاستقبال الرسمية وقد فرشت بفسيفساء كأنها سجادة مختلفة الألوان . فى جدرانها الداخلية عدة مشكاوات يقف فى كل مشكاة تمثال امرأة أو رجل من جوارى وخدم الخليفة (اللوحة رقم ٢٦) . ويلحق بهذه القاعة الحمام الذى فيه شجرة النارنج أو الرمان وحولها السباع والغزلان المصنوعة من أدق فصوص الفسيفساء وأجملها . وفى خارج الحمام تظهر أجزاء أخرى للحمام البارد والساخن وللغرب من هذه البقعة يوجد الجامع لسكان القصر وقد ثبت انه كان من طابقين وقد اشترك فيه عمال مسلمون كجعفر وعنان وسعيد ومسيحيون كقسطنطين وسيمون ويوحنا ومرقص ويكاد يكون من

الثابت أن الطابق السفلى قد تم ولكن الطابق العلوى لم يتم اذ فاجأه زلزال قضى عليه سنة ١٣٠ ﻫ • (٧٤٧ م) وليس لدينا أى دليل يثبت لنا أن الخليفة شتى فيه مرة واحدة • ولقد جمعت من هذا القصر قطع مختلفة ومجسمات صنعت من الجبس أو من الحجر ووضعت فى المتحف الأثرى الفلسطينى فى القدس وان دائرة الآثار لتوليه عنايتها الشديدة من حيث الترميم والاصلاح وقد ألحقت به متحفاً محلياً فى عام ١٩٦٢ •

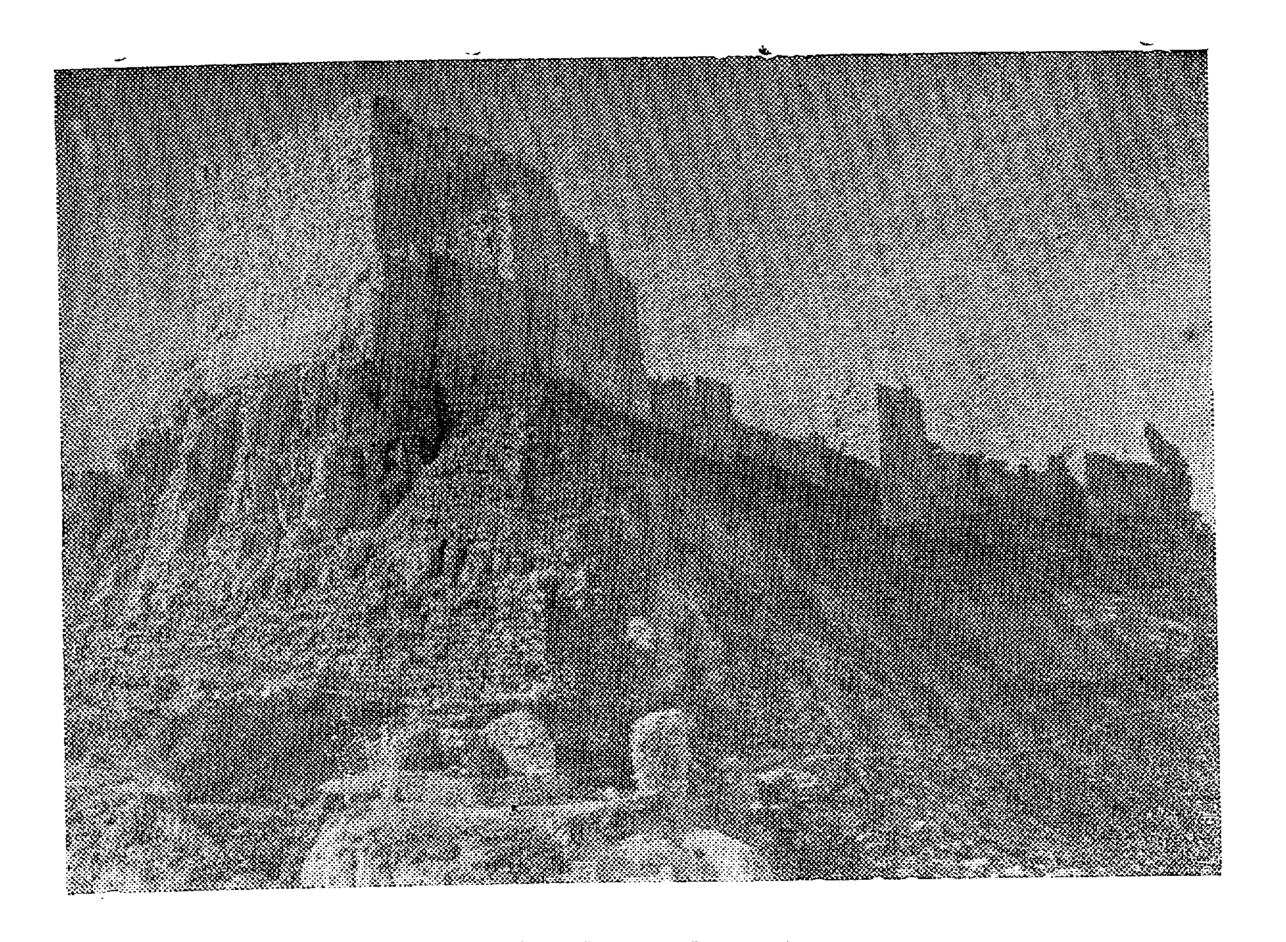
قلاع الحروب الصليبية

قلعة الشوبك :

فتح الصليبيون مدينة القدس سنة ١٠٩٩ م • وبعد سنة توفى غودفرى بالطاعون وخلفه أخوه بولدون الأول ملكاً على القدس وأسرع بتوسيع حدوده شرقاً فأغار على البلاد التى فى شرقى البحر الميت وفى عام ١١١٥ م اختار قمة بارزة فيها خرائب قلعة قديمة وبنى فيها قلعة سماها مونتريال ونحن نسميها اليوم قلعة الشوبك وفى العام التالى زار بولدون هذه القلعة ومنها توجه الى البتراء وبنى فى مرتفعاتها قلعة الوعيرة ثم أبعد الى الجنوب حتى وصل الى العقبة وأمر ببناء قلعة فى جزيرة فرعون الواقعة فى خليج العقبة • وفى عودته من بمعان وأمر ببناء قلعة فيها • وقد رتب لجميع هذه القلاع حماة من رجاله كما عين أحد فرسانه المسمى هايان حامياً لقلعة الشوبك • وبقيت فى أيدى الصليبيين حتى استرجعها صلاح الدين سنة ١١٨٩ م • وانتقلت بعد صلاح الدين الى أخيه الملك العادل واستمرت فى أولاده حتى حول ابنه المعظم عيسى الأراضى التابعة لها الى روضة غناء تضاهى دمشق ببساتينها ومياهها وتزيد عنها بطيب هوائها وجلب اليها غرائب الأشجار لا سيما المشمش الذى كان يحمل منها الى مصر • واذا كان التاريخ يسجل للملك الأشرف خليل بن قلاوون فضل الاستيلاء على آخر حصن صليبى فى عكا فانه لن يغفر له أمره بتخريب قلعة الشوبك سنة ٦٠٢ ﻫ (١٢٩٢ م) بناء على نصيحة شيخ قبائل بنى عقبة الذى كان يقصد القضاء على هذا الحصن الذى كان يراقب حركات البدو ويقضى عليها ويفرض الأمن فى الطرق الموصلة بين البلاد الاسلامية • ولم يبق منها سوى الأسوار والباب الرئيسى •



اللوحة رقم ٢٧ – قلعة الشوبك



اللوحة رقم ٢٨ – قلعة الكرك

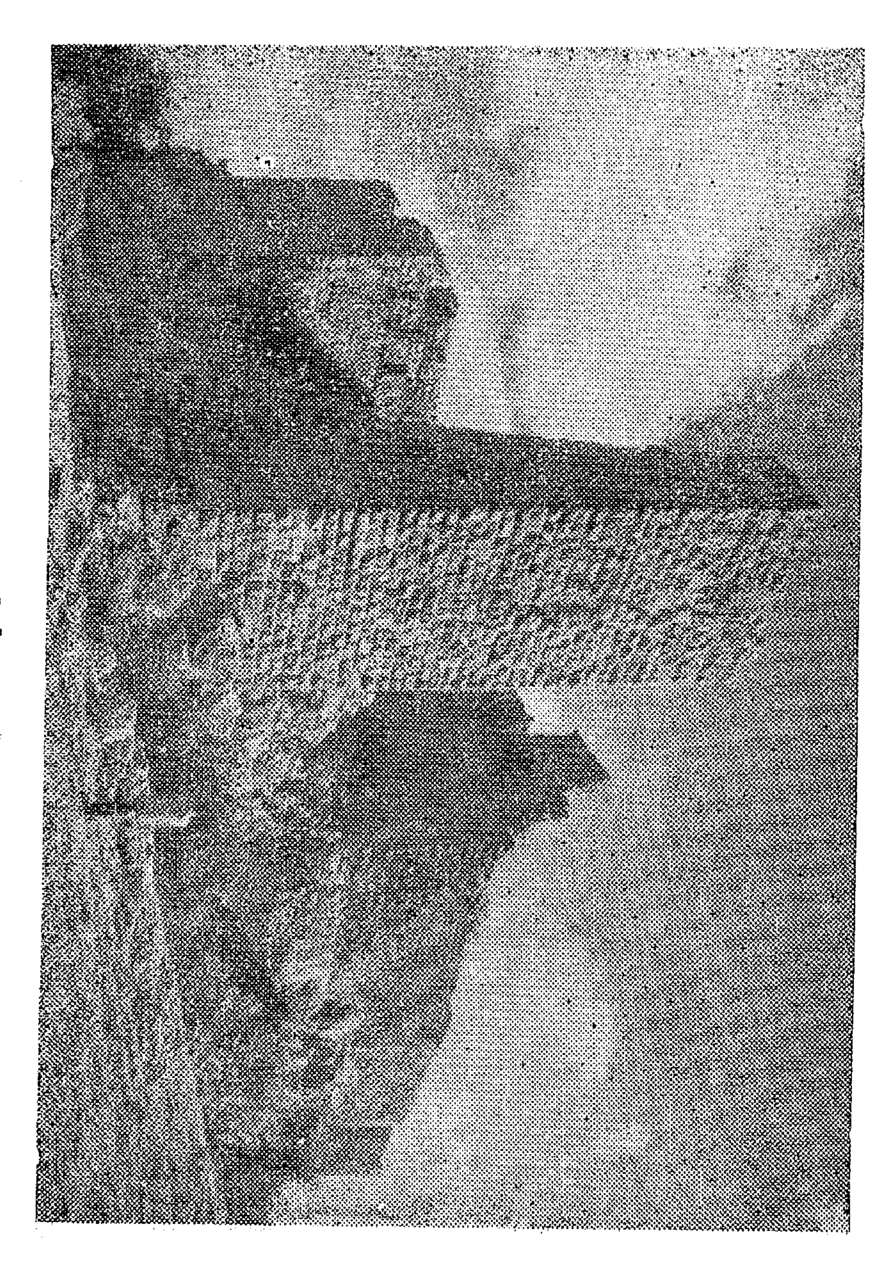
وأغرب ما فيها البئر التى تهبط ٣٧٥ درجة حتى تصل الى نبع الماء الذى كان ضرورياً جداً لأصحاب القلعة وقت الحصار (اللوحة رقم ٢٧) .

قلعة الكرك :

استمر حكم بولدوين ثلاث سنين وخلفه صهره فولك صاحب انجو الذى أمر بانشاء قلعة فى الكرك التى تبعد ١٢٧ كم عن الشوبك شمالا – بناها على مرتفع حصين تحيط به الوديان التى تنخفض نحو ألف قدم ودعاها صخرة الباديه أو كرك مؤاب Kerek de Moab وأصبحنا نكتفى بكلمة كرك . وبذلك تحققت سياسة بولدوين وأصبحت الكرك أمنع حصن صليبى فى الجانب الشرقى من الأردن والبحر الميت . واستمر العمل فى بنائها حوالى عشر سنين وأحيطت بسور بنى من الحجارة الضخمة . نزوره اليوم من الشمال فنتجاوز الخندق المقطوع فى الصخر والذى كان يمتلىء بمياه الأمطار ولكن الأتربة تراكمت فيه هذه الأيام حتى ملأت أمامنا الآن السور الشمالى وقد بنى من أنواع مختلفة من الحجارة الضخمة وقد تآكل كثير منها . نتخطى الباب الذى بناه الجيش العثمانى فتشاهد باحة واسعة تفصل بين جزئى القلعة – الغربى والشرقى . نخطو الى الأمام فوق منحدر على سطوح القاعات الغربية وفى وسطها تبرز غرفة مستديرة حول عنقها نوافذ يدخل النور منها . ندخلها من الشمال لتهبط بنا السلالم والأدراج الى قاعة طولها نحو ١٥٠ متراً وقد رمم وأصلح أكثر من نصفها بحيث أصبح صالحاً للاستعمال . وفى طرفها الشمالى الشرقى درج يصعد بنا الى الطبقة العليا التى كان الأتراك قد اتخذوها اصطبلا لخيولهم . وتصل بين القاعتين فى الزاوية الشمالية الغربية فتحة ربط فيها سلة أو حبل لارسال ما يحتاجه سكان الطبقة السفلى بشكل مستعجل . اذا عدنا الى المخرج فان الساحة تقودنا حتى نلج بابا عن اليمين يهبط بنا الى مقصورة طولها ١٤ متراً ونصف . ذلك وفى جدرانها خمس نوافذ ينفتح منها على الخارج مزاغل وطلاقات لمراقبة المهاجمين . وتشكل كل نافذة منها غرفة تسع سريرين وطاولة بينهما . وقد حولت القاعة والنوافذ الى بيت شباب . ثم نخرج من هذا البيت الى الباحة مرة أخرى لنطل من نوافذ الأقواس الغربية على الوادى السحيق تحتها ... ثم نعود الى الباحة فنتسلق

سفحاً بسيطاً يقودنا الى القسم الشرقى من القلعة وهو يتألف من طابقين فيهما العقود الحجرية والواسعة فان انتهينا منها درنا نحو الشرق فرأينا فى جدارها حفراً بارزاً لرجل كان العامة يظنونه لصلاح الدين • وقد يكون من صنع الأنباط قبل صلاح الدين بأحد عشر قرناً وقد وضعه البناء الصليبى فى هذا الجدار عن غير قصد ثم ندخل حى المرافق من المساكن والمطاحن والأفران ومعاصر الزيت وكل ما يحتاجه سكان هذه القلعة المعرضين للهجوم عليها فى هذا الوسط الاسلامى المعادى • ونسرع فى هذه الممرات المعتمة لنخرج الى الواجهة الجنوبية وهى من اضافات المماليك فاذا ساعدتنا الأعصاب المتينة فاننا نصعد الى ذروتها لنلقى نظرة على الخندق الجنوبى وهنا تشعر النفوس بالرعب ثم نحول النظر الى جسر طبيعى يمر عليه الناس الى الرقبة الجنوبية التى تربط البلد بمرتفعات الجنوب • فاذا انتهت زيارتنا عدنا الى الباب لنجد من سياح الفرنج من يشهد بأنهم الآن فى أضخم قلعة صليبية قائمة ولكنها بعيدة عن بلاد بناتها الافرنج الذين تركوها لأصحابها بعد حروب طاحنة •(اللوحة رقم ٢٨) •

ومن أشهر فرسان قلعة الكرك ريجونالد نابليون الذى يسميه العرب أرناط وكان من أشد الناس على قوافل المسلمين بمرورهم الى الحجاز ولذلك قتله صلاح الدين بيده عندما انتصر فى معركة حطين وقد اهتم الملك العادل بعد أخيه صلاح الدين بقلعة الكرك • وقد اعتصم بها الظاهر بيبرس وحصنها وبنى فيها برجاً فوق صخر عال يشرف على الوادى الغربى وكتب اسمه عليه ثم حصلت زلازل هدمت بعض الأسوار والأبراج أعاد بناءها الملك الناصر محمد بن قلاوون وتعرف اليوم بأبراج الصعوب والقطاونة والطشسات ويشرف كل برج منها على أحد المداخل المؤدية الى المدينة ـ تلك المداخل التى ظهرت بشكل سراديب تؤدى الى داخل المدينة ـ ثم سقطت المدينة بيد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٦ • وفى سنة ١٩٠٤ هدمت ثغرة من السور وأصبحت هى المدخل الرسمى لمدينة الكرك •



اللوحة رقم ٢٩ — قلعة ربض عجلون

قلعة ربض عجلون :

اختار عزالدين أسامة بن منقذ ـ بأمر صلاح الدين ـ خرائب كانت حصنا رومانيا فوق رابية عالية وبنى فيها قلعة تعرف اليوم باسم قلعة الربض أو ربض عجلون وهى تقابل القلعة الصليبية التى نسميها كوكب الهوى فى الشمال من بيسان بفلسطين • ويظهر انه استعمل بنائين من بقايا الصليبيين فى المنطقة المجاورة فجمعوا الحجارة القديمة أو قطعوها من جديد ودقوها واستعملوا النحت المائل من اليمين الى الشمال وحفروا على بعضها العلامات المميزة لبعض فرق الفرسان الصليبيين • وجاء البناء على الطراز المألوف فى أوروبا خلال القرن الثانى عشر قبو أنبوب للدهاليز وعقد متصالب للقاعات والعلالى • ومن هنا ظن البعض أن هذا البناء صليبى • ولكن أقواس القلعة جاءت مدببة تشبه قلعة باب الخليل بالقدس وقلعة العادل فى القاهرة • وتعتبر قلعة ربض عجلون هذه أجمل بناء اسلامى حربى وأكمله بعد قلعة حلب الاسلامية • وقد أحيطت بسور عرضه ٢ ـ ٣ أمتار وبرز فى جوانبها عدة أبراج مربعة وأضيفت اليها زيادات فى عصور متتالية ولكنها بقيت كلها ضمن الخندق المحفور حولها فى الصخر والذى عرضه ١٥ ـ ٢٠ مترا الا من جهة الشرق فان العرض لا يزيد على خمسة أمتار حيث كان يمتد بين البر وباب القلعة الوحيد جسر متحرك يرفع حين الخطر • تكاد هذه القلعة تكون بلدة قائمة بذاتها من حيث أنها تضم طاحونة القمح ومعصرة الزيت والعنب والمخابز وآبار الماء واصطبلات الخيل • ومن طلاقاتها ومزاغلها ومكاحلها كان حماتها يصوبون آلات قتالهم ويرشقونها على العدو المهاجم • واليوم اذا وقفت على سطح هذه القلعة ظهر لك أن عز الدين أسامة وفق الى أبعد حدود التوفيق فى اختيار هذا المكان ، فهو يشرف من الغرب على الغور ويمتد النظر الى سلسلة جبال فلسطين كما يسيطر على ثلاثة أودية تبدأ من الغور وتمتد بين الجبال حتى تتوغل فى داخل المنطقة التى كانت تسلكها الطرق الرومية •

ولما استولى على ملك صلاح الدين أخوه الملك العادل عين مملوكه ايبك بن عبد الله نائبا له فى عجلون فزاد على قلعتها البرج الجنوبى وكتب على بلاطة فى الجهة الشرقية منه (بسم الله الرحمن الرحيم أشاد هذا البرج

المبارك ايبك بن عبد الله أستاذ دار الدولة المعظمة فى شهور سنة احدى عشر وستمائة) • وفى أيام صلاح الدين الثانى أضيفت اليها اضافات فى الواجهة الشرقية من البرج الشمالى وقد كتب عليهـا « جدد فى أيام مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين ، الملك العزيز محمد خلد الله ملكه بنظر العبد الفقير محمد زيد صاحب عنتاب » • ولما زال حكم الصليبيين من البـلاد تحولت قلعة عجلون مركزا للحمام الزاجل فى سفره بين دمشق والقاهرة كل يوم حتى دخلت تحت الحكم العثمانى وتعرضت الى زلازل كثيرة ومع ذلك فانها لا تزال محافظة على أسوارها وأبراجها وقاعاتها ومقاصيرها ولا تحتـاج الا الى ترميم بسيط لتستعمل فندقا سياحيا لا مثيل له فى العالم (اللوحة رقم ٢٩)

القـــدس *

أقدم أسمائها هو يوراسليم وقد مر بها ابراهيم الخليل سنة ١٨٠٥ ق٠م وقد استضافه وأكرمه شيخها الكنعانى ملكى صادق الذى كان معروفا بالعفـة والصــــلاح •

وفى سنة ١٠٤٩ ق٠م اشـترى الملك داوود بيـدر أرنان اليبوسى ليبنى عليه بيتا للرب ولكنه توفى تاركا العمل لابنه الملك سليمان الذى بنى الهيكل المشهور فى أورشليم •

وفى سنة ٥٨٦ ق٠م فتح نبوخذ نصر البابلى مدينــة أورشليم وهدم هيكل سليمان وسبى سكانها الى بابل ولم يعودوا اليها الا بعد أن زالت دولة بابل على يد قورش ملك فارس سنة ٥٣٩ ق٠م وقد بنى نحميا هيكلا صغيرا على خرائب هيكل سليمان •

وفى سنة ٣٣١ دخلها الاسكندر المقدونى وظلت فى حكم اليونان حتى فتحها القائد بومبى سنة ٦٣ ق٠م وأدخلهـــا فى حكم الرومان الذين نصبوا عليها ملكا اسمه هيرودس ولد فى زمانه السيد المسيح الذى عندما صـــار رجلا أصبح يتردد على الهيكل للوعظ والارشاد واعتبره كهنة اليهود ثائرا خطرا على تعاليمهم • ولما عزموا على التخلص منه غادر المدينة والتفت اليها وهو على جبل الطور وخاطبها : يا أورشليم : يا أورشليم : يا قاتلة الأنبياء والمرسلين ••• أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخهـا تحت جناحيها • ولكنكم لم تريدوا ••• هو ذا بيتكم لكم خرابا •

ولما عاد اليها ليبشر برسالته قبضوا عليه وحملوا الحاكم الرومانى على الحكم عليه بالاعدام •

---

* كتب هذا الفصل قبل وقوع القـدس فى يد الصـهاينة الذين عاثوا فسادا بالمقدسات الاسلامية والمسيحية فيها ، وسـتعود القدس عربية كما كانت باذن الله •

وفى سنة ٦٦م ثار اليهود على الحكم الرومانى فجاء القـائد الرومانى تيطس واخترق الأسوار سنة ٧٠م وحرق جنوده الهيكل الثالث الذى كن قد بنـاه هيرودس الكبير •

وفى أثناء حكم الامبراطور هدريان (١١٧ - ١٣٨ م) عزم على تفتيت كيان اليهود وتشتيت جموعهم بتحويل المدينة الثائرة الى مدينة رومانيـة • فثار اليهود وقاوموا ذلك لكنهم هزموا ومزقوا وأصدر هدريان قرارا يمنع دخول اليهود اليها ورتب الحراس لمنعهم من الاقتراب منها • ثم بنى مدينـة جديدة فوق أنقاضها سماها « ايليا كابتولينا » نزل فيهـا الرومان وزينوهـا بالأبنية الرومانية العامة من مسارح وحمامات ومعابد وثنية • وأمر الحـاكم الرومانى بحرث أساس الهيكل وابتنى فوقه معبدا وثنيـا لجوبيتر وغطى قبر المسيح بطبقة من الطين وبنى فوقه معبدا لفينوس وبذلك امحت كل الذكريات اليهودية •

وفى سنة ٦١٤ م دخل كسرى ملك الفرس مدينة ايليـا وقتل من أهلها ٩٠ ألفا وسلب الصليب الحقيقى وأحرق كنيسة القيامة •

وفى سنة ٦٣٦م (١٥ هـ) دخلهـا عمر بن الخطاب وكتب لأهلهـا أمانا على أرواحهم وأموالهم وكنائسهم وقبـل بشرط البطريرك سفرونيس ألا يسكن فيهـا أحد من اليهـود • وعاشت فى ظل الحكم الاسـلامى هادئة مطمئنـة •

وفى سنة ١٠٩٩ م دخلها الصليبيون فذبحوا ٩٠ ألفا من سكانها وحولوا الحرم الى بركة من الدماء •

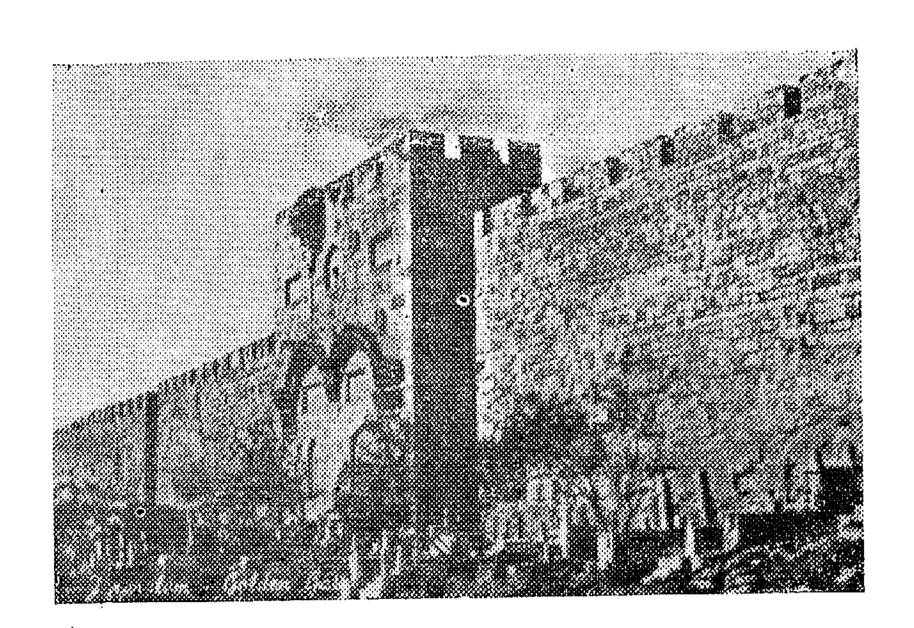
وفى سنة ١١٨٧ م دخلها صلاح الدين فمنحها السلم والأمان وسـمح لأعدائه الفرنج من سكانها أن يغادروها بسـلام الى بلادهم • وهكذا يحق لبيت المقـدس أن تفتخر بيومين من أيام حياتهـا - يوم عمـر ويوم صـلاح الدين •

وفى آخر شهر من سنة ١٩١٧ فتحها الجنرال اللنبى البريطانى فأصبحت من ذلك الوقت ميدانا لمعارك حرب بين العرب واليهود الى أن حلت النكبة سنة ١٩٤٨ فقسمت بين الخصمين وأعطيت القدس القديمة للعرب والقدس الجديدة لليهود وبذلك ظهرت أعظم مهزلة فى تاريخ الانسان الحديث •

الأسوار والأبواب :

فى سنة ١٩٤٧ قمت برحلة حول أسوار القدس الحالية • بدأتها بباب الخليل أو (باب يافا) وقد فتحت فيه ثغرة ليدخل منها امبراطور ألمانيا عندما زار القدس سنة ١٨٩٨ كما دخل منها الفاتح البريطانى اللنبى سنة ١٩١٧ • الفتحة تلاصق أسوار القلعة التى يعود أسفلها الى أيام هيرودس وأوسطها من بناء المماليك فى القرن الرابع عشر وأعلاها من بناء العثمانيين فى القرن السادس عشر وفيها عدة أبراج وفيها مسجد تشرف مئذنته على الأحياء المحتلة من القدس فى هذه الأيام •

واصلت السير حتى باب النبى داوود (باب صهيون) وهو فى برج من أسوار المدينة وله باب عظيم بمصراعين كتب عليه تاريخ البناء فى سنة ٩٢٧ هـ (١٥٤٠م) • غيرت الاتجاه من الغرب الى الجنوب حتى وصلت الى باب (المغاربة) والذى كان عاليا جدا ولكن الأنقاض طمرت منه ٤٨ قدما ولم يبق فوق الأرض سوى عشرة أقدام ومنه تدخل السيارات الى حى الأرمن • وقد كشفت الحفريات عن باب يدعى (باب النبى) ويدعوه البعض باسم مكتشفه باركلى Barklley واصلت السير الى الزاوية الجنوبية الشرقية من سور الحرم وقد بنيت من حجارة ضخمة • وفى الشرق مررت بباب مزدوج يسمى (باب الدهرية) (اللوحة رقم ٣٠) وفى وسطه عامود يفصل ما بين باب التوبة وباب الرحمة ويسميه الافرنج الباب الذهبى • وفى أيام الصليبيين كان يدخل منه المحتفلون بأحد الشعانين الى الهيكل ولذلك أقفله المسلمون فى الحكم العثمانى سنة ١٥٣٠ • واصلت السير الى باب حطه وقد علاه الأسد الذى كان علامة لأبنية الملك الظاهر بيبرس ويسمى أيضا باب (ستنا مريم) ويؤدى الى طريق



اللوحة رقم ٣٠ ـ باب الدهرية

الآلام • على يميننا المقبرة اليوسفية حتى وصلت الى (برج اللقلق) وهو الزاوية الشرقية الشمالية من هذا السور الذى يتجه نحو الغرب حتى باب الزاهرة (باب هيرودس) ثم مررت بمحجر سليمان الى أن وصلت الى باب العمود الذى بناه سليمان القانونى سنة ٩٤٤ هـ على باب أقدم منه وقد كشفت الحفريات الأخيرة عن جدرانه وعن احدى فتحاته وقد ظهرت صورة عمود فيه على خريطة القدس المعاصرة لأيام المسيح وجدت مرصعة بالفسيفساء فى كنيسة مادبا سنة ١٨٩٧ • والباب الاسلامى هذا يقوم على أعمدة نحيفة سامقة تحمل مثلثا عليه كتابة عربية تؤرخ البناء وتحته قوس محدبة جميلة وهو من أروع مناظر البناء الاسلامى فى هذه البلاد ويسميه البعض باب النصر أو (باب دمشق) • واصلت السير حتى الباب الجديد الذى فتحه السلطان عبد الحميد وأتممت الرحلة الى باب الخليل وكنت قد قطعت نحو أربعة كيلومترات • وقبل سنة ١٩٠٠ م لم يكن خارج هذا السور الا قليل جدا من البيوت وكانت أبوابه تغلق فى المساء وتفتح فى الصباح أما الآن فلا فائدة حربية منه ولكنه يبقى أثرا فريدا من نوعه ، وأجزاؤه فى الجنوب والشرق والشمال بيد العرب ، أما الجزء الغربى فيفصل بين العرب واليهود فى المدينة المقدسة • وبهذه المناسبة نذكر أنه كان فى القدس القديمة ثلاثة أسوار اختفى معظمها ولم يبق منها الا الجزء الذى يحيط بالحرم الشريف • والمهم فى تاريخ المسيحية أن يكون الصلب قد جرى خارج الأسوار ، أى أن كنيسة القيامة كانت خارج أسوار القدس أما اليوم فانها داخلها ، وذلك يعنى أن جميع المقدسات المسيحية والاسلامية تقع ضمن القدس العربية •

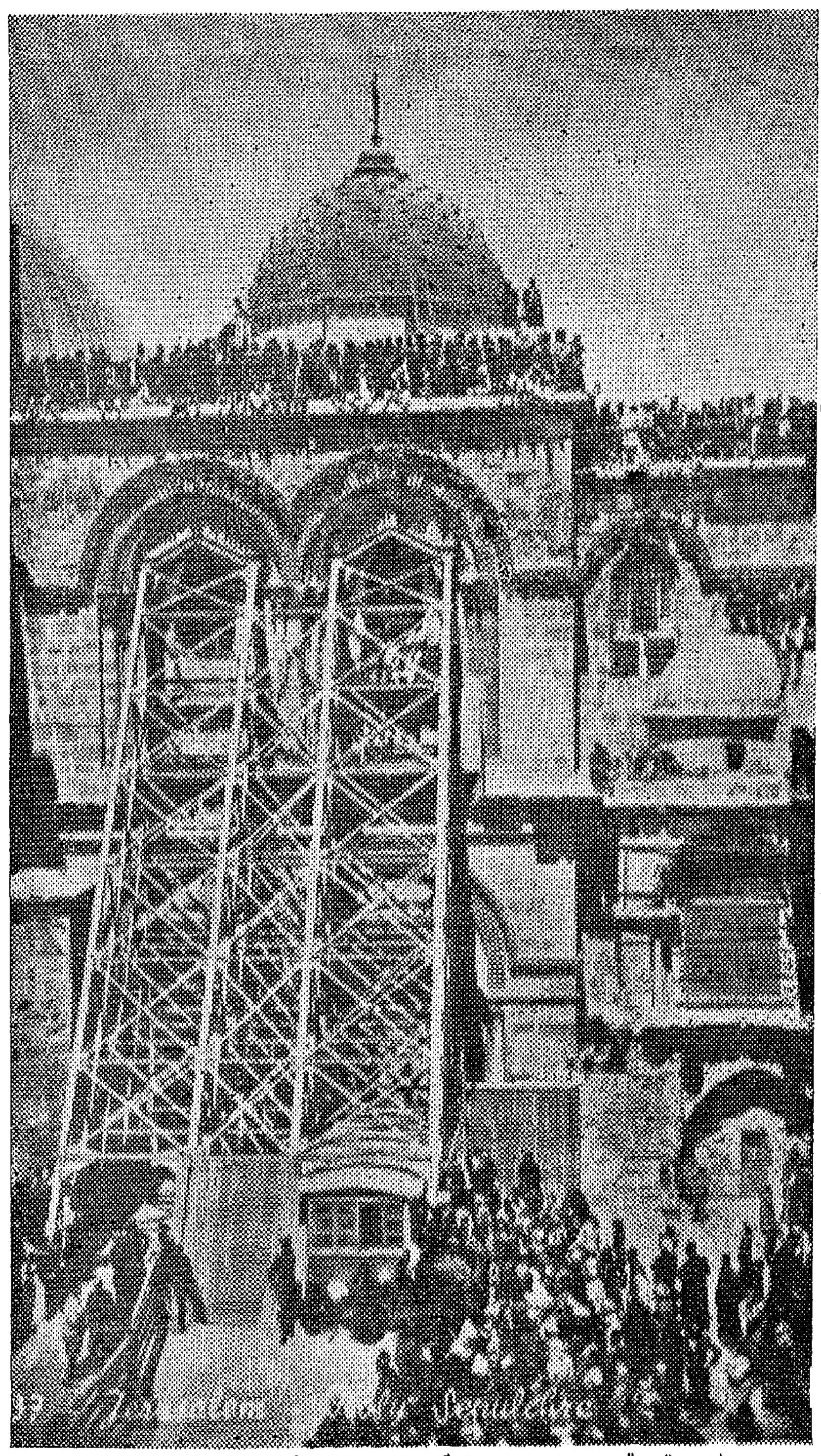
كنيسة القيامة :

تذكر الأناجيل أن أحد تلاميذ المسيح واسمه يهوذا الاسخريوطى سلم سيده وهو يصلى فى بستان جشمنى الى اليهود ، فحاكموه أولا عند رئيس الكهنة ثم عند بلاطس الوالى الرومانى وحكموا عليه بالموت صلبا • فحمل صليبه وخرج ليصلب على أكمة خارج السور تدعى الجلجثة — أى الجمجمة — ثم دفنه يوسف الرامى فى القبر الذى كان قد نحته فى الصخر

لنفسه • وفى سنة ١٣٦ م بنى هدريان معبدا وثنيـــا لفينس ونصب عليه تمثالها للاغاظة •

وفى سنة ٣٢٦ م جاءت هيلانه أم الأمبراطور قسطنطين ـ الذى أصبح حاميا للايمان المسيحى ـ الى القدس واكتشفت مكان الصلب ومكان القبر فأمر ابنها الأمبراطور ببناء كنيسة على الجلجثة مكان الصلب وكنيسة ثانيــة على القبر المقدس • ومع توالى العصور بنيت عدة كنائس حول هاتين الكنيستين حتى وحدها الصليبيون كلها تحت سقف واحد فصارت كنيسة واحدة تسمى كنيسة القيامة أو كنيســـة القبر المقـــدس وأصبحت قبلة المسيحيين فى العالم • (اللوحة رقم ٣١) •

ندخل الكنيسة من الباب الرئيسى فى الجنوب فنلاحظ على يسارنا دكة عالية يجلس عليها متسلم مفاتيح القيامة ومعه بوليس وكلاهما مسلم ومهمتهما الحيلولة بين رهبان الطوائف المختلفـة ولا سيما بين الأرثوذكس واللاتين • أمامنا حجر أحمر مستطيل تدلى فوقه قنـــاديل وشمعدانات للطوائف الأربع الحق فى انارتها ويدعى حجر المغتسل • وبعـد خطوات الى اليمين نرى بابا لغرفة مظلمة فيه قبران(غود فرى وأخيـــه بولدوين) أول اثنين من ملوك الصليبيين • اذا صعدنا الدرج القائم فوق الغرفة نصل الى جبل الجلجثة حيث صـلب المسيح وجلد حتى مات (حسب العقيدة المسيحية) نرى تمثالا للعذراء مريم وقد رصع بالجواهر والحجارة الكريمة وحوله هدايا ونذر قدمها الزوار • ثم نهبط الدرجات فى الشمال لنعود من الجلجثة الى أرض الكنيسة ونسير قليلا لنزور القبر المقدس الذى بنى تحت قبة يحملها ١٨ عمودا مربعا يقسم القبر الى غرفتين نرى فى وسط الأولى منها الحجر الذى يقـــال أنه كان على باب القبر والذى دحرجته الملائكة عن فم القبر حتى تمكن المسيح من القيام • وفى هذه الغرفة ١٥ قنديلا لطوائف الروم واللاتين والأرمن والأقباط • نلج بابا صغيرا يؤدى بنا الى القبر المقدس وهو مغطى ببلاطة كبيرة من الرخـام وقد علق فى سقف القبر ٣٤ قنديلا للطوائف الأربع • هذا هو القبر الذى يبعث الحياة فى القلوب الحزينـــــة ويبعث الأمل فى النفوس اليائســة لكل مؤمن بالمســـيح •



اللوحة رقم ٣١ ـ واجهة كنيسة القيامة أثناء الترميم عام ١٩٦٦

والى الشرق من القبر المقدس نجد كنيسة القيامة وهى تخص الروم الأرثوذكس وهى واقعة داخل قوس الامبراطور قسطنطين وتسمى كنيسة نصف الدنيا • والى الجهة الشمالية والجنوبية فى هذه الكنيسة كرسيان — الشمالى منهما لبطريرك أنطاكيا والجنوبى لبطريرك القدس — واذا خرجنا قوس قسطنطين والتفتنا قليلا الى اليمين نجد شرقى كنيسة الكاثوليك كهفا ننزل فيه على درج الى كنيسة القديسة هيلانة للأرمن •

بناء كنيسة القيامة من الداخل يشبه بنثيون روما فى شكله وفى فكرة أنه قائم على ضريح الشهيد الضحية وقد أضاف اليها الصليبيون اضافات على الطراز الذى كان شائعا فى أوروبا خلال القرن الثانى عشر ولقد تعرضت كنيسة القيامة للزلازل والحرائق كان آخرها سنة ١٩٠٨ عندما أتت النار على جميع أبنيتها فسقطت القبة وتحطمت كما تحطم هيكل القبر وتهشمت الأعمدة وساح الرصاص ولم يسلم الا قسم قليل من الجهة الشرقية • وهنا تضافرت الدول المسيحية على أعمارها فبنيت فى سنة ١٨١٠ على شكلها الحالى • ولكل من الطوائف المسيحية نصيب فيها — خلا الطائفة البروتستنتية — وكل طائفة تعرف ما يخصها وهى لا تسمح لطائفة أخرى بأن تتعدى عليها فاذا حاولت احداهن أن تتعدى قامت فى وجهها الطوائف الأخرى • وكثيرا ما سفكت فيها دماء الرهبان • وكل طائفة تستند فى أملاكها على بيانات من الدول التى حكمت هذه البلاد • وفيها من التحف النفيسة والآثار الثمينة والجواهر الكريمة ما ليس فى غيرها ، ففيها سيف بطرس الأكبر قيصر روسيا وانجيل لا يعرف بالتدقيق تاريخ كتابته • واليها يحج فى كل عام جموع كثيرة ولا سيما فى عيد الفصح • ومن أشهر أيامها يوم سبت النور •

الحرم الشريف :

يضم الحرم الشريف سدس مساحة القدس القديمة الواقعة ضمن الأسوار وفيه عدة أبنية أهمها قبة الصخرة والمسجد الأقصى • قال الرسول عليه الصلاة والسلام (صليت ليلة أسرى بى الى بيت المقدس عن يمين الصخرة •• صخرة بيت المقدس من صخور الجنة) •• وعنها عرج النبى الى السماء

واتخذها المسلمون قبلتهم الأولى حتى السنة الثانية من الهجرة عندما حولوا وجوههم الى المسجد الحرام فى مكة . حول هذه الصخرة بنى عبد الملك ابن مروان سنة ٧٢ هـ (٦٩١ م) مسجدا ليرغب الناس فى زيارة بيت المقدس لقوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) ... ولقوله عليه السلام : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة : بيت الله الحرام ومسجدى والمسجد الأقصى . ويعتبر المسلمون الصلاة فى الحرم القدسى بخمسمائة صلاة .

اذا زرنا هذا المكان المبارك نرى أمامنا بناء مثمن الشكل طول ضلعه ٢٠ر٦٠ مترا وارتفاعه ٩ر٥ أمتار صفح أسفله بألواح الرخام الأبيض المعرق وغشى أعلاه بالقاشانى الذى كتبت عليه سورة (يس) . وندخل المسجد من أحد أبوابه الأربعة وقد برع المهندس الذى شيد هذا البناء بأن جعل الداخل من أى باب يستطيع أن يرى جميع مافيه من الأعمدة والأساطين التى أمامه مباشرة لا يحجبها عن نظره شىء . نصل الى تثمينة مرفوعة على ثمانية أساطين و١٦ عموداً ، ثم الى تثمينة أخرى مرفوعة على ١٢ عمودا وأربع أساطين أسطوانة بين ثلاثة أعمدة عليها دائرة أو رقبة عالية تحمل القبة التى ترتفع ٢٠ متراً عن الأرض وقد كتبت على الرقبة من الداخل سورة (طه) والقبة الحالية أمر بصنعها الحاكم الفاطمى سنة ١٠٢٢ م محل القبة الأصلية التى سقطت قبل ذلك بست سنوات وهى مزدوجة ــ داخلية صنعت من الخشب المغطى بطبقة من الجبس المزخرف بمجموعة من الفصوص الذهبية بألوان كثيرة أظهرها الأصفر والأزرق والأحمر وقد نقشت عليها آية الكرسى بماء الذهب . وينفذ من جدرانها أربعون نافذة تطل على المسجد وقد كتبت عليها بالذهب أسماء مصلحيها كصلاح الدين وقلاوون . وفوق هذه القبة الداخلية قبة خارجية أخرى من الخشب الذى كان مغطى بصفائح من الرصاص استبدلت فى سنة ١٩٦٢ بصفائح الألمنيوم المطلى بماء الذهب . وبين القبتين ممشى دائرى يصعد منه درج الى الهلال الذى يعلو القبة .

بينما نحن ندور حول الصخرة التى أحيطت بدرابزين خشبى حفر

حفراً فنياً نؤخذ بهذا الجلال وذلك الجمال • لا سيما الزجاج الملون فى نوافذ البناء والحفر والتنزيل والنقوش المتنوعة والتى قل أن يجتمع مثيل لها فى بناء واحد وقد جاءت لتدل على ما وصلت اليه حضارة العرب والاسلام فى هذه الفنون الجميلة •• الى أن نصل فى الجنوب الشرقى الى باب يهبط بنا ١٦ درجة ويوصلنا الى الغار الشريف فنرى فيه مصلى الخضر ومصلى ابراهيم • ومن الباب الشرقى نخرج الى قبة السلسلة التى هى شكل مصغر عن قبة الصخرة •

المسجد الأقصى :

من مسجد الصخرة نتجه نحو الجنوب حتى نهبط الدرج المؤدى الى الكاس أى البركة التى يتوضأ من صنابيرها المصلون ••• يجابهنا المسجد الأقصى بأبوابه السبعة ، ونلاحظ أن أوسطها أعلاها ومنه ندخل الى البهو الأوسط الذى يعلو عن الابهاء الجانبية • ومعظم الأبنية الحالية فى المسجد الأقصى أمر ببنائها الملك المعظم – عيسى – بن أخى صلاح الدين سنة ١٢٣٦ م• ومع ذلك بقيت البناية متأثرة بشكل الكنيسة البيزنطية من الطراز الباسليكى • ويبلغ طول المسجد الأقصى ثمانين متراً وعرضه خمساً وخمسين مترا • وقد جددت جميع أعمدته القديمة • وينتهى المسجد فى الجنوب بالمحراب المرصع بالفسيفساء وعلى يمينه المنبر المصنوع من أرز لبنان والمطعم بالعاج والصدف وقد نصبه هنا صلاح الدين عندما استرجع القدس من الصليبيين • ها نحن نقف تحت قبة ترتفع سبعة عشر متراً وقد نقش داخلها وزين بالفسيفساء الذهبية بأشكال الأزهار والأوراق والأغصان كما صفحت من الخارج بالرصاص ••• هنا محاريب باسم كثير من الأنبياء ••• هنا تعبد الأنبياء والأولياء والصالحون •• اننا فى مكان رحب هادىء جميل جليل فما أعظمها من متعة روحية وما أشد حاجة العالم اليها •• اذا التفتنا الى الوراء نرى دكة المؤذنين التى قامت على ١٤ عموداً من الرخام • واذا سرنا الى يسارنا نحو الشرق دخلنا الامتداد المسمى جامع عمر طوله ٣٠ متراً وعرضه ٨ أمتار ، وخلفه مقام يحيى بن زكريا والى الغرب مسجد النساء (اللوحة رقم ٣٢) •

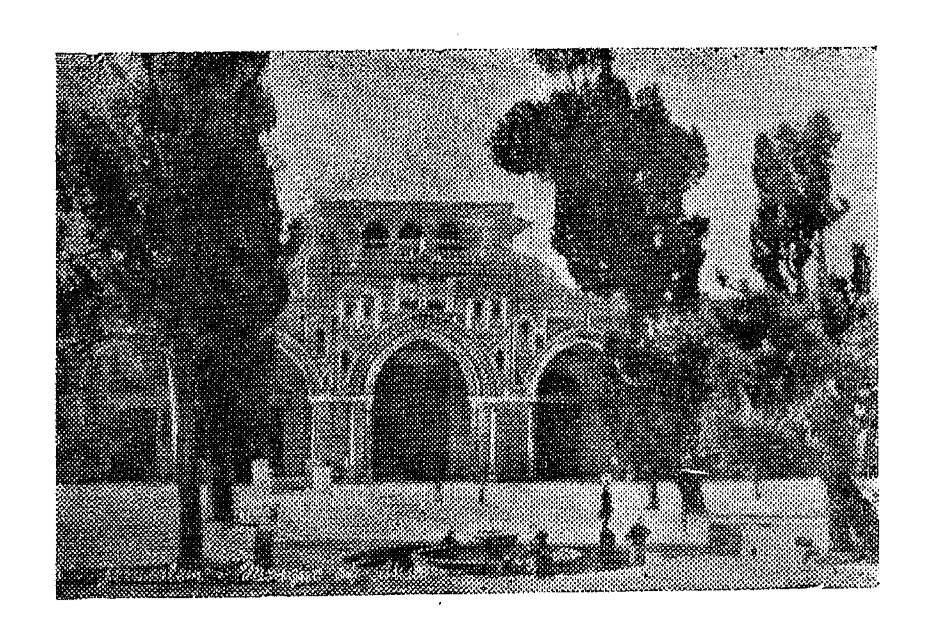
نعود فنخرج من الأقصى العليا لنهبط الى الأقصى التحتى القديمة وقد تكون

من بناء قيصر الروم جستنيان سنة ٥٣١ م • ثم نعود ونصعد ٣٦ درجة ونتجه نحو الشرق الى أن نصل الى الزاوية الجنوبية الشرقية من السور ونهبط ٥٤ درجة حتى نصل الى ما يعرف باسطبل سليمان وهو بناء بيزنطي أيضاً ويتألف من عدة أروقة ذات أقواس عقودها محمولة على أعمدة من الحجارة الضخمة وهي مساحة تعادل الساحة المبلطة من جدار المسجد الأقصى الى السور شرقاً وله شبابيك وطاقات تطل على سلوان وتعطيه النور الكافي •

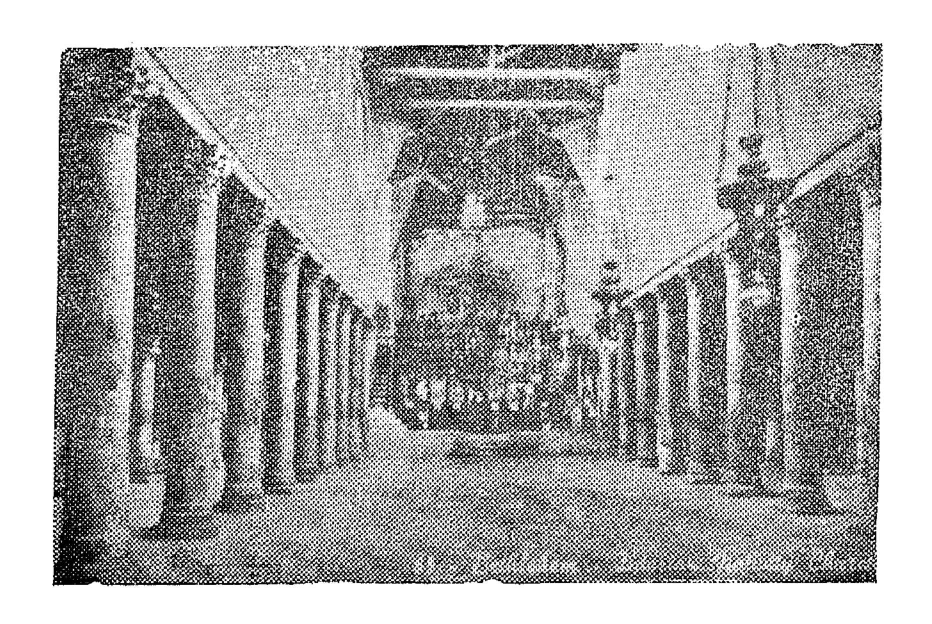
وللحرم عدة أبواب من الجهتين الشمالية والغربية وأشهرها باب القطانين ومنه تتدلى المقرنصات الجميلة • أما الجدار الغربي فيعرف بجدار البراق أو المملوكي • وفيها من مظاهر فن البناء الاسلامي ما يملأ كتاباً • كما نشاهد في باب السلسلة نقشا رائعا على سبيل ماء وحول الحرم أربع مآذن • وعلى أبنيته خطوط من الكوفي القديم الى الرقعي الحديث ما يصلح لأن يعطينا فكرة عن تطور الخط العربي •

كنيسة المهد في بيت لحم :

بعد أن تقطع سيارتنا ١٦ كم في الجنوب من القدس تصل بنا الى بيت لحم وتقف أمام ساحة المهد ثم نهبط منها مسرعين الى ساحة طولها ٣٠٠ قدم وعرضها ١٣٠ قدما وقد بلطت بهذا البلاط الجديد حديثاً • وتقوم على أرضية مرصوفة بالفسيفساء وقواعد الأعمدة • على اليمين يرتفع دير الأرمن•أمامنا الباب الصغيرالذي نضطر للانحناء عند دخوله نقف في رواقه الذي يحجزه حاجز خشبي عن صحن الكنيسة • نجتاز بابه لنقف قليلا وننظر يمينا وشمالا وفوقاً • فوق رؤوسنا سقف عال جداً نصب فوق الصحن الأوسط • وعلى جانبيه صحن عن اليمين وصحن على الشمال أوطى منه • في الفرق الحاصل بين الجانبين والوسط فتحت نوافذ تضيء هذا المكان الواسع • على جانبينا أربعة صفوف من الأعمدة في كل صف ١٢ عموداً من المرمر الأبيض ذي لمعة حمراء فوق الأعمدة جدار كان مزيناً بفصوص الزجاج الملون الذهبي تظهر فيها صور القديسين الأوائل وأباء الكنيسة والسيد المسيح وأسرته مع الحوادث التي جرت له منذ ولادته الى صعوده يضاف الى ذلك المجامع الكنسية ومقرراتها



اللوحة رقم ٣٢ ـ المدخل الرئيسى للمسجد الأقصى



اللوحة رقم ٣٣ ـ كنيسة المهد من الداخل

تزينها زهور وصلبان تعلوها الأناجيل ونخطو الى الأمام حتى نصل الى الهيكل « المذبح » للروم الأرثوذوكس .

بنيت هذه الكنيسة بأمر القديسة هيلانة أم الأمبراطور قسطنطين سنة ٣٢٦ م ثم دمرها السامريون عندما ثاروا على الحكم الرومانى الى أن جددها الامبراطور البيزنطى جستنيان سنة ٥٢٩ م وهو البناء الذى نراه الآن. أما بناء قسطنطين فينخفض تحت هذا البلاط بنحو متر ونصف المتر وفيه الفسيفساء الرائع تمكن مشاهدتها من الفتحات المغطاة بألواح الخشب . وفى زمن الصليبيين لبست وغشيت جدرانها بالفسيفساء السابق الذكر كما أضافوا اليها عدداً من الأديرة أخذت شكل القلاع الحصينة . نلاحظ ان هذا البناء هو على الطراز الباسليكى - بناء مستطيل ينتهى بذراعين جانبيين وبرأس نصف مستديرة . (اللوحة رقم ٣٣) .

مغارة الميلاد :

تحت الهيكل أو المذبح الكبير نهبط ١٥ درجة من جهة اليمين ويتصدر المغارة من الشرق مذبح رخامى ناصع البياض ثبتت تحته نجمة كبيرة من الفضة الخالصة . نقش عليها باللاتينية ما معناه هنا ولد المسيح بن مريم العذراء. نلتفت الى الخلف لنرى المدود الذى وضعت فيه العذراء مريم وليدها يسوع. والكهف مزين بصور زيتية من صنع فنانين طليان واسبان ، منها صورة العذراء والطفل منقولة عن رفائيل وصورة المجوس الثلاثة الذين بشروا بالميلاد ومقدم الرعاة . وفوق المدود لا ينفك البخور يحترق ناشرا أريجه حتى أعالى الكنيسة وقد كسيت جدران الكهف بستائر لا تحترق . ثم نلج مدخلا سرياً وهو السرداب الذى كان يتعبد فيه المسيحيون الأوائل سراً حتى نصل الى مغارة القديس جيروم الذى أمضى حياته فيها وترجم الكتاب المقدس من العبرية واليونانية الى اللاتينية .

* * *

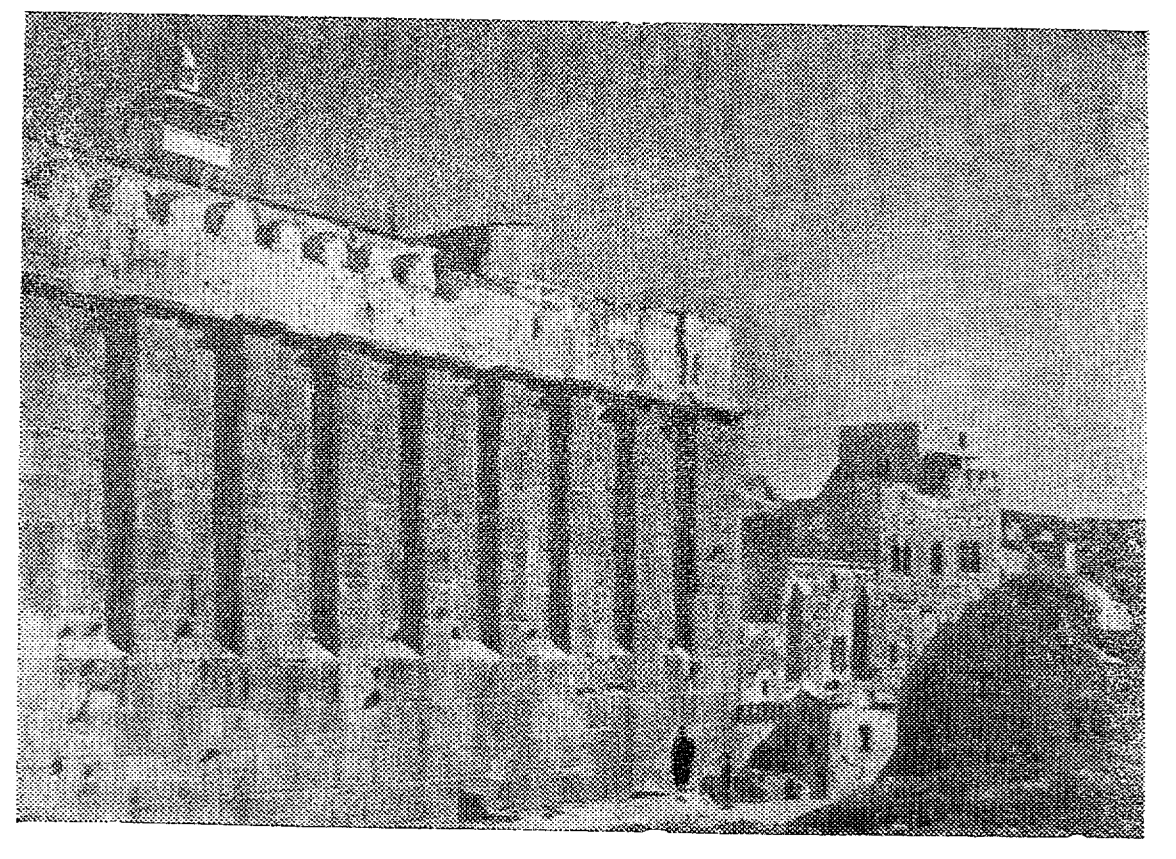
الحرم الابراهيمي في الخليل

نغادر بيت لحم جنوباً وبعد أن نقطع ٢٧ كم نقف أمام الحرم الابراهيمى الشريف ، حرم بنى الله ابراهيم جد العرب أبنـاء اسماعيل من أمه هـاجر المصرية وهو الذى سمـاهم المسلمين • وعندما توفيت زوجته سـارة اشترى ابراهيم مغارة المكفيلة من عفرون الحثى الادومى ليدفن فيهـا زوجته ثم دفن للفرامل فى ورش الصيانة) فانه يمكن مباشرة بدون اجراء تجارب عملية بتدفيع هو بجوارها فيما بعد وأصبحت هذه المغارة مقبرة لذرية ابراهيم •

بنى هيرودس الادومى فوق هذا المكان الذى يعلو ألف متر عن سطح البحر - قلعـة وقصراً وأحاطهمـا بسـور من حجـارة ضـخمة على الطراز الرومانى •

وعنـدما فتـح العرب المسلمون فلسـطين اتجهت أنظارهم الى أضرحة الأنبياء هذه وسموها خليل الرحمان حسب الآية « واتخذ الله ابراهيم خليلا » وقد ذكرها النبى فى حديثه بقوله : « خير المهاجر مهاجر ابراهيم » وسـماها الرحالة العرب مشهد ابراهيم • وقد بنى الأمويون مسجداً فـوق الأضرحة غطوه بقبة • وفى العصر العباسى فتح الخليفة المهدى باب السـور الحـالى من الشرق • ولمـا احتل الصليبيون مدينة الخليل جعلوا من الحرم قصراً لملكهم وثكنة لجنودهم وديراً لرهبانهم • ولمـا استخلص صـلاح الدين المدينة منهم وضع فى الحرم المنبر الفاطمى الذى جلبه من مشهد الحسين فى عسقلان وصنع له المحراب ودكة المؤذنين• ووقف الملك المعظم على الحرم قريتى دورا وبنى النعيم سـنة ٦١٢ هـ • أما الظاهر بيبرس فقـد أعاد بنـاء المسـجد وعمـل له الشرفات • وأدخل النـاصر محمد بن قلاوون على بنـاء المسجد من العمـارة والترتيبات ما جعله من أفخم مسـاجد الدنيا ويعتبر رابع مسجد فى الاسـلام ويبلغ طوله ٦٥ مترا وعرضه ٣٥ •

نخطو بضع خطوات حتى نتسلق درجا يؤدى بنـا الى المدخل الذى على اليمين • نصعد هذه الدرجات لنجتاز الباب ونمشى فى ممر عريض على جانبيه



اللوحة رقم ٣٤ – الحرم الابراهيمى بالخليل

الحجارة الضخمة من أيام هيرودس والتى يبلغ طول بعضها سبعة أمتار فى متر ونصف عرضاً ، قطعت وصقلت من الحجر المزى الصلب وبنيت بلا مونة « طين » فى هندسة عجيبة • نرى عن يميننا صحنا مكشوفاً يقسم الحرم الى قسمين غير متساويين ـ أحدهما فى الشمال ويضم المسجد المسقوف والذى تغطيه القبة الكبيرة التى بناها المنصور بن قلاوون وتحتها ضريح ابراهيم وسارة فى قبة مسدسة الأضلاع • ثم ضريحا اسحاق ورفقة وكلاهما مسدود وبينهما رواق مربع ثم قبرا يعقوب وليا وفى الجدار القبلى باب رصفت جوانبه بالفسيفساء • وللجامع ثلاثة مماش وسقفه يرتفع على أربع سوار وأعمدة متشابكة وفى صدره محراب بديع الصنعة زين أعلاه بفصوص من الذهب • وفى جانب المحراب المنبر الفاطمى الذى حفرت عليه كتابة بالخط الكوفى تدل على أنه صنع فى زمن المستنصر بالله الفاطمى ليوضع فى عسقلان • ويقابله دكة المؤذنين المرفوعة على أعمدة من الرخام •

وثانيهما فى الجنوب المسجد الذى أنشأه أبو سعيد سنجر الجاوى • ويصل بين المسجدين رواق معقود على باب السور الشرقى • ويرتفع سقف هذا المسجد على اثنى عشرة سارية وتعلوه قبة لطيفة •

تقدم تكية سيدنا ابراهيم بعد صلاة الظهر وجبة الطعام من القمح المسلوق واللبن واللحم يتناول منه الغريب والفقير من أبناء البلد من أوقاف هذه التكية المنتشرة فى قرى الخليل • وفى خروجنا نرى قبر سيدنا يوسف خارج الجدار الغربى ويستطيع الزائر شراء الهدايا من زجاج الخليل التقليدى (اللوحة رقم ٣٤) •

★ ★ ★

المتحف الأثرى الفلسطينى

كان المرحوم جون روكفلر تبرع فى أكتوبر سنة ١٩٢٧ بمبلغ مليونى دولار ، منهما مليون للبناء والاثاث ومليون ليكون نواة لوقف يكفى دخله السنوى لاستمرار المتحف فى القيام بواجباته .

أقيم البناء على أرض مساحتها أربعون دونما (عشرة أفدنة) فى الأرض المعروفة بكرم الشيخ وهو يحمل اسم قصر الشيخ الخليلى الذى اشتهر بشجرة الصنوبر التى عرفت به منذ سنة .. ولقد قام بالبناء المهندس على الأساليب المحلية المعروفة فى البلاد مع مراعاة الحاجات العصرية ولذلك جاء مظهره الرائع موازيا لمحتوياته المدهشة . وقد علته القباب والعقود المتقاطعة والأقواس والسطوح المستوية مع البرج العالى بحيث كونت تناسقا اجماليا فى البناء .

ولقد وضع الحجر الأساسى المندوب السامى على فلسطين السير جون شانسلر John Chancellor فى التاسع عشر من حزيران سنة ١٩٣٠ وقد فتح المتحف أبوابه لاستقبال الزوار فى ١٣ يناير سنة ١٩٣٨ مبتدأ بالقاعة الجنوبية واستمرت الأعمال جارية حتى محتويات القصر الأموى فى خربة المفجر بأريحا فى الصالة الغربية .

وتعتبر الحديقة الواقعة أمام المتحف أجمل حديقة فى القدس وتعطيها ظلال أشجار الزيتون روعة خاصة تلك الأشجار التى قلعت من أمكنة متباعدة فى نفس الكرم وجمعت فى هذه البقعة متراصة .

صمم البناء المهندس المعمارى السيد أوستن هاريسون HARRISON فجاء يتألف من ساحة سماوية مكشوفة فى الوسط قامت على جوانبها أروقة وفى وسطها بركة كما يحف بها وعلى طولها القاعة الشمالية والقاعة الجنوبية المعدتان للعرض . وهناك قاعات للمكتبة والمطالعة ومدرج للمحاضرات ومكتب للتسجيل وغرفة للعمل واستوديو للتصوير مع

مكاتب للادارة ومخازن للمواد الأثرية التي ترد الى المتحف حيث تنظف وترمم وتدرس قبـــل عرضهــــا •

أمـا أرضية الأبنية فقد صنعت من الفلين وذلك لكي لا يسـمع لأقدام الزائرين أصوات وهم يدورون على المعروضـــات • وقد صنعت الأبواب من خشب الجوز التركي • أما الباب الأمامي فقد صنع من البرونز فاذا اجتــازه الزائر وجد أمامه نموذجاً من هذا البناء يعطيه فكرة واضحة عن المتحف •

وقـد قام المرحــوم أريك جيــل Gill بعمل رسومـات على لوحـات كبيرة علقت على الجدران العاليـة • وفوق المـدخل الامـامي ترتفع لوحـــة دائرية تمثل التقاء آسيـا بافريقيـا في فلسطين التي كـانت تشبه جسرا بينهمـا وقـد مثـل لذلك بشجرة زيتون • وحول البركـة وعلى جـدران الرواقين عشر لوحات تمثل الأقطـار المختلفـة وسكانهـا الذين أثروا في حضارة هذه البلاد وتاريخها •

تضم المكتبة مصادر عن الآثار والفنون والتاريخ والدين والجغرافيـــا المتعلقة بفلسطين والبلاد المجاورة وقد زاد عددها على ٣٥ ألف مجلد •

وضعت سجلات المتحف وقيوده بجوار غرفة المطالعة وفيهـــا جمعت وحفظت المعلومات التي تتعلق بالمواقع والأبنية الأثرية في البلاد • وقد رتبت المواقع حسب الأبجدية وألحقت بهـــا الصور والمخططات والرســومات مع الفهارس المطولة ، كما توجد مجموعة طيبة من الخرائط ومصورات البلاد •

محتويات المتحف :

يعرف قانون الآثـار الأردني الأثر بأنـه كل مـا عمله الانسـان قبل سنة ١٧٠٠ ميلادي أو بقايا الحيوان والانسان حتى سنة ٦٠٠ م مخلفات هـــذه العصور تجمع وترسل الى المتحف فالى التنظيف ثم التجبير ثم الى الرسم ثم التصوير ثم الدراسة وأخيرا الى العرض •

١ ـ ساحة العرض العامة : تحتوى القاعات العامة على معروضات أعدت لغير ذوى الاختصاص وللطلاب المبتدئين • والقصد منها استعراض فترة ما قبل التاريخ فى هذه البلاد . وقد أختيرت مواردها ورتبت حسب التسلسل التاريخى بحيث يشعر الزائر انه يعيش فى مختلف العصور يتدرج من مخلفات انسان العصر الحجرى الى مخلفات العصر الحديث • ويمكن استعارة دليل المتحف للاستفادة منه أثناء الزيارة ثم اعادته •

٢ ـ غرفة الطلاب : تضم كميات أكبر مما هو فى قاعة المعروضات والغاية منها الدارسة بالمقارنة وقد رتبت أيضاً حسب التسلسل التاريخى بعد أن وضعت فى خزائن وصناديق لاستعمال الطلاب والعلماء الاختصاصيين •

٣ ـ مجموعات المخطوطات : وهى مخزونة فى الطابق السفلى •

زيارة المتحف :

سبق وأن ذكرنا أن الزائر يدخل من الباب الجنوبى الى القاعة حيث يشاهد النموذج المجسم للمتحف وحوله يستطيع أن يشترى ما يشاء من صور المتحف وبعض المعروضات من السلايدات الملونة ولا سيما ما يتعلق منها بمخطوطات البحر الميت ثم يجتاز أمام مكتب بيع التذاكر الى قاعة مستعرضة حيث يشاهد ما عرض من الرسوم المصرية والعراقية القديمة كما يشاهد الكتابات على الحجارة من العصر البرنزى المتأخر الى العصر الحديث الأول وكل ما هو فى المتحف قد جمع من هذه البلاد• يتقدم الزائر حتى يدخل القاعة الجنوبية التى تضم مخلفات العصر الحجرى من نحو ٢٠٠٠٠٠ سنة الى نهاية العصر البرنزى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد وخلف هذه القاعة توجد الغرفة الجنوبية التى وضعت فيها الأخشاب المنزلة والمطعمة والمحفورة فنياً من القرن الثامن للميلاد وقد أوتى بها الى هنا من المسجد الأقصى بعد أن استبدلت بمواد جديدة •

يتقدم الزائر حتى يدخل الصالة الغربية التى يشاهد بها القصارة والجبس وقد حفرت عليها الزخارف ثم الصور بالألوان ـ الفرسكوب ـ وقد جيء

بها من حمام قصر الخليفة الأموى هشام فى خربة المفجر قرب أريحا ـ ذلك القصر الذى امتد بناءه من ٧٢٤ - ٧٤٣ م وقد دمره تدميراً تاماً زلزال سنة ٧٤٦ م •

بعد الاجتياز من الصالة الغربية فى الطريق الى الغرفة الشمالية مجموعة فريدة من نوعها من المجوهرات ـ عرضت على بساط من المخمل فى خزانة عرض خاصة ـ تعود بتاريخها من ١٧٠٠ ق•م الى ٧٠٠م • وتتألف من عقود وأقراط وخواتم ودلايات وعصبات ذهبية للرقص •

من هنا يتقدم الزائر الى الغرفة الشمالية ليصل الى معرض النقود الذى يضم مجموعة سكت واستعملت فى البلاد من القرن الخامس قبل الميلاد الى القرن السادس عشر بعد الميلاد • كما تحتوى هذه الغرفة أيضاً على أسرجة كانت تضاء بالزيت من العصر البرنزى الى العصر الاسلامى والغاية من عرضها اظهار تطور هذه الصناعة •

حتى اذا فرغ الزائر منها تقدم الى القاعة الشمالية حيث يشاهد مخلفات العصر الحديث الأول منذ ١٢٠٠ ق • م الى أن يصل الى آخر العصور الأثرية التى تنتهى سنة١٧٠٠ م • ويعنى ذلك مجموعة من الآثار الاسرائيلية والفارسية والهيلانية والرومانية والبيزنطية والاسلامية •

خلف الجناح الشمالى للبناء يوجد معرض خاص لمخطوطات البحر الميت تعرض فيه المواد التى وجدت فى خربة قمران التى تبعد ١٢كم عن أريحا ـ تلك الخربة التى كانت النزلة الرئيسية لطائفة الأسينيين • وقد اكتشفت الدروج والمخطوطات مخبوءة فى ١١ كهفا أخرج منها نحو ٦٠٠ مخطوط وهى عبارة عن نصوص من التوراة وشروح عليها وبعض الكتب المنحولة أو غير المعترف بها ، مع مزيد من الأنظمة والتعاليم والمعتقدات لطائفة الأسينيين • وقد حصل عليها المتحف بالشراء أو المشاركة فى البحث والتنقيب حتى أصبح يضم أكبر كمية منها فى العالم • وهى قانونا ملك للحكومة الأردنية •

ادارة المتحف :

بعد زوال الانتداب عهد بادارة المتحف الى لجنة أمنـــاء من ممثلين عن هيئات علمية ومعاهد أثرية وبعضهم سفراء وهم اثنان من أميركا واثنان من بريطانيا واثنان من فرنسا وواحد من الســويد . وليس للحكومة الأردنيـة سوى ممثلين هما مدير الآثار ووكيل وزارة الخارجية .



آثار انفرد بها الأردن دون اقطار المعمورة

الأردن بلد المقدسات والأديان السماوية الثلاثة • فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومهد عيسى ومهبط الأنبياء • ومن الناحية الجغرافية فهي أوطىء بقعة فى العالم اذ ينخفض البحر الميت عن سطح البحر ما يقرب من ٣٩٣ مترا أما الناحية الأثرية ففي الأردن أقدم مدن العالم على الاطلاق وهي مدينة أريحا القديمة وفيها ظهرت أول جماجم بشرية مجصصة فى العالم وأول عمليات جراحية أجريت لجماجم بشرية وقدانفرد الأردن بحصون الملفوف المستديرة التى لا يضاهيها طراز لا فى الشرق الأوسط فقط بل فى العالم وفيها أنصاب الدولمنز التى لا توجد الا فى الضفة الشرقية من الأردن وقليل منها فى جنوب حوران وفيه اكتشفت مخطوطات البحر الميت فى القمران واكتشف كهف أهل الكهف المذكورين فى القرآن الكريم ، وفيها مدينة البتراء الفريدة فى بيوتها ومعابدها وقبورها •

(١) مدينة أريحا القديمة :

تقع أريحا القديمة فى سهل الأردن بقرب عين ماء غزيرة تسمى عين السلطان وتنخفض عن سطح البحر ما يقرب من ٢٥٠ قدما • كشفت الحفريات التى أجرتها المدرسة البريطانية الأثرية فى القدس فيما بين ١٩٥٢ – ١٩٥٤ عن أقدم برج فى العالم بنى من الحجارة الخامية (الدبش) على شكل مستدير ويرتفع حاليا مسافة ١١ مترا عن قاعدته وبه ٢٢ درجة حجرية داخل سرداب يبتدأ من بابه فى الجهة الشرقية وينتهى بأعلاه • ويرجع تاريخ هذا البرج وحواليه بعد الفحص الكربونى ١٤ حوالى ٧٨٠٠ + ٢١٠ أى حوالى ٧٠٠٠ سنة ق•م• وقد كشف الحفر عن أسوار المدينة القديمة التى ترجع بتاريخها للعصور البرونزية القديمة حوالى ٣٠٠٠ سنة ق•م وكشفت أيضا عن أسوار

---

* بقلم الأستاذ رفيق الدجاني – المساعد الفنى لمدير الآثار •

مدينة العصور البرونزية المتوسطة التى ترجع بتاريخها ما بين ٢٠٠٠ ــ ١٦٠٠ ق٠م٠ ولم تعثر هذه الحفريات على أية بينة من العهد الاسرائيلى مما يدل كما تقول الدكتورة كانيون على أن الاسرائيليين لم يسكنوا قط أريحا وقد عثرت الدكتورة كانيون على مساحة صغيرة مربعة يقرب مساحتها مترا واحدا مع حائط صغير من العصر البرونزى المتأخر أى ما بين سنة ١٦٠٠ ــ ١٣٠٠ ق٠م٠ وهو زمن سبق قدوم الاسرائيليين الى هذه البلاد ٠

(٢) جماجم أريحا المجصصة :

فى سنة ١٩٥٣ عثرت الدكتورة كانيون على عدد من الجماجم فى طبقة العصر الحجرى المتأخر وهذه الجماجم هى الأولى من نوعها لا فى الأردن وحده بل فى العالم فقد وجدت مجصصة بالطين المشوى بشكل يبرز ملامح الوجه والوجنات والجبين بصورة مماثلة لما كان يكسو الوجه من لحم فى شكله الحقيقى مع الاحتفاظ بالفكين والأسنان أما العيون فقد وضع فى محاجرها أصدافا تشبه بؤبؤ العين وتعطى الصورة الأصلية للعين ٠

اختلف علماء الآثار فى تفسير الغاية التى من أجلها جصصت هذه الجماجم بعضهم قال أنها جماجم آبائهم وأجدادهم أو البارزين فى المدينة وقد جصصت لتحفظ الطابع الأصلى لملامح الوجه وكان الأقدمون يعبدون الأجداد والأسلاف ويقدسونهم أما النظرية الأخرى فيعتقد بعض العلماء أنها جماجم الأعداء الذين هاجموا مدينة أريحا وقتلوا ووضعت جماجمهم على أسوارها ارهاباً لمن تسول له نفسه بمهاجمتها ٠

(٣) العمليات الجراحية قديما :

وكذلك عثر فى قبور أريحا بالقرب من التل على جماجم أجريت عليها عمليات جراحية فقد عثر على جمجمة فى أعلاها ثقب مستدير نقر بالأدوات الصوانية FLINTS وبالقرب منه ثقب آخر نقر قبل الأول وكاد الجرح يبرأ بدليل أن العظم أخذ يحيط ويمتد حول الثقب ليلتحم ٠ وهناك جمجمة ثالثة فتح فى أعلاها فتحة مربعة بطول ٣ سم تقريبا وقطع الأمواس الصوانية

BLADES على الجرح واضح وظاهر للعيان وكذلك عثر فى أحد كهوف الغور قرب أريحا على قطع من القطن والخرق داخل محجر عين الجمجمة مما يدل على عملية فى العين • أما فن التحنيط فلم نعثر فى الأردن على أثر له فى أى قبر سوى سنة ١٩٦٤ عثر فى تل السعدية فى الغور فى حفريات المدرسة الأميركية للأبحاث الشرقية وجامعة بنسلفانيا بادارة الدكتور برتشارد عثر فيها على قبر فيه جثة طليت بالزفت والقطران مع الأسلحة التى دفنت معه وقد حفظ القطران والزفت الجثة من البلى زمنا طويلا • وفى تل الدوير فى فلسطين عثر فى قبوره سنة ١٩٣٦ فى حفريات المدرسة الأميركية للأبحاث الشرقية بالقدس بادارة الدكتور ستاركى عثر على مئات من الجماجم البشرية فى آبار على بعضها عمليات جراحية أثرها واضح ويرجع تاريخ هذه الجماجم الى فترة العصور الحديدية ما بين ١٢٠٠ - ٦٠٠ ق•م•

(٤) حصون الملفوف :

أما حصون الملفوف التى تمرون عليها مصبحين وبالليل حول عمان فى جبل عمان الشرقى والغربى وقرب وادى السير وفى خربة مربط بدران ورجم الحاوى وكم ياجوز وغيرها فقد أقر علماء الآثار بأنها من مميزات الأردن وحده فى العالم وخاصة فى الضفة الشرقية منه وفى سردينا حصون تشبه الملفوف تدعى نوراجى ، وفى أسكتلنده حصون تشبه الملفوف وتدعى شايلوخ ولكنها تختلف عنها فى جميع تفاصيلها ما عدا استدارتها فهى أصغر من حصوننا فقد بنيت من الحجارة الخامية الصوانية الضخمة التى تدعى بطراز وكانت هذه الحصون أبراج استطلاع للدفاع عن ربة عمون عاصمة المملكة العمونية (عمان اليوم ، عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية) ويرجع تاريخها الى سنة ١٣٠٠ ق•م• تقريبا •

(٥) الدولمنز :

ومن الأنصاب التى انفرد بها الأردن الدولمنز وهى أنصاب حجرية بدائية من هذه الحجارة الضخمة الخامية بشكل رقائق (بلاطة) اقيمت كل بلاطتين من هذه الحجارة الضخمة التى يبلغ طول بعضها ما بين ثلاثة أمتار الى مترين

أقيمت هذه البلاطات على جانبها بشكل يتوازى أمام الأخرى على بعد متر أو يزيد عن المتر وقد وضع فوقها بلاطة كبيرة من نوعها على شكل سقف لها . وفي بعض هذه الدولمنز أبواب منقورة على شكل خرزة البئر يحيط بالفتحة برواز وبعضها لها فتحة دون برواز وتقسم أنواع الدولمنز في الأردن خمسة أنواع منها بدائي بدون سقف ومنها ما ليس له أبواب ومنها ما له باب ومنها ذو طابقين ومنها ما هو مزدوج . اختلف علماء الآثار في تاريخ هذه الأنصاب واحتاروا في تفسير الغاية التي نصبت أجلها بعضهم أرخها كالدكتور بروم سنة ٣٠٠١ ق . م . والدكتور لاندز سنة ٤٠٠٠ ق . م . والبرايت بالعصر الكاهوني ٥٠٠٠ - ٦٠٠٠ ق . م . ونلسون جلوك ما قبل ٦٠٠٠ ق . م . أي العصر الحجري الحديث وبقي هذا التاريخ يتأرجح ما بين العلماء في العالم حتى سنة ١٩٢ عندما قام كاتب هذه السطور في هذه الفترة بعمل مسح أثري لجميع الدولمنز في الأردن مع الدكتور جيمس سواغر مدير متحف كارمنيجي وهو عالم في التاريخ الطبيعي لا عالم أثري وفي هذه السنة سنة ١٩٦٢ عثرت على أول بنية أثرية من نوعها في العالم (كما قال علماء الآثار) اذ عثرت في ثلاثة من هذه الدولمز على شقف فخار لآذان وقدور وعظام بشرية وقطع من الجماجم ترجع بتاريخها الى فترة ما بين ١٣٠٠ - ١١٠٠ ق.م. وعرضت هذه القطع والبينات بعد دراستها ومقارنتها على كثير من علماء الآثار أمثال الدكتورة كانيون والدكتور بتريار أستاذ الآثار في جامعة لندن والدكتور برتشارد أستاذ الآثار في جامعة بنسلفانيا والدكتور ايفار لسنر العالم الألماني الأثري وغيرهم فأقروها وقد تبين أن هذا النوع من الأنصاب هو فريد من نوعه أستعمل كمقابر لأهالي في العصور الحديدية في الأردن فكان هذا أول بحث حول الدولمنز من علماء الأردن .

(٦) مخطوطات البحر الميت :

هذه المخطوطات التي طبق صيتها العالم هي أسفار وأدعية وصلوات وأنظمة لجماعة الاسينيين وهم طبقة متدينة من القدس هجرتها حوالي القرن الأول ق.م. واتخذت من كهوف قمران قرب الطرف الشمالي الغربي من البحر الميت مأوى لها في بادىء الأمر ثم بنت ديرا لها لا تزال آثاره ماثلة

للعيان حتى الآن • اكتشفت هذه المخطوطات سنة **١٩٤٧** من قبل راعى الغنم فى أحد عشر كهفاً أهمها الكهوف الأول والثانى والثالث والرابع والحادى عشر وقد عثر فى الكهف الثالث على أسطوانات من المعدن عليها كتابات بالعبرية لا تمت بصلة الى التوراة أو الناحية الدينية بل فيها شىء من المبالغة عن كنز من الفضة دفن فى منطقة مجهولة ما بين نابلس والخليل •

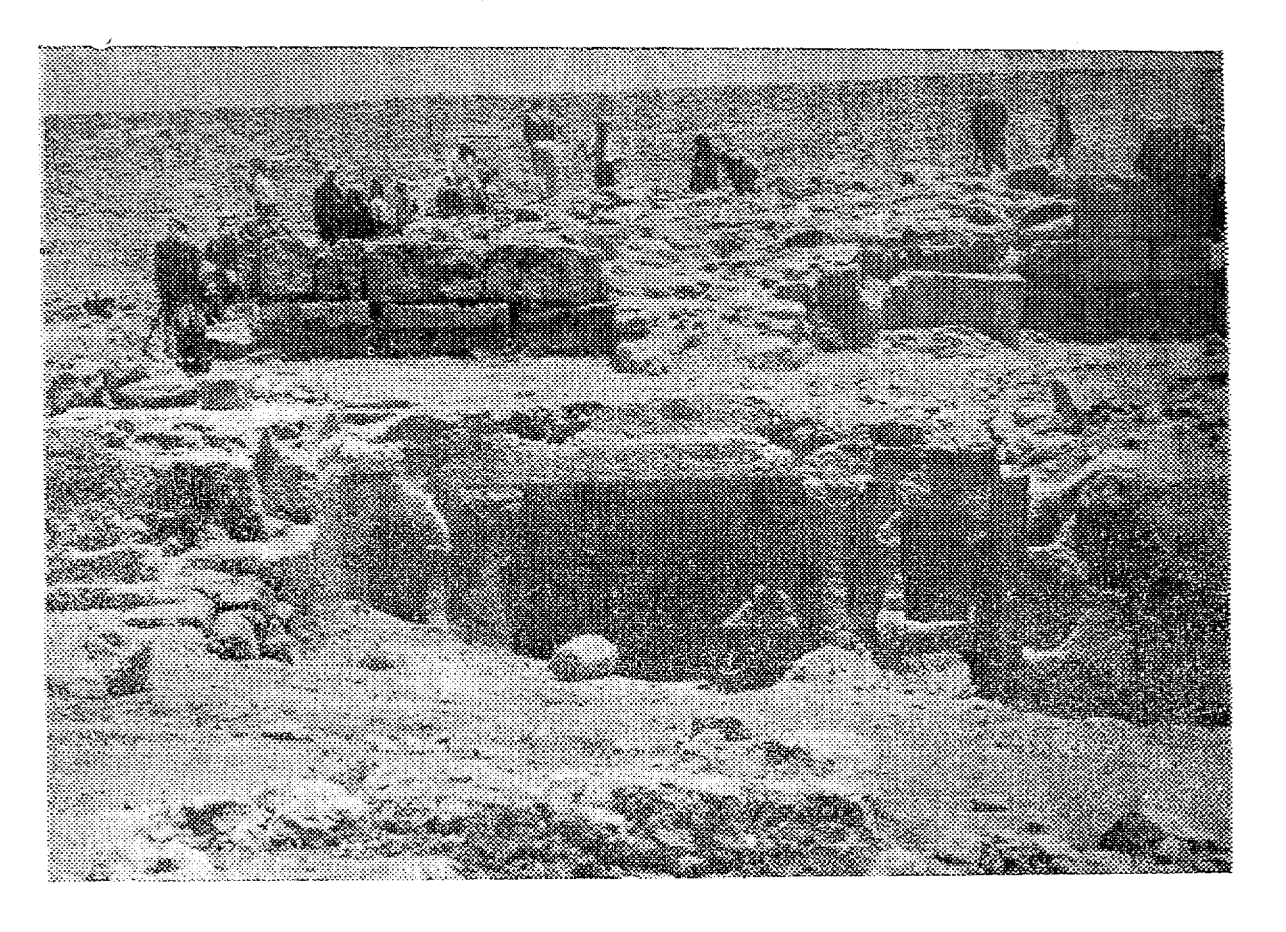
ومما هو جديد من المعلومات عن هذه المخطوطات وجديد على القراء أن يعلموا انه فى عصر هارون الرشيد حوالى سنة ٨٠٠ م عثر أحد الرعيان على مخطوطات فى أحد الكهوف قرب أريحا (من المعتقد انها كهوف قمران) على مخطوطات على الجلد فأخذها الى مطران بغداد فأخبره أنها مخطوطات عبرية ، فرجع بها الى القدس وهناك بيعت الى جماعة من اليهود ويعتقد بعض العلماء ومنهم الدكتور هوج نبلى أستاذ الدين فى جامعة برمنجهام فى الولايات المتحدة بأن أهل قمران قد يكونوا هم أصحاب الكهف وان مخطوطات البحر الميت قد تكون هى الرقيم المذكور فى القرآن الكريم • ولكننى قد فندت جميع ما بحث عن كهوف أهل الكهف فى العالم وأثبت أن كهف الرجيب لا يضاهيه كهف فى العالم بالنسبة لانطباق الآيات الكريمة عليها بالنسبة للبينات الأثرية التى عثرت عليها فى الحفر وأوضحت ذلك فى كتاب اكتشاف كهف أهل الكهف وقد هيأت رداً أنفى فيه ما ينسب لأهل قمران ولمخطوطاتهم مدعوماً بالأدلة التاريخية والدينية والأثرية من ناحية وجود معبد أو مسجد فوق الكهف وعدد الجماعة وتاريخ وجودهم وجنسيتهم وسأعمل على نشره عما قريب ان شاء الله •

(٧) كهف أهل الكهف فى الرجيب * :

ان اكتشاف كهف أهل الكهف فى الرجيب واثبات ذلك بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة وتأكيد العلماء ورجالات الدين وكثير من الناس بعد نفى أمثال كهف افسس ويربوز ودمشق والبتراء ونينوى واليمن (اقرأ كتاب

---

* انظر هذا الموضوع بتفصيل أكثر فيما يأتى فى ص ١٣٥ وما بعدها .



اللوحة رقم ٣٥ - كهف الرجيب فى قمران أثناء عمليات الحفر والتنقيب،ويظهر فيها المسجد فوق الكهف ومحرابه النصف دائرى فوق الباب

كهف أهـل الكهف وكتـاب قمران وأصحاب الكهف للدكتور هوج نيلى فى مجلة قمران العدد ١٨ المجلد ٥سنة ١٩٦٥)أكد لك علمياً وتاريخياً ودينياً انفراد الأردن بكهف أهل الكهف المذكورفىالقرآن الكريم (اللوحةرقم٣٥)•

(٨) البتـــــراء :

كذلك انفرد الأردن بالبتراء • هذه المدينة النبطية التى حفرت معابدها وقبورها وحوانيتها وقصورها وملاعبهـا فى الصـخر الأصـم الأحمر الوردى الجميل نحتاً جميلاً بأشكال هندسية وطراز معمارى يأخذ بالألباب مثالا رائعاً للفن وتقدم الحضارة • وقد بناها الأنباط حوالى القـرن الرابع ق•م• وبقوا فيها حتى سنة ١٠٧ م عندما استولى عليها تراجان الامبراطور الرومانى . وانك لتشاهد طابع الفن الاغريقى والرومانى بارزاً فى النحت والنقش والزخرفة ، اذ لا يوجد فن فى العالم من فنون الأمم لم يتأثر بغيره من فنون الأمم المجاورة ويكون ذلك عن طريق الاحتكاك والتجارة • وقـد تجد فى رم أو فى مداين صالح أماكن فيها كهوف نقرت فى الصخر ولكنها ليست مزخرفـة ومنحوتة كما نجد ذلك فى البتراء••انها مدينة بكاملها وعلى مساحةكبيرة واسعة قد نقرت بيوتها ومعابدها وقبورها وقصورها فى الصـخر هـذا عدا موقعهـا الجغرافى والطبغرافى اذ حاطتها الطبيعية بجبال عالية من جميع جهاتها وجعلت لها مداخل أهمها الشق بين هذه الجبال العالية مما جعلهـا محصـنة تحصيناً طبيعياً عجز عن فتحهاكثير منالأمم وأتاحت لسكانها أنيرتعوا فىبحبوحة العيش والحضارة زمناً طويلاً حتى استولى عليها الرومان وأبعدوا طريق التجارة عنها فبذلك ضعفت واضمحلت •

وهكذا نرى فى الأردن آثاراً انفرد بها دون سواه من أقطار المعمورة •

★ ★ ★

المدرج الروماني في عمان

شرقي قلعة عمان وأمام فندق فيلادلفيا العصري المجهز بكافة وسائل الراحة ، يقوم المدرج الروماني الذي يعتبر بحق أوسع مدرج روماني اكتشف في الشرق الأوسط اذ يتسع لحوالي عشرة آلاف متفرج بسهولة تامة .

يقوم هذا المدرج في السهل المنبطح من القسم الشمالي الشرقي لمدينة عمان على هضبة صخرية منحدرة غرباً وقد اشتقت مقاعده من الحجر الصلب وثبتت بطريقة فنية على هذه الهضبة المنحدرة .

هنالك مثل يقول : اعطني المسرح لأعطيك المسرحية ، وقد صدق هذا المثل الى حد كبير فمنذ أن أصبح المدرج جاهزاً لاقامة الحفلات صارت الفرق المختلفة من عربية وأجنبية تتوافد لعرض فنونها الشعبية واقامة حفلاتها الساهرة متشجعة بالاقبال المنقطع النظير وبالمسرح المعد الجاهز في كل وقت ، وتشجيعاً لمجيء مثل هذه الفرق واقامة الحفلات والمهرجانات لمختلف المناسبات فقد سمحت دائرة الآثار باستعمال المدرج بدون مقابل (انظر اللوحة رقم ٦) .

ان عمليات الترميم الجارية والمستمرة في المدرج الروماني قد كشفت عن أن الامبراطور تراجان هو الذي بنى المدرج الروماني من الأموال العامة وذلك بعد انتصاره في البتراء عاصمة الأنباط سنة ١٠٦ م . كما ظهر اسم الامبراطور هدريان محفوراً على بعض العتبات ، ويعتقد أنه حفرها عندما مر بها عام١٢٩م وتقول الرويات أن الامبراطور الروماني هدريان حين زار فيلادلفيا أمر حاكم عمان باتمام البناء واقامة لوحة تذكارية منقوشة على الحجر يرفعها فوق الأعمدة تخليداً لزيارته ، ويستدل على ذلك من الحجارة التي وجدت مطمورة أثناء عمليات الحفر أمام المدرج والتي جمعت وترجمت .

ينقسم المدرج الى طبقات ثلاث جهزت كل طبقة منها بمقاعد مريحة من الحجر عرض كل منها ٧٨ سم يعلو الطبقة العلوية مسطبة مسطحة عرضها ١١٫٥ قدما يحميها عن الصخر الذي بنى فيه المدرج حائط قسوى سمكه

٥ أقدام وارتفاعه ١٢ قدماً تتوسطه مقصورة لحراس الامبراطور أو حاكم المدينة بابها مرتفع صنعت على جانبيه فجوتين مزخرفتين تشبه كل منهما المحراب .

وأما الطبقات الثلاث التى خصصت للمتفرجين من الأمراء والقواد والرعية فهى تختلف بسعتها للمقاعد بحسب اتساع دائرتها ، اذ أن المدرج فى بنائه يشكل نصف دائرة يزداد اتساعها كلما ارتقينا عتبات المدرج .

تتألف الطبقة الأولى من ١٤ صفا قسمت الى ٩ أقسام بين كل قسم وآخر صف من السلالم الصغيرة لصعود المتفرجين ، يتوسط أسفل هذه الطبقة منصة خاصة أعدت لجلوس الامبراطور ورجال حاشيته ، وأمام هذه الطبقة ساحة تشكل نصف دائرة أمامها المسرح الذى صُنع جداره الأمامى على شكل محاريب تتدفق منها المياه من أفواه الأسود الحجرية التى ثبتت فى مقدمتها .

وعلى جانبى هذه الساحة وتحت عتبات المدرج يتقابل قبوان يمتازان بعمقهما واستدارة سقفهما وضخامة حجارتهما .

وتتألف الطبقة الثانية كما هو الحال فى الطبقة الأولى الا أن أقسامها التسع أكثر اتساعاً وذلك بحسب اتساع نصف دائرة المدرج ، وتنفصل عن الطبقة الأولى بعتبة مرصوفة عرضها ٥ر٧ قدماً ، وفى أسفل هذه الطبقة أربعة أقبية متقابلة أثنان الى اليمين والآخران الى اليسار ، ويعلو الطبقة الثانية الطبقة الثالثة ، وهى الطبقة الأكثر اتساعاً وهى تتألف من ١٤ صفا قسمت الى ٨ أقسام يفصل كل قسم عن الآخر صف من السلالم الصغيرة .

ان كل طبقة من الطبقات الثلاث لهذا المدرج قد جهزت بمقاعد مريحة من الحجر عرض كل منها ٦٨ سم حيث تتيح للمتفرج أن يجلس مستريحاً وركبتيه بعيدتين عن الشخص الذى أمامه .

أما وقد انتهينا من وصف طبقات المدرج وما يتخللها من أقبية فنعود الى سطح المسرح « مسرح المدرج الرومانى » ان مسرح المدرج قد أعد بشكل

فنى يسهل للمثلين القيام بأعمالهم وخاصة بعد أن أتمت دائرة الآثار اعادة بناء غرف الممثلين على جانبيه كما كانت فى السابق . ويعتقد أن نَصب من الأعمدة كان مقام على سطح القاعدة القائمة حالياً خلف المسرح وربما أعيد بناؤها فى المستقبل القريب باذن الله .

هذا هو المدرج الرومانى ، هذه الثروة الهائلة التى لا تقدر بثمن . انه الأثر البارز فى عمان عاصمة الأردن العظيم وقبلة أنظار السياح الذين يفدون الى العاصمة ، وهو الملهى المتسع الوحيد للترويح عن نفس أبناء هذه المدينة الكبيرة والمنطلق نحو النهوض بالفن وغرسه فى نفوس أبناء هذا البلد الأبى .

لقد كان يطلق المواطنون على هذا المدرج قبل خمسة عشر عاماً أو يزيد يطلقون عليه خطأ « درج فرعون » وذلك لضخامته ويقيمون على ساحته المغطاة بالأتربة الدبكات الشعبية وكان يطلق على المساحة السهلية التى أمامه « الميدان » والتى يجرى تحويلها الآن الى حديقة عامة ، فكانت تنصب فى هذا الميدان الأراجيح وينتشر الباعة والزينات وتقام الحفلات فى كل مناسبة قومية أو عيد .

وتعمل الآن دائرة الآثار بالتعاون مع أمانة العاصمة على تحويل هذا « الميدان » أو الساحة الكائنة أمام هذا المدرج الى حديقة عامة تضم اليها حديقة فندق فيلادلفيا بعد الغاء الشارع الرئيسى المار أمامه فتصبح منتزها يجمع الماضى بالحاضر فى جو شاعرى أخاذ يؤمه السواح ويستمتع به المواطنون ويجرى العمل الآن على قدم وساق لانجاز هذا المشروع الحيوى الجبار الذى سيكون الرئة التى يتنفس منها المواطنون .

* * *

جرش *

تقع مدينة جرش شمالى عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية بحوالى ٥٠ كم وترتفع عن سطح البحر ٥٥٨ متراً ، وهى الآن مركز لواء جرش ويبلغ عدد سكانها حوالى ثمانية آلاف نسمة من العرب والشركس .

ان أطلال جرش الحالية تعود للفترة الرومانية والبيزنطية الا أن تاريخها القديم يعود الى عصور تاريخية بعيدة ، حيث سكنها الانسان الأول فى العصر النيسولتى NEOLITHIC كما عثر فى القسم الشمالى الشرقى من أسوار المدينة الحالية على بقايا يعود تاريخها الى أوائل العصر البرونزى حوالى ٢٥٠٠ ق.م. وعثر أيضاً على بقايا العصر الحديدى ١٠٠٠ ق.م. وقد ذكر بعض علماء الآثار أن الساميين والعمونيين وكذلك الأنباط العرب قد حكموا هذه المنطقة خلال الفترة الواقعة ما بين ١٢٠٠ - ٦٠٠ ق.م.

لقد كانت جرش فى بادىء أمرها قرية سامية صغيرة تأثرت فيما بعد بالنزعة الهيلينية حين بناها السلوقيين ملوك سوريا فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد وجعلوها مركزاً عسكرياً وتجارياً هاماً .

لقد ثبت أن المدينة الأثرية الحالية مقامة على أطلال المدينة اليونانية التى بناها انطيوخوس الرابع ملك السلوقيين فى سوريا الا أن تاريخ هذه المنطقة قبل قدوم انطيوخوس اليها يجتاحه كثير من الغموض .

لقد شقت جيوش الاسكندر الكبير طريقها عبر الشرق مارة بهذه البقاع ومن المحتمل انها استقرت بعض الزمن فى هذه المنطقة ولهذا نعطف الاسكان اليونانى الأول على جيوش الاسكندر الكبير ، ان الكتابات التى ظهرت فى الحفريات لم تأت بغير اسم انطيوخوس الرابع هذا الملك الذى أعجب بموقع جرش وقرر انشاء مدينة يونانية سماها (انطاكية النهر الذهبى) لقد سماها

---

* بقلم الأستاذ صفوان خلف التل - مفتش آثار محافظة اربد .

باسمه جرياً على عادته حين يتم انشاء مدينــة تنال اعجــابه ، أما كلمة النهر الذهبى فقد قصد بها السيل العذب الذى يقسم المدينة الى قسمين خلال وادى صغير يسمى الآن وادى جرش •

ان آثار الفترة اليونانية نادرة جداً حيث أزال الرومان معظم آثارها ليحلو محلها المدينة الرومانية الهائلة وتم ذلك سنة ٦٣ م • حين دخل بومبى القائد الرومانى الى الشرق ومر من هـذه المدينة وجعـل لهـا أهميتهـا السياسـية والاقتصادية •

ان موقع جرش الاستراتيجى وأهميته من الناحيتين العسكرية والتجارية جلب لها اهتمام الملوك والأباطرة والقواد وتقلب فى صـفحات تاريخهـا أعظم الحوادث وأنشىء على سفوح تلالها أضخم المعابد كما أنشئت الطرق والحمامات والمسارح والميادين العامة • كل هذا جعل لهـا هيبتها ومكن لهـا شخصية فى تشكيل حلف اقتصادى وسياسى سمى بحلف المدن العشرة أو الديكابوليس وعليه بقيت هذه المدينة تحتل مركزاً هاماً بين جاراتها فى هـذا الحلف وهى عمان (فيلادلفيا) واربد (أربيلا) وأم قيس (جدارا) وطبقة فحل (بيلا) وقويلبة (ابيلا) وايدون (ديون) والشام وبصرى وبيت راس (كابيتولياس) ومعظم هذه المدن تقع شمالى جرش فى محافظة اربد تنتظر دورها فى الكشف والتنقيب •

لقد دبت الحركة والعمران فى هـــذه المدينـة منذ أوائل القرن الأول الميلادى وتم انشاء عدد كبير من المبانى الأهليـــة والرسمية والدينية وأقيمت الاحتفالات الشعبية والمسابقات الرياضية والمبارزات والحفـلات المسرحيـــة والاجتماعات الدينية مما مكن أهالى هذه المدينة من مشاهدة الحيـاة الرومانية الصاخبة وكأنهم فى قلب روما عاصمة امبراطوريتهم الجبارة •

لقد وضع مخطط شامل لهذه المدينة تحدد فيه مواقع المعابد والمدرجات حيث قسمت لوحة المدينة الى عدة أقســام هندسية بواسطة الشوارع المعمدة وهذا النظام فى تخطيط المدن هو نظام رومانى تقليـــدى رائع ناتج عن فكر

هندسي بديع (*) استمر العمران فى القرنين الثانى والثالث وخلالهما عاشت جرش أزهى عصورها وسمى القرن الثانى بالعصر الذهبى نتيجة لما تم فيها من اعمار المبانى والمنشآت الضخمة . وهكذا الى أن دخل القرن الثالث بوابة التاريخ حيث حل الضعف والانحلال فى هذه المدينة فتدهورت الحالة السياسية والاقتصادية نتيجة لاهمال الامبراطورية الرومانية لهذا الجزء من امبراطوريتها الشاسعة، ومن أهم الأسباب التى دعت الى هـذا الانحلال استيلاء الساسانيين على العراق حيث انقطعت العلاقات التجارية عن جرش كما هاجم الساسانيون مدينة تدمر فى سوريا ودمروها وأحرقوها سنة ٢٧٣م . وبهذا انقطعت أهم الطرق التجارية بين جرش والشرق ونزحت الجيوش المستقرة فى جرش الى الشرق لتصد هجوم الساسانيين؛ كل هذه العوامل جعلت هذه المدينة منعزلة عن القوات الرومانية ولم يبق فيها من يصد الغارات البدوية فى المنطقة . وفى سنة ٣٠٠ م استطاع الامبراطور دوكليتيان أن يطرد الفرس من المنطقة العربية وأعادها للنفوذ الرومانى وهكذا أخذت جرش تسترد أنفاسها قليلا ولكن هذا الازدهار لم يشبه ذلك الذى سبقه ، وفى سنة ٣٩٥ م . انقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين الامبراطورية الرومانية الشرقية والامبراطورية الرومانية الغربية وهكذا أصبحت جرش بطبيعة الحال تابعة للقسم الشرقى . اعتنقت جرش الديانة المسيحية وبدأت بانشاء متطلبات الديانة الجديدة من الكنائس المختلفة فى القرون الرابع والخامس والسادس حيث بنيت أكثر من اثنتى عشرة كنيسة مختلفة الأشكال ومعظمها مفروش بالفسيفساء الجميلة الملونة . وفى سنة ٦١٤ سقطت جرش فى أيدى الساسانيين الى أن هاجمهم الامبراطور البيزنطى هرقل فى سنة ٦٢٧ واستعادها منهم وبقيت بأيدى البيزنطيين حتى سنة ٦٣٣ حيث دخلت الجيوش الاسلامية سوريا مبشرة بالدين الاسلامى السمح وبعد هذا التاريخ اهتم المسلمون بانشاء المدن والفتوحات وتركت جرش مهجورة معرضة لعوامل الطبيعة وأهمها زلزال عام ٧٤٧ الذى قضى على معظم أبنيتها .

وفى سنة ١٨٠٦ مر من هـذه الديار المستشرق الألمانى سيتزن

---

* أنظر هذا المخطط فى اللوحة السابقة رقم ١٠ .

الذى اكتشف هذه المدينة المهجورة وأخبر عنهـــا أوروبا التى بدأت ترســل حملات الاستكشاف والعلماء وبدأت أهم الحفريات العلمية فيها عام ١٩٣١ حيث قامت جامعة يل الأميركية بعمل متواصل استمر ثمانية سنوات أسفر عنه صدور كتاب ضخم يحتوى على دراسة أهم الآثار الرومانيــة والبيزنطية فى هــذه المدينــــــة •

ان من أهم المبانى التى تم انشاؤها فى جرش خلال القرنين الأول والثانى هى معبد زيوس الذى بنى على تلة مقابلة لســاحة الندوة (الفورم) وهو مكان مرتفع يشرف على المدينة ويطـل على شوارعهـــا المبلطة والمزدانة بالأعمدة الأيونية والكورنثية • يحيط بهذا المعبد (١٢ × ٨) عمودا كورنثيا ، وأمامه ساحة محاطة بالأعمدة بنيت فوق ثلاثة أنفاق لرفع مستواها على الأرض •

كما تم بناء معبد أرتميس آلهة الصيد وكبيرة الآلهة فى جرش فوق تلة متوسطة تشرف على روابى جرش وذلك سنة ١٥٠ م • وهذا المعبد من أضخم المعابد فى الشرق العربى ويحيـط به (٦ × ١٢) عمـوداً كورنثياً بديع الصنع • لقد بنى هذا المعبد فوق ثلاثة أنفاق كبيرة لرفعه عاليا دليل الاعتبـــار والهيبة لهذه الآلهة • يحيط بهذا المعبد ساحة كبيرة محاطة بالأعمدة الكورنثية ويدخل الجمهور لهذا المعبد من البوابة الكبيرة المقابلة لشارع الأعمدة ومنهــا يمتد درج يضم ٤٩ درجة وبعدها ساحة صغيرة للمذبح وبعدها يمتد درج آخـر عريض يؤدى الى الساحة المقدسة •

ان نظام هذا المعبد منتشر فى الولايات الرومانية الشرقيـــة وخاصـة فى سوريا والأناضـول ويمتـاز بالبوابات والمدرجات التى تؤدى الى المعبـــد وعلى الطرف الغربى من شارع الأعمدة الرئيسى يقع معبد النمفايوم (عذارى المـاء) وفيه تتجلى أروع مظاهر الفن الرومانى فى النقش والتصميم وكانت شـلالات المياه تنحدر منه وتؤدى بالنهاية الى المجـــارى الموجودة تحت بلاط شـارع الأعمدة الرئيسى • أما المدرجات فقـــد بنى فى جرش مدرجان أحدهما فى الشمال وكان يستعمل لمشاهدة المبارزات والآخـر فى الجنوب وكان يستعمل

لمشاهدة الروايات المختلفة ويتسع لحوالى ستة آلاف نسمة ويضم ٣٢ صفا من المقاعد الحجرية . أما الحمامات فقد انتشرت فى الجهتين الشرقية والغربيـة من المدينة ولا تزال معالمها قائمة وكانت تستعمل كأماكن للهو والرقص والشعر .

ان المدينة مسورة بكاملها من جميع الجهـات وكذلك يوجـد حوالى مائة قلعة لتحصين الأسوار ، وهذه الأسوار والقلاع تدل على اسـتقرار دائم حيث لا تجد هنالك تحصينا منيعا يبرهن على الخوف أو عدم الاطمئنان . وبقع خارج الأسوار من الجهـة الجنوبيـــة قوس النصر الذى بنى على شرف الامبراطور هدريان سنة ١٢٩ م .

ان مدينة جرش الأثرية من أهم المواقع الرومانيـة فى الشرق الأوسط وهى مثال فريد للمدينة الرومانية المتكاملة حيث أن جميع آثارهـــا تبرهن على الفن الأصيل خاصة فى تخطيطها الهندسى الرائع ، فبواسطة عدد من الشوارع قسمت المدينـة الى أجزاء متناسـبة بنى فى كل قسم نوع معين من المبـانى . ان الشوارع المبلطة والمعمدة والميادين الناتجة عن التقـــاء الشوارع وكذلك المعابد والمدرجات والحمامات وســـاحات الاجتمـاع والتجارة هـــذه الأماكن وغيرها جديرة باهتمام علماء الآثار العرب كما هى جديرة باهتمام الجامعـــة العربية من أجل دعوة دول العالم المتمدن لتقديم المساعدة المـالية والفنيـة من أجل كشف معالم أخرى لا تزال مطمورة فى هذه المدينة وغيرهـــا من المدن المنتشرة فى الأردن ، هذا المتحف الكبير ....

★ ★ ★

عمان *

هى عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية حاليا • وهى من المدن القديمة التى ساهمت بقسط وافر فى تقدم الحضارة القديمة وقد كانت تسير بتاريخها العريق فى القدم فى ركب الحضارة الكنعانية • اسمها فى التوراة ربة عمون ومن أسمائها أيضا مدينة المياه وأطلق عليها فى الفترة اليونانية الرومانية اسم فيلادلفيا • ومن المعتقد أنها أيضا مدينة كهف أهل الكهف الذى ثبت اكتشافه حديثا قريبا منها • وترجع بأقدم تاريخها الى القرن الثالث عشر ق•م حين كانت عاصمة مملكة عمون • وهى تقع على رابية تدعى اليوم جبل القلعة تحيط بها الأودية من جميع جهاتها ما عدا مرتفع صغير يقع للجهة الشمالية الغربية حيث يرتبط بها بجبل الحسين •

كانت تحيط بها الأسوار المنيعة والأبراج العالية وقد صمدت ضد الغزاة وارتد عنها كثير من الفاتحين • وأقدم ملوكها ذكرا ناحاس ، الذى عاصر الملك داود وآواه لما هرب من شاؤول • وبعد موته خلفه حانون ، ثم شوبى من الملوك العمونيين • وكانت مملكة عمون دولة غنية قوية قد حصنت حدودها بالقلاع التى لا تزال آثارها ظاهرة حتى اليوم • منها قصر الملفوف والسار والجبيهة والشميساني وقصر العرجان وخربة اللويبدة والصواونيا والنويجيس والرصيفة ، ومربط بدران ، وأم الرجوم ، وخربة الحاوى ، كلها قلاع استطلاعية لربة عمون تعود بتاريخها للقرن الثالث عشر قبل الميلاد • ونظرا لغنى هذه الدولة ومنعتها تزوج الملك سليمان من بناتها • وقد كشفت حفريات دائرة الآثار سنة ١٩٦٠ جزءا من سور هذه المدينة مع مخطوطة حجرية بالخط الفينيقى ترجع بتاريخها لسنة ٨٢٥ ق•م• وقد خضعت هذه المملكة لحكم الآشوريين زمن آشور بانيبال سنة ٦٦٨ ـ سنة ٦٢٦ ق•م• ومنحت استقلالاً داخلياً كان ممثل ملك الآشوريين فيها الملك العمونيى (عمى ندب) • ومن آثارهم المكتشفة فى ربة عمون قبر (أدونى نور) المكتشف

---

* بقلم الأستاذ رفيق الدجانى ـ مساعد مدير دائرة الآثار •

فى سفح جبل القلعة وهو خادم الملك العمونى بمعنى وزيره أو أحد كبار موظفى قصره كما تم اكتشاف ختم أودنى بلت خادم عمى ندب حاكم مملكة عمون فى عصر الملك اشوربانيبال فى حملته على مصر سنة ٦٦٧ ق٠م٠ كما عثر على أختام أخرى وأشياء أخرى من عصر الآشوريين ٠ وبعد سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق٠م ٠ انتقلت ربة عمون الى حكم الكلدانيين ومن آثارهم ختم من الحجر الثمين عليه كتابات بالمسمارية وصورة الكاهن أو الملك يقف أمام المعبد ابتاعته دائرة الآثار سنة ١٩٥٨ ونشر عنه فى حولياتها فى العدد الثامن ٠ وبعد سقوط بابل على يد الفرس سنة ٥٣٩ ق٠م٠ انتقلت ربة عمون مع ما انتقل غيرها الى حكم الفرس ٠ وبعد فتح الاسكندر للبلاد سنة ٣٣٢ ق٠م٠ كانت شرق الأردن فى فلسطين من نصيب البطالسة ٠ وفى هذا الوقت تغير اسم ربة عمون الى فيلادلفيا ، من المدن العشرة اليونانية التى منها جرش ، وطبقة فحل ، أم قيس ودرعا وبيسان وغيرها ٠ وقد بنى بطليموس فيها هيكل زيوس لعبادة الشمس ٠ ثم انتقلت فيلادلفيا الى حكم السلوقيين ، زمن انطيوخس الكبير بعد أن انتصر على خصمه بطليموس فلوباتر المصرى ٠

وفى سنة ٦٥ ق٠م٠ ملكها الأنباط وظلت تحت حكمهم ثلاثين سنة ، وفى سنة ١٠٦ م ٠ فتحها الامبراطور تراجان الرومانى ، طاغية أهل الكهف كما تبين من البنيات الأثرية والتاريخية وقد بنى فيها المدرج الرومانى أكبر مدرجات الشرق على الاطلاق وأتمم بنائه على ما يظهر خلفه هدريان ١١٧ سنة ١٣٨ م ، وقد يكون سور القلعة الرومانية على جبل القلعة من عصره وكان يزين المدينة الشوارع المعمدة التى عثرنا على كثير من بقاياها فى سوق السكر وغيره فى عمان وكذلك الحمامات الكبيرة (النيفيوم) عند سوق الخضار قرب السيل ٠ ومن آثار تراجان فى الأردن طريقه المعروفة باسمه بين عمان ومادبا والكرك والعقبة ، ولا تزال حجارة مسافة الأميال قائمة على جانب الطريق لليوم ٠ وأهم المعابد الرومانية فى عمان معبد هرقل العظيم (٣) الذى عثر على بقايا تمثاله العظيم سنة ١٩٢٥ بالقرب من المعبد

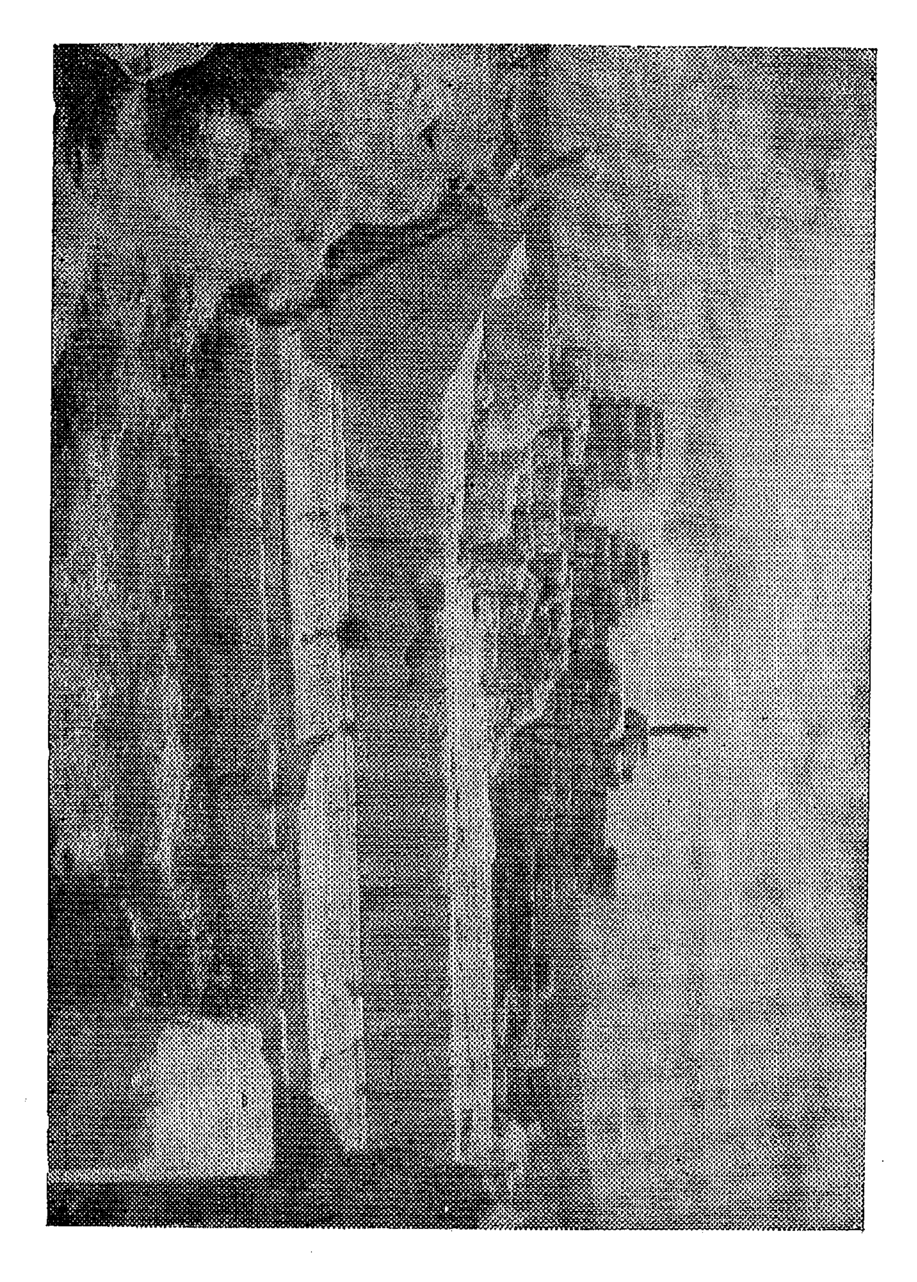
---

(٣) اللوحة رقم ٣٦ ٠

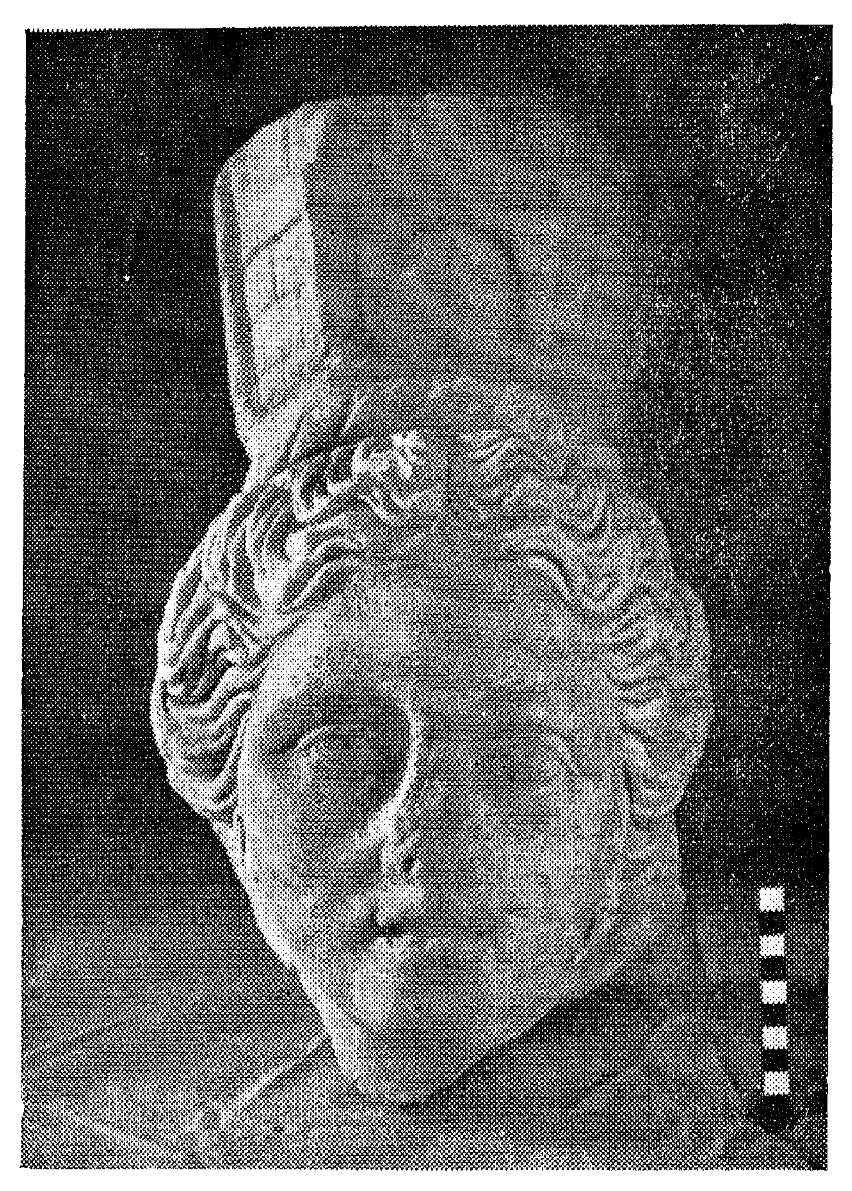
فى جبل القلعة وفى متحف عمان قطع من هـذا التمثال ، كما ان بقـايا هيكل الزهرة فينس بالقرب من القصر الأموى فى جبـل القلعـة شـاهدة على ذلك وقد بناه مرقس أوريليوس بين سـنة ١٦١ وسـنة ١٨٠ م وكشفت الحفريات العرضية فى عمان عن بقايا كثير من الأبنية الأثرية والتماثيل الحجرية الرومانية فمنها تمثال لتايكى آلهة الحظ عند الرومان وهناك تماثيل كثيرة حجرية عثر عليها فى المدرج الرومانى كانت تمثل آلهة الرومان • (اللوحة رقم ٣٧)

وكانت عمـان زمن البيزنطيين ذات شـهرة كبيرة ومركزاً لابرشـية فيلادلفيا التى اشترك أسـاقفتها فى المجامع المسـكونية ، وكان فيها من المدارس الدينية عدد كبير نشط رجالها فى نشر دعوتهم، ومن آثارهم فيها بقايا الكنيسة فوق جبل القلعة وعند السيل فى عمان وبقـايا الأعمدة المكتشـفة أمام ساحة المسجد الكبير وكذلك بوابة القلعة الغربى من آثارهم •

وقـد كانت عمان زمن الدولة الأموية قـرية مهمة بدلالة الآثار التى كشف عنهـا فى جبـل القلعة ومنهـا القصر الأموى الذى يقع للشمال من المتحف الأثرى والبيوت الأموية والعمـلة التى عثر عليهـا فى حفريات دائرة الآثار تحت المتحف الحالى وبالقرب منه وحول القصر الأمـوى ، عدا الفخار والزجاج •كما عثرفى النويجيس قرب القصور الملكية على قطع عملة ذهبيـّـة أموية وبقايا بعض الفخار مما يدل على اهتمام الدولة الأموية بهـا وكيف لا وعمان كانت تقع بالقرب من القصور الأموية الصحراوية وعلى طريق قوافل الحج والتجـارة الآتيـة من دمشـق الى الحجـاز ومصر • وفى زمن الدولة العباسـية لم يكن نصيب مدينـة عمـان بأفـل منـه زمن الدولة الأمـوية فالمسجد الحسينى الكبير فى عمان كان عباسيا وصـفه كندر فى كتابه مسـح الضفة الشرقيـة من الأردن ، أيام كان خربا سـنة ١٨٧٠ ، وقـد بقيت منه واجهة مدخله والمئذنة الشمالية • كما عثر سنة ١٩٥١ على مجموعة من العملة الذهبية العباسية فى شـارع الشابسوع فى عمارة السيد محمد على بدير وغيره وهى الآن فى متحف عمان • وفى العصر الأيوبى وزمن المماليك اضمحلت عمان وأهملت زمن العصر العثمانى وغدت قرية صغيرة على طريق القوافل



اللوحة رقم ٣٦ – معبد هرقل بالقرب من عمان .



اللوحة رقم ٣٧ ـ تمثال الآلهة تايكي ، آلهة الحظ عند الرومان .

وفى زمن عبـد الحميد الثانى السلطان العثمانى جاء الشراكسـة من القفقاس واستوطنوا عمان وجرش ووادى السير • وفى العهد الهاشمى بعـد الحرب العالمية الأولى غدت عمان امارة هاشمية يحكمها الأمير عبد الله بن الحسين •

وفى سـنة ١٩٤٦ أصبحت هـذه الامارة مملكة يحكمها المرحوم جلالة الملك عبد الله بن الحسين وقد سـطعت هـذه المملكة وازدهرت اليوم بقيادة جـلالة الملك حسين المعظم رافع لواء المملكة وبانى نهضتهـا الحديثـة حيث أصبحت فى مقدمة الدول العربية النامية ذات المكان المرموق فى العالم •



كهف اهل الكهف فى الرجيب *

من أغرب القصص الدينية وأكثرها ذيوعاً بين المسلمين والمسيحيين على السواء قصة فتية أهل الكهف المذكورين فى القرآن الكريم والكتب الدينية المسيحية أيضاً وان لم ترد فى الانجيل ولا الكتاب المقدس لأنها وقعت بعد وفاة المسيح وقبل ميلاد النبى العربى . وقد اهتم بها المسلمون كاهتمام المسيحيين فانها قصة « فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى من أتباع المسيح الأوائل التجأوا الى أحد الكهوف هرباً من وجه حاكم ظالم وكافر « فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً » فضرب الله على آذانهم حجاباً يمنع السمع بمعنى أنامهم نوماً لا تنبههم منه الأصوات . ثم أيقظهم وبعثهم ليعلم الذين اطلعوا على حالهم ان وعد الله بيوم البعث حق وان الساعة آتية لا ريب فيها .

وقد تعددت المصادر التى ذكرت القصة وتنوعت . كما اهتم بها الكثير من الباحثين والمؤرخين وتضاربت أقوالهم فى بيان حقيقة الفتية وتشعبت آراؤهم حول مدينتهم ومكان كهفهم وعددهم . فاليعاقبة يذكرون أن فتية الكهف كانوا ثلاثة والنساطرة خمسة وتجمع المصادر اليونانية واللاتينية على أنهم كانوا سبعة ، ويجمع بعض المجتهدين من المسلمين على هذا العدد مع أن القرآن الكريم لم يحدد عددهم ، ذكر ذلك القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن والدميرى فى حياة الحيوان والنصافى والبيضاوى فى أنوار التنزيل ومحمد على فى كتابه القرآن الكريم،وقد ذكر ابن اسحق الثعلبى فى كتابه قصص الأنبياء المعروف بالعرائس أن عددهم حسب المصادر اليونانية سبعة وحسب المصادر السريانية ثمانية .

وكما تضاربت الآراء فى عددهم كذلك اختلفت المصادر فى مكان كهفهم . كثير من المصادر اليونانية واللاتينية والاسلامية تذكر افسس جنوب غربى آسيا

---

* بقلم الأستاذ رفيق الدجانى ـ مساعد مدير الآثار . وانظر أيضا ما ورد سابقا عن هذا الموضوع فى ص ١١٤ وما بعدها .

الصغرى مكان كهفهم كالمؤرخ جيبون فى كتابه تاريخ انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية وابن اسحق الثعلبى فى كتابه قصص الأنبياء والطبرى فى تاريخ الأمم والملوك • ومنهم من ذكر مكان كهفهم فى يربوز فى مقاطعة قبدوقيا فى الأناضول كالبيروتى فى كتابه الآراء الباقية ساخو ، وابن خرابة فى كتابه السلسلة الجغرافية وياقوت الحموى فى معجم البلدان ، ومنهم من قال انه فى الأردن كابن كثير فى كتابة الجزء الثالث ص ٧٧ يقول: ن الكهف فى بلاد «رم» ، وابن عباس يقول انه قرب أيلة ، والمقدسى فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » يقول انه على بعد فرسخ من عمان على تخوم البادية وفى المغارة بابان صغير وكبير ويزعمون أن من دخل من الباب الكبير لم يمكنه الدخول من الصغير وفى المغارة ثلاثة قبور •

والدميرى فى حياة الحيوان يقول ان الرقيم هو وادى بين عمان وايلة دون فلسطين بين غطفان (قبيلة غطفان) والبلاد دون فلسطين وهو الوادى الذى عاش فيه أهل الكهف باسم الرقيم بالقرب من البحر الميت (كتاب المسالك والممالك) •

وبعض المؤرخين كالبيروتى يذكرون حادثة اكتشاف سبعة جثث فى مقبرة فى دمشق غير بالية حوالى سنة ٧٥١ ويحبذون أن تكون دمشق مدينة أهل الكهف •

وكان أهل اليمن يعتقدون أن كهف أهل الكهف فى نجران • مع أن قصة أهل نجران هى قصة أهل الأخدود وهى قصة تختلف عن قصة أهل الكهف وقد نفى ذلك وزير الأعلام اليمنى عندما زار كهف الرجيب هو ووزراء الأعلام فى الدول العربية ، وبعد أن اطلع على البينات الأثرية والتاريخية أعلن تنازله رسمياً لحكومة الأردن عن حق اليمن فى ادعائها وجود كهف أهل الكهف فى بلادها • وقد أبان العلامة ماسينيون الأسباب التى دعت الناس الى الخلط بين قصة أهل نجران فى اليمن وقصة أهل الكهف وهو مصادفة يوم عيد شهداء أهل نجران بذات يوم عيد شهداء أهل الكهف وهذا الخطأ هو الذى وقع فيه يعقوب الساروغى عندما كتب عن قصة أهل الكهف سنة ٤٧٣ م •

أما افسس جنوبى غرب ازمير فى الأناضول • فقد أثبتت الحفريات الأثرية التى قامت بها البعثة الألمانية سنة ١٩٢٦ والبعثة الأمريكية سنة ١٩٦٠ عن عدم وجود بينات أثرية تثبت انه كهف أهل الكهف المذكورين فى القرآن الكريم كوجود بقايا صومعة أو مسجد فوق الكهف أو وجود نقوش وكتابات تدل على ذلك أو وجود مدافن يرجع تاريخها لفترة أهل الكهف وقد نفى ذلك العلامة بارنيوس والعلامة تالمونت من الناحيتين الأثرية والفيلولوجية (راجع مقال الدكتور هوج نيلى) كما نفى ذلك كل من زاره من المعاصرين والعلماء •

أما كهف بريوز أو طرطوس • فقد شرح ذلك العلامة هابر نقلا عن كثير من المراجع الاسلامية كالبيرونى فى كتابة الآثار الباقية فى القرون الخالية طبعة لبزك أن المكان يقع بالقرب من عربستان فى جنوب شرقى آسيا الصغرى وقد عرفه العرب باسم افسس وتدور قصة الكهف هنالك حول ثلاثة عشر من النساك المتعبدين بقيت جثثهم غير بالية بعد موتهم وليس هنالك براهين أثرية أو غيرها تثبت انطباق أوصاف هذا الكهف على ما فى القرآن وقد نفى ذلك العلامة مهدى هادوى قاضى قضاة ولاية كم فى ايران عندما زار الكهف وقارنه بهذا الكهف فى مقالة فى مجلة النامة نوردانش سنة ١٩٢٤ ص ١٩٤ - ص ٢٢٠ •

أما البتراء فقد نفينا فى كتابنا «اكتشاف كهف أهل الكهف» فى الصفحات ١٨ - ١٢١ أن تكون البتراء هى مكانه بالحجج والبراهين ، أما الكتابات والنقوش التى ظهرت عند مدخل الشق فى البتراء والتى كتب عنها فى حوليات دائرة الآثار الجزء العاشر فقد نقشت تخليداً لجماعة من اليونان البارزين أتوا من جرش وماتوا فى البتراء وتاريخهم يسبق تاريخ أهل الكهف •

وقد شرحنا فى كتابنا كهف أهل الكهف الأسباب التى دعتنا الى دحض نسبة كهوف الشام الى كهوف أهل الكهف فى الصفحات ١٢٣ - ١٢٥ •

وأخيرا جاء العلامة الدكتور هوج نيلى الأثرى الأمريكى

أستاذ الدين فى جامعة برجهام فى ولاية يوتا فى الولايات المتحدة ليقوم بأول بحث علمى فى عصرنا هذا حول كهف أهل الكهف فى العالم ، فزار جميع أماكن هذه الكهوف فى العالم ولما جاء الأردن واطلع على حفريتنا فى كهف الرجيب وباحثنا فى جميع البراهين الأثرية والتاريخية والدينية هنأنا قائلاً انه كهف أهل الكهف المذكورين فى القرآن الكريم . ولما رجع الى بلاده كتب مقالاً فى مجلة ريفيودى قمران العدد ١٨ المجلد (٥) سنة ١٩٦٥ دحض فيه كل ما نسب الى الكهوف الأخرى من انها كهف أهل الكهف وقال ان الكهف الذى تنطبق عليه آيات القرآن الكريم هو كهف الرجيب وان خير ما كتب عن هذا الكهف هو كتاب اكتشاف كهف أهل الكهف .

يقع كهف الرجيب على بعد ثمانية كيلومترات . جنوب شرقى عمان عند قرية تدعى أوعلندة على طريق سحاب الموقر ، وتصله طريق معبدة شرقية ، وهو كهف نقر فى الصخر يقع على سفح جبل صغير كان قبل حفره مملوء بالرمم والهياكل العظمية والبشرية ولم تكن آثار مسجده قبل الحفر ظاهرة فوق التراب سوى بعض الحجارة ويعلوه كثير من التراب والركام والكهف مذكور فى سجلات دائرة الآثار الأردنية بأنه كهف رومانى . زاره العلامة كندر سنة ١٨٧٠ وذكر فى كتابه مسح الضفة الشرقية من الأردن . كما سبق أن زاره المستشرق كليمانت غانو سنة ١٨٦٨ ووافق القدسى على انه كهف أهل الكهف المذكور فى القرآن الكريم .

عهد الى مدير الآثار الدكتور عونى الدجانى بحفره فى حزيران سنة ١٩٦٣ وانتهينا من الحفر فى أواخر آب سنة ١٩٦٣ وقد كشف الحفر عن صومعة بيزنطية فوق الكهف مباشرة ترجع بتاريخها الى عصر الملك انطليوس سنة ٤٩١ سنة ٥١٨ والى عهد ابنه جستينوس الأول سنة ٥١٨ سنة ٥٢٧ . وقد حول المسلمون هذه الصومعة الى مسجد دون تغيير فى المساحة أو البناء بل أضافوا اليه المحراب فوق باب الكهف من الجهة الجنوبية كما كشف الحفر عن سافلة الميضاة ودرج المئذنة وقواعدها ويرجع ذلك الى زمن عبد الملك ابن مروان وقد عثرنا على نقود هذا الملك عند المحراب مع الفخار الأموى

وأباريق الوضوء الأموية والطولونية والأيوبية كما عثرنا على عملة صلاح الدين وقايتباى وقلاون •

وكشف الحفر فى الجهة الجنوبية لساحة الكهف عن مسجد آخر بمحرابه ومنبره الحجرى وهو مقام على بقايا صومعة بيزنطية وعثرنا على الفخار الأموى وعلى الطوب المشوى الأموى الذى يشابه الطوب فى القصور الأموية فى المشتى والحرانة وقصر هشام بن عبد الملك فى أريحا • وفى ساحة الكهف عثرنا على بقايا أشجار الزيتون التى ذكرها ابن اسحق الثعلبى وعلى الحائط الرومانى الذى بناه الطاغية تراجان وسد على القبة باب الكهف • وفى داخل الكهف عثرنا على الفجوة المذكورة فى القرآن الكريم وهى رومانية كما عثرنا على ثمانية مدافن مفقودة فى الصخر من زمن بيزنطى وفيها عظام بشرية • وعثرنا على المضيق الذى ذكره ابن منقذ فى كتاب الاعتبار الموصل بين داخل الكهف وأرضية المسجد العلوى •

كما وجدنا جدران الكهف مليئة بالرقيم والكتابات الكوفية والثمودية واليونانية القديمة وأن كلمة الكهف محفورة على جدران الكهف من الداخل وآيات من القرآن الكريم كما عثرنا على رسم بدائى لكلب على الجدار فوق أحد المدافن وعلى عملة بيزنطية واسلامية نحاسية داخل المدافن مع شقف فخار وأسرجة وكلها بيزنطية ومن عهد ثيودوسيوس الذى بعث فى زمنه أهل الكهف وعثرنا على لوحات حجرية منقوشة بالكتابة الكوفية القديمة منها واحدة من اكتشاف عهد خمارويه بن أحمد بن طولون تذكر تجديد المسجد ذكرنا عنها فى كتابنا اكتشاف كهف أهل الكهف ص ٦٦ وطول المسجد العلوى فوق الكهف ١٠ أمتار وسمك حيطانه يتراوح بين المتر و ٩٠ سم واتساع حجراته مترا وبابه للشرق وعرضه يقرب من المتر وكان للمسجد قبة ترتكز على أربعة أعمدة حجرية لا تزال بقاياها ماثلة للعيان •

أما المسجد الجنوبى فطوله يقترب من ٢٥ × ٥ أمتار وسمك حيطانه يزيد عن المتر • وله محراب اتساعه يقرب من المتر ومنبره الحجرى بثلاث

درجات • وله ثلاثة أبواب كبيرة وشباكان من الشمال • وشباك شرقى صغير •

وقد انطبقت جميع آيات القرآن الكريم على هذا الكهف • فبابه من الجنوب وتشرق الشمس عن يمينه وتغرب عن يساره ولا تدخله الشمس • والمدافن داخله من عهد بيزنطى يرجع لزمن ثيودوسيوس الثانى بن أركاديوس سنة ٤٠٨ ـ ٤٥٠ وفى زمنه بعث أهل الكهف كما أن المسافة التى ذكرها ابن اسحق الثعلبى وهى بعد الكهف عن مدينة الفتية تنطبق تماما على المسافة بين عمان والكهف وقد ثبت أن الطاغية هو تراجان ٩١ ـ ١١٧ م وهو الذى بنى المدرج الرومانى بعد أن فتح شرق الأردن سنة ١٠٦ م وخط طريقه المعروف بطريق تراجان وفتح البتراء سنة (١٠٧) وبنى مدينة ايلة الرومانية سنة ١٠٨ وله آثار كثيرة فى عمان والأردن • وقد أصدر تراجان مرسوما سنة ١١٢ يقضى بأن كل مسيحى لا يدين بالطاعة والولاء لالهة الدولة يلاحق ويقتل (راجع كتاب تاريخ سوريا للدكتور حتى) وقد ثبت أن مدينة عمان هى مدينة أهل الكهف • وبالقرب من الكهف قرية صغيرة تدعى الرجيب وقد أخذت اسمها على ما أعتقد من اسم الرقيم الذى هو مكان الكهف وحرفت فيما بعد الى الرجيب •

وقد ورد اسم الرقيم فى أشعار العرب فقالوا :

يزرن على تنائيه يزيدا   بأكناف الموقر والرقيم

فالموقر جنوب شرقى عمان وعليه يكون الرقيم بالقرب منه وهو ما يؤكد وجود الكهف فى المكان المذكور •

زار هذا الكهف بعد اكتشافه كثير من الشخصيات العالمية والعرب وقد تلطف جلالة الملك الحسين المعظم فأمر باعادة بناء المسجد وشرعت دائرة الأوقاف ودائرة الآثار باتخاذ العدة للبناء وعمل التخطيط كما أن فى نية الحكومة الجلية بناء مدينة للحجاج بالقرب منه كيما يرجع هذا المكان المقدس الى سابق عهده •

حجر ذيبان *

واسمها فى التوراة ديبون DIBON وهى على بعد ٦٤ كيلومترا من عمان جنوبا على طريق مادبا / الكرك • كانت ذيبان عاصمة مملكة مواب وكان ميشع أعظم ملوكها ذكرا وشهرة فى التاريخ القديم • فقدا كان كحسيننا العظيم اليوم قائدها الأكبر ورافع راية نهضتها ورمز منعتها وكان أعداؤه فى ذلك الحين هم أسلاف أعداء الحسين اليوم والأمة العربية جمعاء ؛ اسرائيل كانت موآب قبل هذا الانتصار العظيم تعانى من صنوف العدوان والاعتداء والعسف والظلم من آل عمرى وخلفائه مما حدا بالملك ميشع أن يعلن الحرب على اسرائيل ثائرا لعزة بلاده وحمية أوطانه واستقلال أمته فكانت حربا ضروسا شعواء حطم فيها هذا الملك العظيم جيوش آل عمرى فطردهم بعيدا عن بلاده وطهر أوطانه من رجسهم وبلائهم واسترجع ما كان بأيديهم من البلاد وخرب ما نشأوه من تحصينات ودساكر وهدم ما نصبوه من معابد وهياكل • كان هذا الانتصار سنة ٨٤٠ ق•م• ولهذا فقد أراد ميشع ملك موآب تخليد هذه الذكرى العظيمة باقامة نصب حجرى يذكر عليه أعماله المجيدة وانتصاراته الباهرة على أعدائه وإصلاحياته العمرانية التى أقامها من تعمير المدن الخربة واستيلائه على مدن الأعداء وهدمه معابدهم وهياكلهم • وقد أقام هذا النصب فى ذيبان قرب المعبد العظيم للاله كاموش آله موآب ومعبودها الرئيسى وكان بالقرب من قصر ميشع الفخم ، وقد ظهرت بعض آثار القصر فى حفريات الدكتور مورتن الأميركى الذى قام بالحفريات فى هذا الموقع سنة ١٩٦٥ نيابة عن المدرسة الأميريكية للأبحاث الشرقية بالقدس كما عثر سنة ١٩٥٥ على مبخرة من الفخار كبيرة الحجم بها فتحتان لمرور دخان منها وعليها نماذج لحيات وحمام دلالة على التضحية والتقديس وهذه المبخرة يعتقد أنها من آثار ذلك المعبد وهى الآن فى متحف عمان •

وكان نصب ذيبان من الحجر البازلت الأسود عليه ٣٤ سطرا بالخط

---

* بقلم الأستاذ رفيق وفا الدجانى •

المؤآبى القديم وهو نوع من الخط الفنيقى القديم • وبقى هذا النصب فى ذيبان حتى سنة ١٨٦٨ •

قصة اكتشاف حجر ذيبان :

فى سنة **١٨٦٨** جاء قنصل فرنسا العام فى القدس الكونت كليمانت غانو الى ذيبان وكان غانو من هواة الآثار ، وشاهد الحجر فى موضعه فساوم أهل ذيبان على شرائه فلم يتفقوا على حصة كل منهم ، وأخيرا عمدوا الى جمع الحطب ووضعوه حول النصب وأوقدوا النار حوله حتى اشتدت وحمى الحجر ثم جاءوا بالماء البارد فصبوه فواق الحجر فانكسر الى عدة قطع • عندها باعت كل عشيرة قسما من هذا الحجر الى القنصل حيث اشتراه وأرسله الى باريس ليرمم ويوضع فى متحف اللوفر حيث هو الآن •

وكان غانو ذكيا فحين رأى اختلاف العشائر حول بيع الحجر عمد الى رسمه وأخذ قالبا عن كتابته وذلك بواسطة الورق المضغوط، وبه حفظ لنا نص الكتابة التى ضاعت من جراء تحطيم الحجر وتفتته •

نص الكتابة

يذكر ميشع فى هذا السجل التاريخى الهام أن والده قد ملك على موآب ثلاثين عاما ولما خلف هو أباه بنى المكان المقدس للآلهة كاموش فى الكرخة وهو مكان عال اعترافا منه وحمدا بأن نصره على أعدائه وخلص بلاده من شرهم وجعله ينتقم من جميع الذين كانوا يبغضونه ذاكرا مضايقة عمرى لشعب موآب أياما عديدة • وقد عزا الملك ميشع هذا الى غضب كاموش على شعب موآب (تماما كما كان يعتقد أنبياء اليهود بأن كل اضطهاد ينالهم وكل دولة حكمتهم كان راجعا الى غضب يهوه الاه اسرائيل عليهم) ويذكر ميشع ملك آل بيته وهلكت اسرائيل هلاكا أبديا • ويذكر ميشع الأربعين عاما التى قضاها شعب موآب يقاسى من اضطهاد وعسف أيام حكم عمرى ونصف أيام حكم ابنه وأن كاموش قد نصره أخيرا عليه وطهر أرض مادبا من شرهم وظلمهم • كذلك قال ميشع فى هذا النصب أنه قد بنى (بعل معيون) وانشاء

البركة فيها وبنى كرياتين وأنه بنى الكرخة وبنى سور الغـــابة وسور التل وبوابتها وأبراجها وقصر الملك • والكرخة هى من أسماء الكرك القديمـة • وقد حفر ميشع القنـاة الى الكرخة وسـخر أسرى الاسرائيليين فى حفرها • وأعاد ميشع بناء (عروعير) عرار اليوم وهى غلى بعد أميال جنوب ذيبان،وكذلك أعاد بناء بيت باحوث بعد أن كانت خربة وكذلك (بتيسير) وأعاد بناء مادبا وبيت دبلاتين وهيكل بعيون •

شق الطرق وبناء الآثار :

ويقول ميشع انه شق الطرق الرئيسية فى وادى أرنون (نهر الموجب) وعمر الطـريق الرئيسى وهو الطريق السلطانى الذى استعمله أهالى العصور البرونزية منذ ٢٢٠٠ سنة ق.م وذات الطريق الحالى بين عمان ـ مادبا ـ ذيبان ـ الكرك ـ العقبة • وكان من أهم طرق القوافل الرئيسية وانك لتجد اليوم آثار الطريق الرومانية اما بالقرب منها وأما تحتها وأحجار مسافة الأميال الرومانية لا تزال قائمة بالقرب من هذا الطريق وعليها اسم تراجان وغيره من أباطرة الرومان•

أما الآبار فقـد أمر الملك ميشع جميع السـكان بحفر آبار فى منازلهم وخاصة فى مدينة الكرخة • لأن المياه من أهم مستلزمات الدفاع أثناء الحصار الطويل وخاصة عندما تكون المدن بعيدة عن مصادر المياه من ينابيع وجداول وأنهار •

الغنائم الحربية :

يذكر الملك ميشع فى هذا السجل الهام أنه استولى على عطاروت وذبح جميع سكانها وجعل سكانها وجعل أرضها مرعى للآه كاموش وموآب،وغنم هيكل داود وجره على الأرض أمام كاموش فى مدينـة كريوث (وكريوث هى من أسـماء ذيبان القديمـة) وجاء ميشع برجال قبـائل شـارم ومحرات وأنزلهم فيهـا وحاصر ميشـع مدينـة نبـو من الفجـــر حتى الظهــر (لأن ميشع قد نذر ذلك للآه عشتار كموش) وهو أحد آلهة موآب ، وغنم من هذه المدينة أوانى معبدها ووضعها فى معبده أمام كموش •

ثم زحف ميشع على رأس مئتى رجل من موآب وزعمائها واستولى على (ياحص) بعد أن استولى على بيت معيون وبيت دبلانين ومادبا التى خربتها الحروب وأسكن فيها رئيس الرعاة وقبيلة خرنان بن ديدان مع مواشيهم .

ويذكر ميشع أنه استولى على مئة مدينة كانت بيد الأعداء وضمها الى أراضى ديبون (ذيبان) تحت حكمه .

هل عثر على قبر ميشع :

بين سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٥٥ قامت المدرسة الأميركية للأبحاث الشرقية فى القدس بحفريات أثرية فى ذيبان وقد عثرت على قبور فى سفح الجبل المواجهة لتل ذيبان من الجهة الشرقية وكان أهمها قبر فى كهف منحوت من الصخر عثر فيه على تابوت من الفخار وعليه غطاء من الفخار أيضا رسم على وجهه صورة وجه انسان بصورة بدائية ولم يعثر فى هذا القبر على نقوش لتدل على صاحب القبر ولكن تاريخ القبر قد أرخ بالنسبة للفخار الذى عثر بداخل التابوت وحواليه بالفترة التى عاش فيها الملك ميشع ولما لم يعثر على تابوت فى قبر سواه . لذا فمن المرجح أن يكون هذا التابوت لأعظم رجل فى ذيبان وقد يكون هذا التابوت للملك ميشع ما لم تظهر الحفريات المقبلة خلاف ذلك والتابوت موجود للآن فى المتحف فى عمان .

اهتمام البعثات الأثرية الأجنبية بذيبان :

ان العثور على حجر ذيبان فى نفس التل الذى كانت عليه المدينة ، قد أثار اهتمام علماء الآثار بها . فقد قام العلامة الألمانى موصل بزيارتها سنة ١٨٧٠ ووصفها فى كتابه الجزء الأول وصفاً تاماً .وكانت لها ثلاثة أسوار كبيرة ومتينة تحيط بالتل الشمالى والجنوبى كما وصف أبراجها وبواباتها وصفاً دقيقاً ، ويقول موصل أن ذيبان كانت محصنة تحصيناً حربياً عظيماً ولم ير مثلها مدينة فى روعة تحصيناتها وأبراجها . وبعد موصل جاء شوماشر وكتب عنها ثم جاء نلسون جلوك بين سنة ١٩٣٤ الى سنة ١٩٣٩ ومسح الأردن وكتب عنها فى حوليات المدرسة الأميركية للأبحاث الشرقية فى القدس العدد ١٨ - ١٩ .

ثم جاءت المدرسة الأميركية لحفرها تحت ادارة الدكتور مورتن يساعده كثير من العلماء أمثال الدكتور وليم ريدو وهاموند وغيرهم • وقد كشفت الحفريات عن أسوار المدينة وأبراجها من الجهة الشرقية والجنوبية وعن أنقاض المساكن وكثير من الآبار التى أوصى ميشع بحفرها •

وفى سنة ١٩٦٣ قامت دائرة الآثار باجراء حفريات فى ذيبان فى جانب السور الجنوبى تحت ادارة كاتب هذه السطور وعثرت على امتدادات لهذه الأبراج مع بعض الأبراج للجهة الغربية والجنوبية • كما اننا قمنا أثناء وجودنا على رأس هذه الحفرية وبمساعدة مدير الناحية وقائد الشرطة بالبحث عن رجل معمر ممن قد عاصروا حادثة شراء حجر ذيبان فعثرنا على شيخ كبير السن كان قد عاصر هذه الحادثة • ولكن ذاكرته لم تع المكان الذى كان الحجر فيه وقت الحادثة • وكان غرضنا من ذلك أن نحفر فى المكان فيما لو وجدناه عن بقية قصر ميشع أو معبد الآله كموش •

ولكن فى سنة ١٩٦٥ قام الدكتور مورتن بحملة جديدة ونقب فى وسط التل فعثر على قواعد بناء ضخم لم يتحقق منه بعد وقد يكون من أنقاض قصر ميشع أو معبده وستكشف الحفريات المقبلة عن الكثير من تاريخ وآثار هذه المدينة العظيمة •

المعالم الأثرية

في

المملكة العربية السعودية

المعالم الأثرية
فى
المملكة العربية السعودية

من المعروف ان الجزيرة العربية لم تكن بمعزل عن الحضارات القديمة التى سادت بلاد ما بين النهرين ومصر والهند والشرق الأقصى وأقطار الشرق الأدنى . وقد ساعد وجود ثلاثة سواحل طويلة للجزيرة وقرب هذه السواحل من بقاع حصينة على تسهيل وصول السفن اليها . وبذلك تهيأ للجزيرة العربية الاتصال عبر المياه المغلقة فى البحر الأحمر والخليج العربى بمراكز الثروة والحضارة فى مصر وايران وبلاد ما بين النهرين . ورغم أن معرفتنا عن الملاحة العربية قبل العصر الهليني قليلة ، الا ان شعوباً أخرى تركت آثاراً عن رحلاتها فى المياه العربية قبل ذلك بزمن طويل . فالنقوش السومرية والأكادية (من الألف الثالث ق.م) تتحدث عن صلات تجارية بين الجزيرة العربية وبلاد دلمون . كما ورد فى نقش يعود الى عهد « شُلْجى » من ملوك أسرة أور الثالثة (٢٠٥٠ ق.م) . ان السفن كانت تبنى فى ماجان وان الساحل الغربى للجزيرة العربية كان على علاقة بحرية مع مصر منذ عهد ساحورع (٢٤٧٠ ق.م). كما كان الساحل الغربى للجزيرة العربية على علاقة بحرية بموطن الفنيقيين وأقدم دليل على ذلك نجده فى سفر الملوك الأول .

بالاضافة الى هذه الاتصالات البحرية فقد كانت الجزيرة العربية على اتصال ببلدان الشرق الأدنى القديم عن طريق برى ، ويعتقد العالم سبرنجر أن هذا الاتصال البرى يعود الى عصور ما قبل التاريخ مؤكداً ان وجود البخور فى الجزيرة العربية كان محور التجارة العالمية وفي رأى سبرنجر أن عرب الجزيرة ، منتجى ، البخور ، هم الذين وضعوا أساس هذه التجارة العالمية . وقد لعب هذا الخط البرى دوراً هاماً فى تاريخ الجزيرة العربية الحضارى والسياسى وخاصة فى الألف الأول قبل الميلاد ، وعلى هذا الخط التجارى البرى نشأت ممالك ومدن صار لها شأن كبير فى تاريخ الجزيرة العربية وكان هذا الخط يمتد من جنوب الجزيرة العربية ويسير شمالاً موازياً

لساحل البحر الأحمر حتى يصل المدينة المنورة ، ثم يأخذ اتجاهاً يساير اتجاه الخط الحديدى الحجازى الحالى ماراً بمدينة العلا ومدائن صالح ومنها الى البتراء فى الجنوب الغربى من الأردن ومن البتراء يتفرع خط يسير غرباً الى غزة وعسقلان على البحر المتوسط ،بينما يخرج خط من البتراء متجها عبر سيناء الى مصر،كما يخرج خط ثالث من البتراء متجهاً شمالاً الى دمشق وآسيا الصغرى • وهنالك فرع هام لهذا الطريق يبدأ من مدائن صالح ويتجه الى تيماء ومنهـا عبر الصحراء الى بلاد ما بين النهرين أو الى الجوف ومنها الى وادى السرحان وسوريا •

هذا الماضى الطويل الحافل ، جعل المملكة العربية السعودية تزخر بكنوزها الأثرية وهى على اتساع رقعتها الأرضية تزخر بالمدن المختبئة والنائمة تحت الرمال العربية والتى بها ملايين الأسرار تنتظر عالم الآثار لاخراجها من باطن الأرض ولفك كتاباتها القديمة التى تبلغ عشرات الآلاف •

ان آثار المملكة العربية السعودية ما تزال بكراً لم ينقب عنها وفيها كتابات على الصخور فى الجبال وفى الأودية منذ عهود قديمة فى شمال الحجاز وفى وسط نجد وفى جنوب الحجاز فى جهات عسير وتهامه•وقد خطت وزارة المعارف خطوة نبيلة بانشاء ادارة للآثار لتكون الأمين الذى اختارته الدولة الحديثة المتطورة،ليتولى مسئولية المحافظة على شواهد الماضى التى هى شواهد تراث حضارى عريق عرفته أرض المملكة العربية السعودية عبر العصور المتلاحقة •

ولقد أسفرت الأعمال التى قامت بها ادارة الآثار فى المملكة العربية السعودية منفردة ، وبالتعاون مع البعثات الأثرية الأجنبية ، عن كشف عددكبير من المدن الأثرية فى شتى أنحاء المملكة بالاضافة الى آلاف الكتابات القديمة المنحوتة على الصخور • وفيما يلى وصف موجز لأبرز المعالم الأثرية فى المملكة العربية السعودية :

ـ المدينة المنورة

تزخر المدينة المنورة بعدد كبير من المبانى الأثرية التى يعود للعصر



(صـــورة ١)

شاهد قبر عثر عليه فى انقاض المدينة الاسلامية فى البجادية
وقد كتب بالخط الكوفى ويعود الى القرن الثانى أو الثالث الهجرى

الاسلامى بالاضافة الى خرائب مدينـة يثرب القديمـة وخاصـة منطقة العيون الواقعة بالقرب من سفح جبل أحد ، وخاصة بقايا السدود التى تعود الى العصر الأموى • كما أن هناك مدينة أثرية ضخمة تسمى الزرب أو المراجين وسيكون لاجراء حفريات فى هذا الموقع أهمية قصوى فى زيادة معرفتنا عن تاريخ المدينة المنورة فى العصر الاسلامى وما قبله •

٢ — البجـادية

مدينة اسلامية تقع على مسافة ٩٠ كم من الدوادمى وفيها بقايا مدينـة اسلامية وقد لوحظ وجود أربع أنواع مختلفة من الفخار الاسلامى تعود الى فترات تاريخية مختلفة وأقدم هذه الأنواع،نوع خالى من الدهان أو الزخرف• كما عثر على الفخار المزجج والشائع فى العصرين الفاطمى والأيوبى •

٣ — المابيـات

مدينة اسلامية ضخمة تقع فى الجزء الشمالى الغربى من المملكة على بعد ٣٠ كيلو متر جنوب آثار مدائن صـالح ، وتفوق المـابيات فى ضخامتها بعض المدن الاسلامية المعروفة مثل الفسطاط وسامراء • والموقع عبارة عن هضـاب صغيرة قليلة الارتفاع هى أنقاض المبانى المتعددة التى كانت تتكون منها المدينة ويحيط بالمدينة سور منبى من الآجر وقد خلا السور من أية أبراج للتقوية لأن السور كثير التعرج وهذا أعطاه قوة تعوضه عن نقص الأبراج • وقد دلت الدراسات التى أجريت على الفخار الذى جمع من الموقع ، أن المـابيات كانت آهلة بالسكان منذ بداية العصر الاسلامى وحتى القرن الثالث عشر الميلادى•

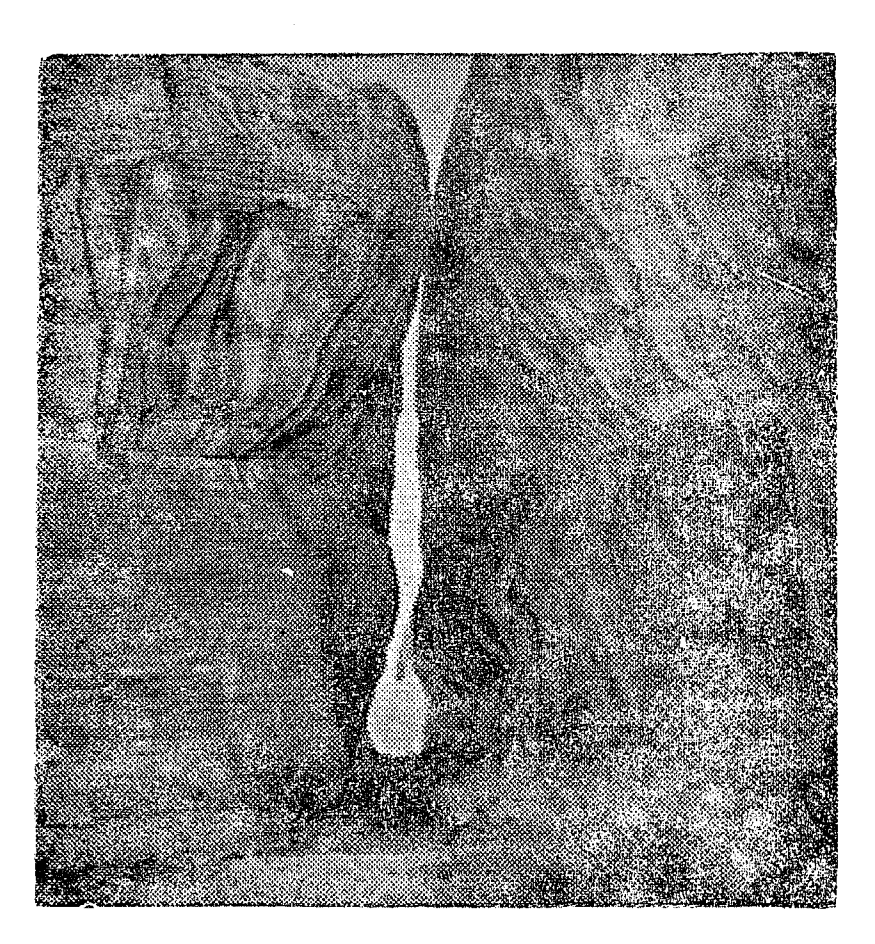
٤ — مـدائن صـالح

مدينة نبطية مشهورة فى الجـزء الشمالى الغربى من المملكة ، وهى من المعالم الأثرية البارزة في المملكة • وقد زارها مرة ، الرحـالة الانجليزى شارلز دوتى وأورد لهـا وصفا فى مجلديه اللذين وضعهما باسم الصحراء العربيـة ، كما زارهـا العديد من الرحالة أشهرهم الفرنسيان جاوسن وسافيغنـاك • وقد ورد ذكر مدائن صـالح فى كتب المؤرخين الكلاسيكيين

والمسلمين . فقد ذكر المؤرخ سترابو أن الامبراطور «جالوس» ، مر أثناء قدومه من جنوب الجزيرة العربية متوجها الى مصر بموقع يسمى (أجراء) ضمن حدود مملكة الأنباط . ويذكر الطبرى أن ثمود قد أقامت فى الحجر وضواحيها بين الحجاز وسوريا ، ويذكر المقدسى أحد مؤرخى القرن العاشر الميلادى أنه حتى وقته كانت الحجر، منطقة مسكونة ومحصنة وتحتوى على عدد كبير من الآبار والبساتين . وأكثر ما يسترعى انتباه الزائر لمدائن صالح هو امتدادها الأرضى الكبير ، فمدائن صالح تفوق مدينة البتراء من حيث الاتساع والضخامة . والآثار الباقية فيها عبارة عن أضرحة ومدافن منحوتة فى الصخر وقد خلا داخل المدافن من أية زخارف حيث أنه قصد بها أن تؤدى مهمة احتواء أجساد الموتى فقط . أما واجهات المدافن فقد بذل النحاتون وقتا أكبر فى نحتها لاكتسابها قدرا من التناسق المعمارى والجمالى . ويمكن تقسيم المدافن من حيث الطراز المعمارى الى مجموعتين : المدافن ذات الأدراج ، والمدافن ذات الشرفات . وهذا الطراز الأخير متأثر بالعمارة الآشورية أما الطراز الأول فمن المحتمل أن يكون تطورا محليا لطراز المدافن ذات الشرفات .

يبلغ عدد المدافن فى مدائن صالح ١٣٠ مدفنا ويزخرف واجهات المدافن عدد من العناصر الزخرفية أبرزها الجرة ذات الأشرطة والوجوه البشرية والصقور والأفاعى وهى دلالات على تأثير الاغريق والرومان . هذا بالاضافة الى الزهرة السداسية أو النسر أو الصقر أو الأسود الآشورية .

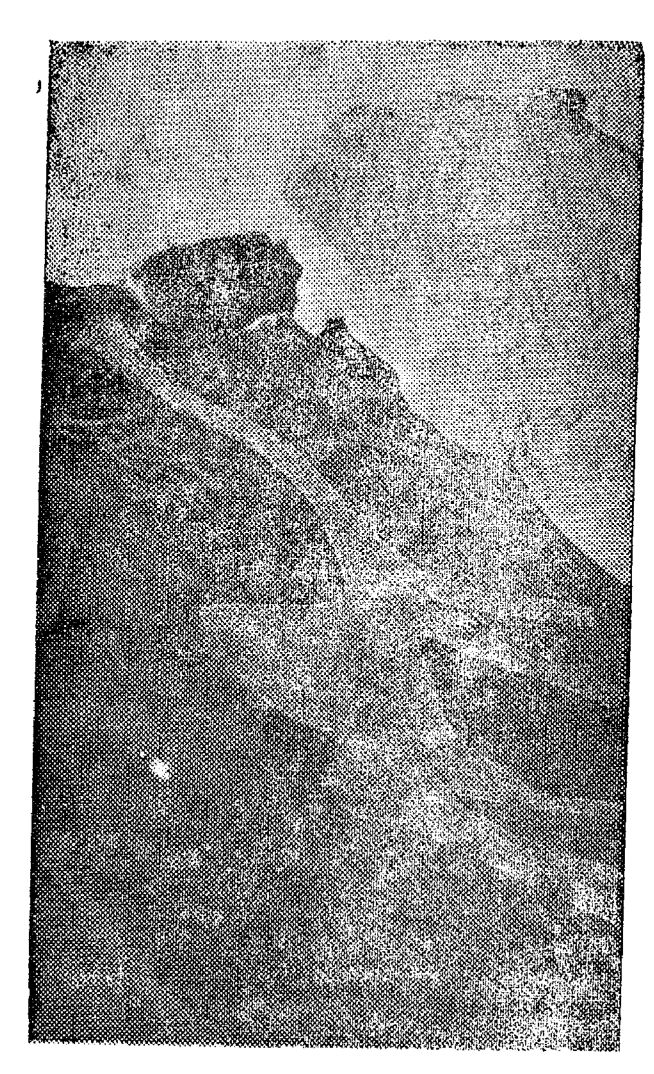
ويوجد على معظم واجهات المدافن كتابات نبطية يعود تاريخها الى ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعد الميلاد ، وأكثر الكتابات يذكر بالتفصيل اسم الشخص الذى نحت من أجله المدفن فمثلا يذكر أحد النصوص أن (حوسا بو ابن نافيبو)من أهالى تيماء قد نحت الضريح لنفسه ولأبنائه ولوالدته هابو ولا خواته (روفير وافيتو وأولادهما) وقد وجد بين القبور مومياء تشير الى التأثير المصرى والآشورى ثم عظام الموتى وقطع من القماش الذى لف على الجثث .



(صـــورة ٢)
مدخل جبل أثلب فى مدائن صالح وعلى اليمين المبنى المنحوت فى الصخر المسمى « بالديوان » وهو أحد المعابد القديمة فى المدينة



(صـــورة ٣)
كتابات ورسوم ثمودية من ياطب فى منطقة حائل



(صـــورة ٤)

كتابة ثمودية ورسم يمثل جملا من ياطب فى منطقة حائل

ان الجانب الهام فى مدائن صالح هو المدينة السكنية ذات الأسوار الضخمة والتى يعتقد أنها تحتوى على مساكن وبيوت الأنباط الذين أقاموا فى الموقع وكان يحيط بالمدينة سور مبنى بالحجر المدقوق بينما بنيت أجزائه العلوية بالطوب ٠

كما تجدر الاشارة الى أن واجهات بعض المدافن فى مدائن صالح تحتوى على زخارف جدارية من نوع الفريكو على غرار ما عثر عليه فى مدينة دورا أوروبس ٠

٥ — تيمــــاء

واحدة من المعالم الأثرية الهامة فى المملكة العربية السعودية ٠

وتيماء عبارة عن واحة تقع فى قاع شاسع يحاذى غرب نجد ويكون بقعة خضراء متوفرة المياه فى وسط صحراء ممتدة ويحيط بها أرض خصبة والجزء الذى يضم التلال الأثرية تبلغ مساحته ٦٤ هكتاراً ، ويحيط بها مجموعة من الأسوار الحجرية الضخمة طولها خمسة أميال ويتراوح عرض السور بين ٢ ـ ٣ أمتار وارتفاعه خمسة أمتار ٠ ويرجح أن هذه الأسوار تعود الى أواخر القرن السادس قبل الميلاد ٠

وأقدم ذكر لتيماء فى الوثائق المكتوبة يعود الى عهد (تغلث بلاسر ٧٣٢ ق٠م) وقد ورد ذلك فى نقش على حجر مكتوب وجد فى Calah كما ورد ذكر تيماء فى الوثائق التى تعود الى عهد الامبراطورية البابلية الأخيرة وخاصة النقش الذى يعود الى عهد الملك البابلى (نابونيدس) الذى خرج فى سنة ٥٥٢ ق٠م فى حملة طويلة وصل بها الى تيماء وقتل أميرها وماشيتها وأقام فيها حوالى عشرة سنوات حيث قام بتجميل المدينة وبنى لنفسه قصراً على غرار قصره فى بابل ٠ وقد ورد ذكر تيماء في العديد من المصادر التاريخية الاسلامية وذكر ابن القلانس أن تيماء كانت عامرة حتى عام ١١٥٧ م وهو العام الذى أصيبت فيه بزلزال كبير ٠

٦ — العـــلا

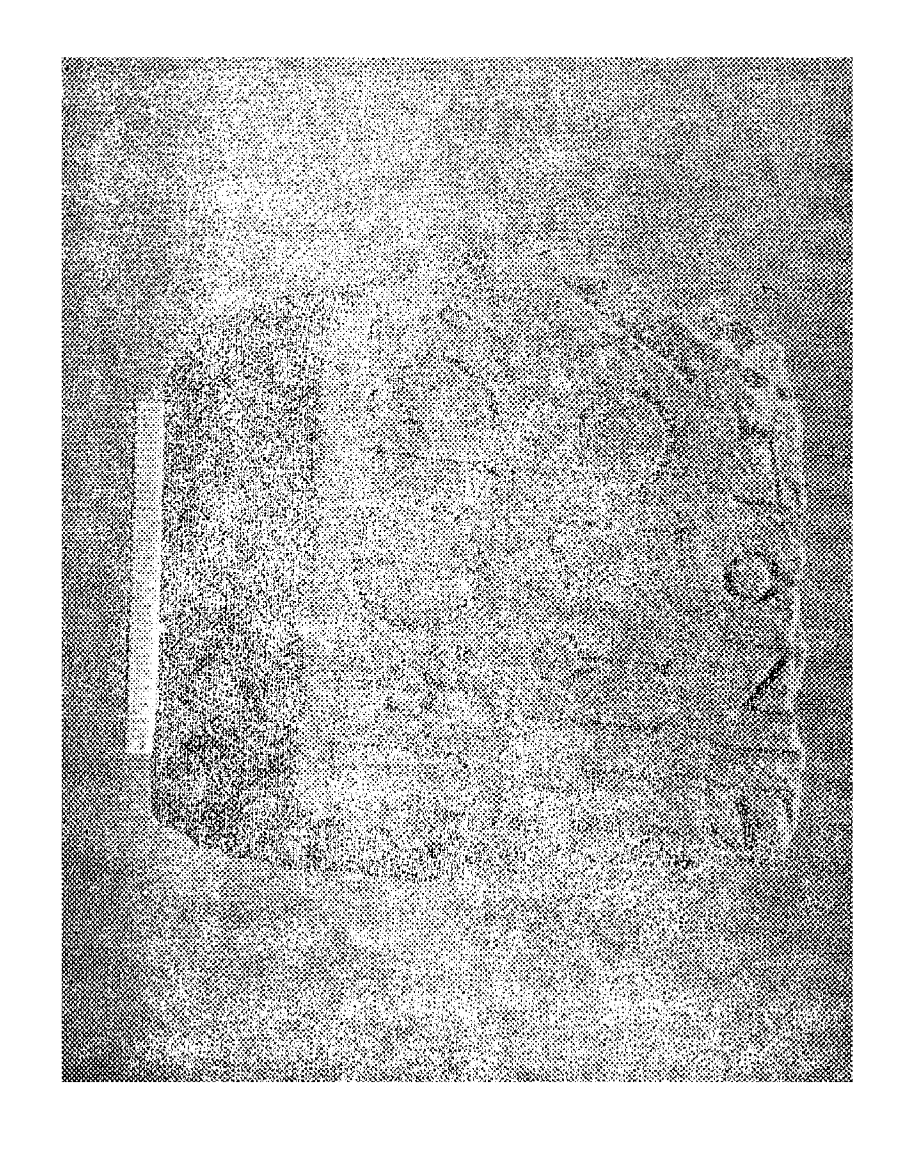
موقع أثرى هام يقع فى الجزء الشمالى الغربى من المملكة وقد كانت تعرف قديماً باسم (ديدان) وكانت ديدان مدينة مركزية على الطريق التجارى البرى وفيها كانت تغير القوافل شحناتها بتفريغها أو تحميلها بالعطور والحرير والروائح، وكانت عاصمة لمملكة لحيان ، وهى احدى الممالك العربية التى كانت تتمركز في هذا الجزء من المملكة. وحكمت خلال الفترة الواقعة بين القرن الرابع والثانى ق.م ثم أصبحت ديدان مستعمرة لدولة (معين) منذ منتصف القرن الثالث ق.م حتى بداية القرن الأول ، حيث خضعت النفوذ الأنباط المجاورة لها فى مدائن صالح، وهذا ما يبين من دراسة الكتابات اللحيانية [احدى كتابات الجزيرة العربية] والكتابات المعينية [احدى كتابات جنوب الجزيرة] التى وجدت فى ديدان وخرائب ديدان الحالية تغطى مساحة تبلغ ٣٠٠ × ٢٠٠ متراً وتشمل عدداً من المبانى المقامة من الحجر بالاضافة الى عدد كبير من المدافن المنحوتة فى الجبال القريبة .

وسيؤدى اكتشاف ديدان الى زيادة معرفتنا عن أحوال التجارة القديمة بين جنوب الجزيرة وشمالها وبين بلدان الشرق الأدنى، تحديد مدى التبادل التجارى والحضارى القائم كما أن اكتشافها يزيد من معرفتنا عن حضارة وتاريخ مملكة الأنباط القائمة فى مدائن صالح والتى تبعد ١٥ كيلومترا فقط الى الشمال .

٧ — معبـــد روافه

معبد نبطى هام يقع على مسافة ١٢٠ كم جنوب غربى مدينة تبوك وقد سبق للرحالة موسل أن زاره .

ان مخططات المعبد ذات طابع كلاسيكى ، فمبنى المعبد عبارة عن مربع له مدخل واحد فى الجهة الشرقية وقد بنيت جدران المعبد بالحجر الجيرى الصلب المقطوع بعناية ودقة وتجلى فى قطع الأحجار الطريقة النبطية التقليدية وهى نحت



(صـــورة ٥)

كتابة بالخط الاحسائي عثر عليها في مدينة تاج

واجهة الحجارة على زاوية قدرها ٤٥ درجة • ويعود تاريخ المعبد الى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى وعلى الجانب الأيمن لمدخل المعبد يوجد نص طويل مكتوب بالخطين النبطى والاغريقى يذكر أسماء الأباطرة الرومان (ماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس) وقد ورد فى النص انتصاراتهم على الأرمينيين والبارثيين ويعود تاريخ النص الى عام ١٦٦ ـ ١٦٩ م •

وتحفل الجبال والأودية المحيطة بالمعبد بالعديد من الكتابات الثمودية والنبطيه مما يجعل هذا المكان موقعاً نبطياً هاماً •

٨ ـ القــرية

مدينة نبطية هامة تقع على مسافة ٨٠ كيلو متراً شمال تبوك والمدينة لها سور ضخم مساحته ٣٥٠ × ٢٠٠ متراً وتحتوى على قلعة مسورة تشرف على المدينة وقد كشفت أعمال البعثة الأثرية البريطانية عن بقايا سدود وأقنية حجرية كما عثرت على أنواع كثيرة من الفخار منها متعدد الزخارف يعود الى العصر البرونزى الأخير حوالى ١٣٠٠ ق•م كما عثر فى المدينة على فخار يعود الى العصر النبطى •

٩ ـ مغائر شعيب • (البدع)

يقع هذا الموقع الأثرى الهام على مسافة ٢٨٠ كم الى الشمال الغربى من تبوك وعلى مسافة قصيرة من شاطىء البحر الأحمر •يحتوى الموقع على مجموعة من التلال الأثرية التى تكون بقايا مدن تعود الى عصور مختلفة ، فالمدينة الأثرية فى المنطقة المسماة الملقطة هى مدينة اسلامية ويعود الفخار الموجود فيها الى بداية العصر الاسلامى ويستمر حتى العصرين الأيوبى والمملوكى •

أما المدينة الأثرية المسماة بالرقبة فتعود الى العهد النبطى والى نفس الفترة تعود المدافن النبطية المنحوتة فى الجبال القريبة من الموقع وهذه المدافن أقل من المدافن النبطية فى مدائن صالح فى العدد وفى المستوى المعمارى والفنى •

١٠ — مقنــيــا

تبعد عن مغائر شعيب مسافة ٣٠ كم وتقع على شاطىء البحر الأحمر وهناك موقع نبطى يقع على هضبة ويحتوى على قلعة عثر فيها على فخار نبطى وفخار اسلامى ورومانى والفخار الذى عثر عليه هناك خشن سميك الجدار ولونه رمادى أسود ومصنوع بالآلة وتظهر عليه خطوط دائرية على السطح الداخلى (فخار اسلامى) أما الفخار الرومانى الذى عثر عليه هنا فهو برتقالى معتم مدهون من الخارج وناعم الملمس وتظهر بعض أنواع الزخارف البسيطة على السطح العلوى من الوعاء الفخارى ..

١١ — وادى ماســـل

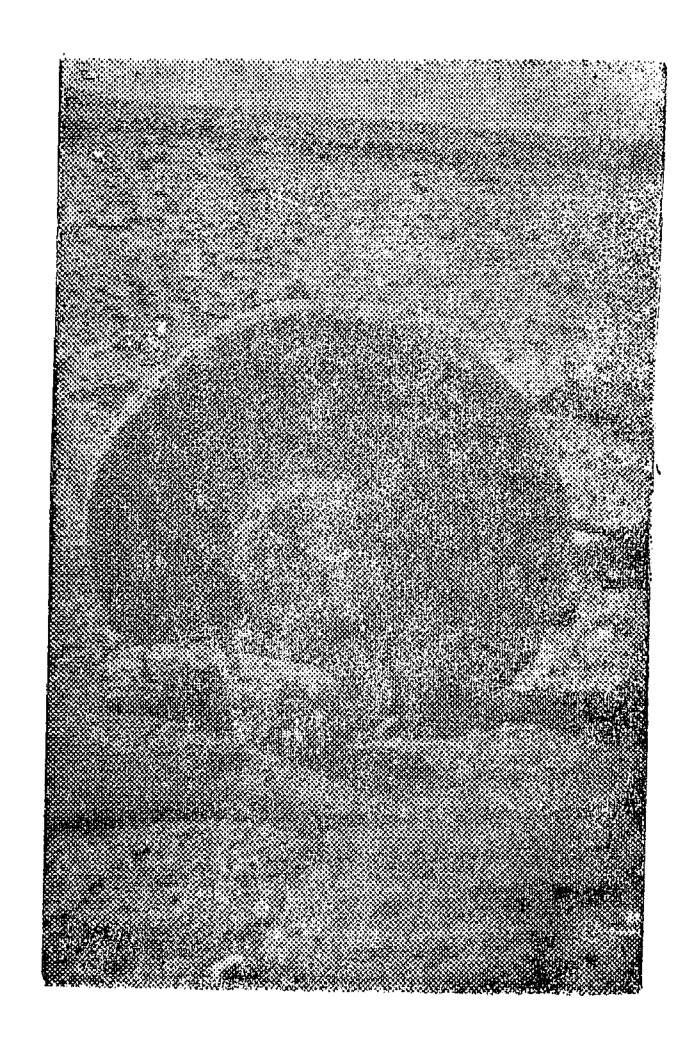
يقع على مسافة ٨٠ كم جنوب شرقى مدينة الداودمى وقد ذكره الهمذانى مؤلف كتاب (صفة جزيرة العرب) وبين الكتابات العديدة الموجودة فى الموقع .

تجدر الاشارة الى ثلاث كتابات بالخط السبئى منقوشة على الصخور البازلتية وقد سبق لريكمانز أن قام بنشرها ويذكر أحدها أن ملوك حمير ، أبكرب السعد ، وابنه حسان ، كتبوا هذه الأسطر تخليداً لاقامتهم فى وادى ماسل وذلك عند قيامهم بحملة ضد (معد) فى وادى ماسل . ان الملك ابكرب السعد معروف فى التاريخ وقد حكم فى النصف الثانى من القرن الرابع بعد الميلاد وجزء من القرن الخامس الميلادى .

وقد ورد فى نص آخر ذكر للحملة التى قام بها الملك ، أبكرب ، ضد المنذر الثالث ملك الحيرة والنص مؤرخ بسنة ٥١٦ م . أما النص الثالث فيذكر اسم (تميم) وهى القبيلة العربية المشهورة .

١٢ — جــاوان

مدينة أثرية كبيرة تعود الى العصر الهلنسى وتشمل مجموعة كبيرة من التلال الأثرية ويحيط بها سور مبنى بالحجر .



(صـــورة ٦)
النصف السفلى من رحى بازلتى كبير قطرها ½ ١ متر) عثر عليها فى خرائب مدينة فدك

تقع جاوان على مسافة ٨ كم شمال مدينة صفوى ، وأبرز ما فى المنطقة حالياً مدفن جاوان الذى تم اجراء حفريات فيه . والمخطط الأرضى للمدفن على شكل صليب جانبه الطويل ممتد من الشرق الى الغرب ويحتوى المدفن على أربعة جيوب صخرية هى عبارة عن مواضع المدفن، أما خارج المدفن فتوجد فى أركان ذراعى الصليب أربعة أماكن للدفن مغطاة بألواح حجرية قليلة السمك

وقد بنى المدفن بالحجر الصلب المدفون واستخدم بلاط مكون من الجير والرمل المحلى كما استخدمت قصارة من نفس الملاط لتغطية بعض أجزاء المدفن من الخارج وقد عثر فى القسم الشمالى من هذا المدفن على هيكل عظمى لفتاة كما عثر فى القسم الجنوبى على هياكل لرجلين موضوعة فى توابيت خشبية وقد عثر على بقايا المسامير الحديدية التى استخدمت فى اغلاق الصناديق بالاضافة الى الموجودات الآتية :

١ ـ حلقات ذهبية لتزيين الشعر .

٢ ـ سيف حديدى عريض يشبه ورقة الشجر وله مقبض من العاج .

٣ ـ سيف حديدى قليل العرض وله مقبض خشبى .

٤ ـ تمثال صغير من الجص بطول ٢٥ سم ويمثل امرأة بلباسها الكامل ومدهون باللون الأحمر والذراع الأيمن منحنية عن الكوع والأيسر يتدلى على امتداد الجسم .

وقد أمكن بدراسة موجودات المدفن تحديد زمنها وتاريخها بالقرن الأول الميلادي أى العصر الهلنسي .

١٣ ـ ثاج

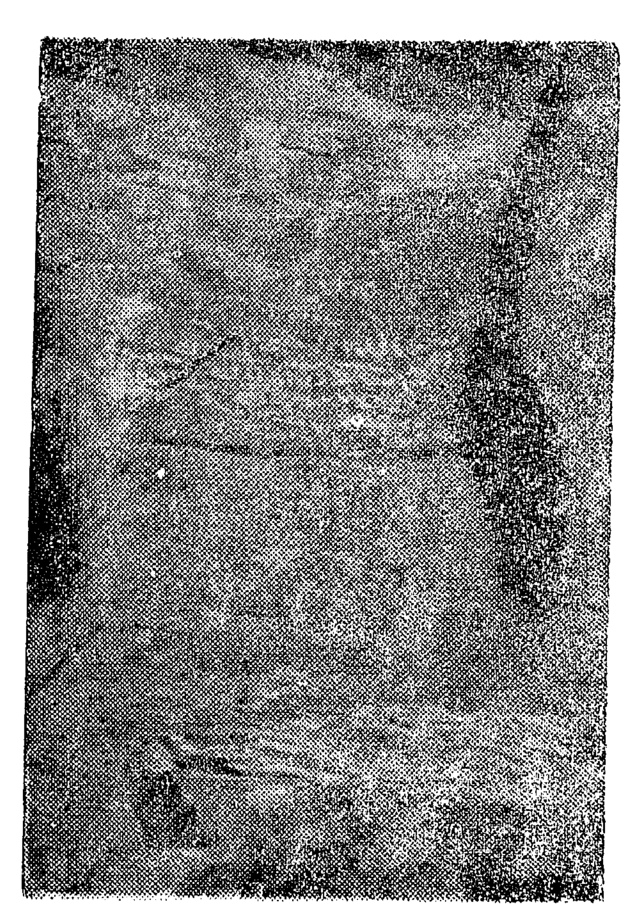
من المواقع الأثرية الهامة فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .

اتجهت أنظار الرحالة والباحثين الى ثاج حيث زارها كل من لومير وشكسبير وديكسون . وتقع على مسافة ١٥٠ كم شمال غرب الظهران جنوب طريق القوافل

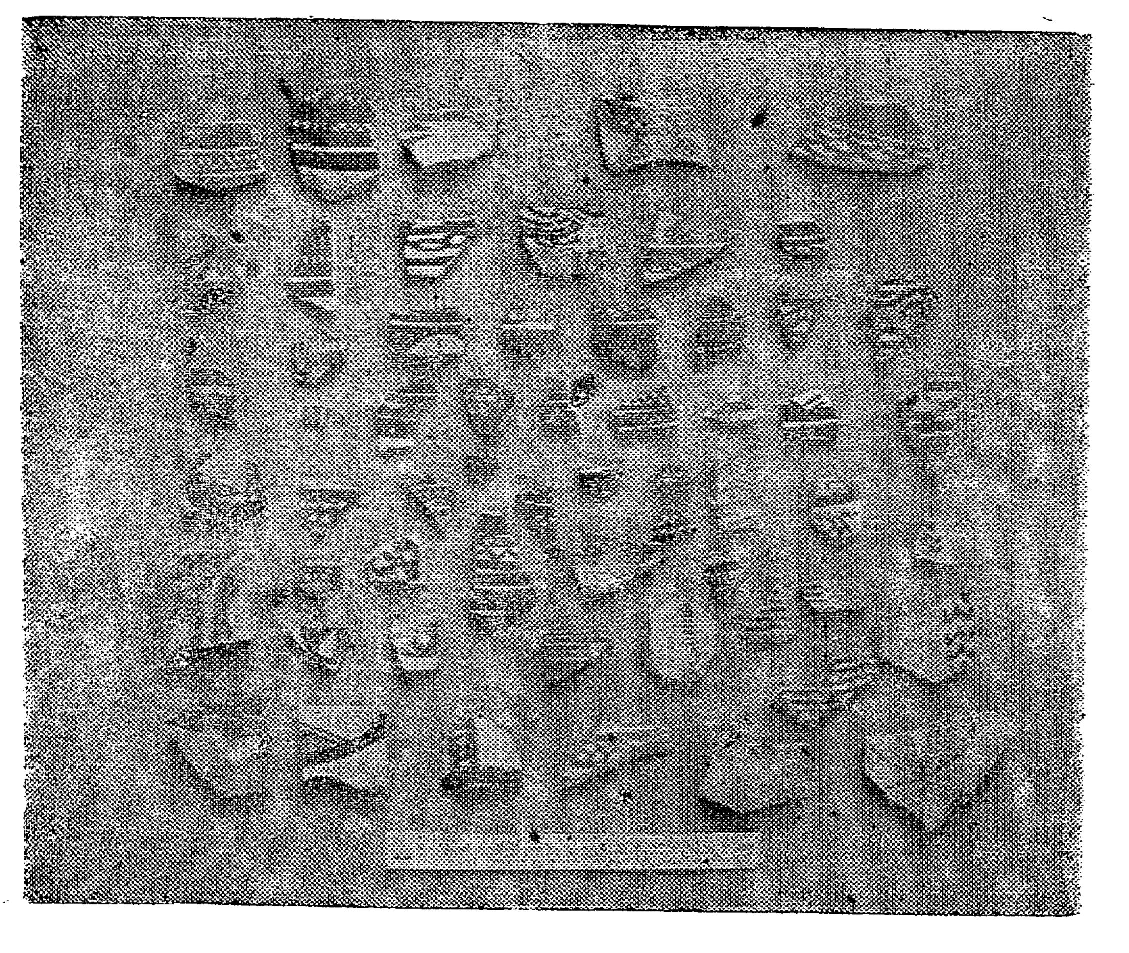
الشهير المسمى (درب الكنهورى) وهو طريق تجارى هام ربما كان موجوداً منذ القدم تمر عليه التجارة بين الشرق والغرب والخليج العربى ونجد .

ومدينة ثاج محاطة بسور فى جهاتها الأربع وقد بنى السور بحجارة عادية ويبلغ عرض السور ٤ر٤ المتر وبلغ طوله الكلى ٢٥٠٠ من الأمتار وقد كان لهذا السور عدد من الأبراج المربعة الشكل التى تبرز مسافة ٦ر٦ المتر كما يوجد فى السور أبراج أصغر حجماً . وقد كانت مدينة ثاج تملك نظاماً دفاعياً أشرف على تصميمه وتنفيذه عدد من المهندسين العسكريين . أما المدينة الواقعة داخل الأسوار فكانت مكونة من عدد من المبانى الحجرية التى بنيت بدون مراعاة لتخطيط معين للشارع .

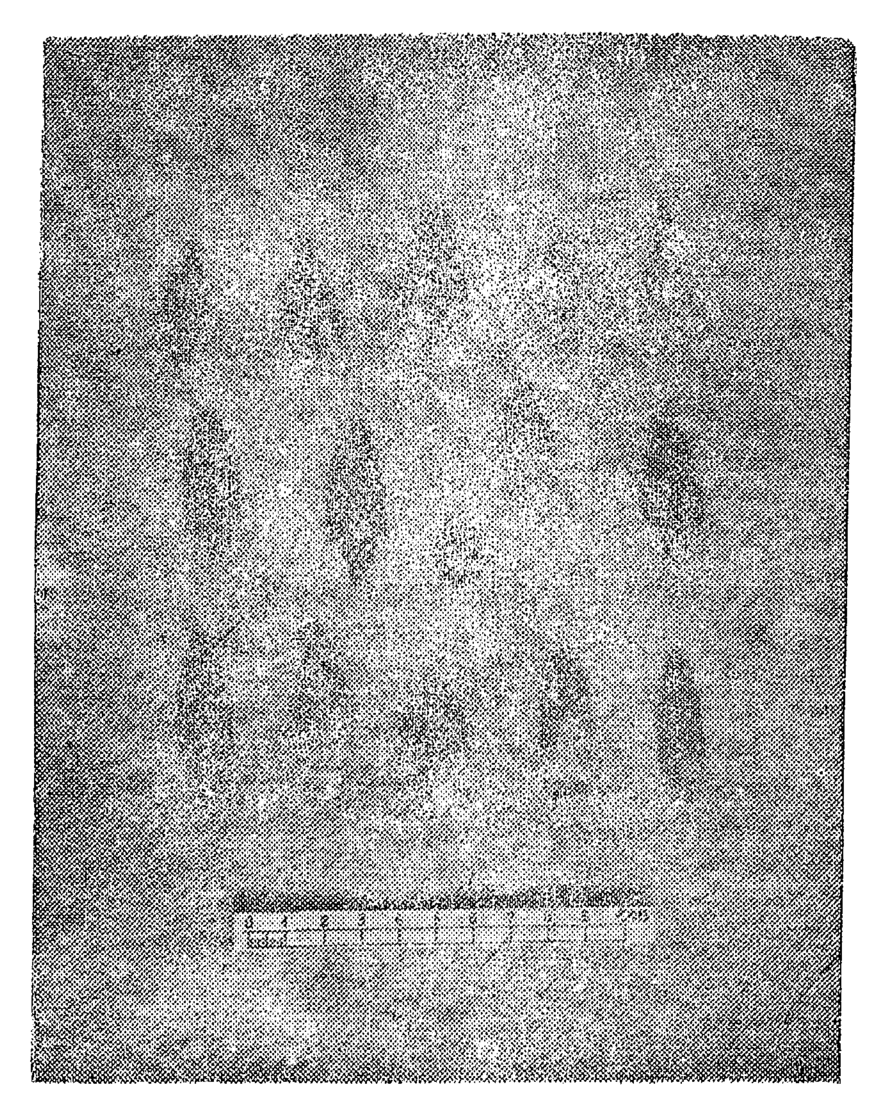
وقد دلت التحريات الأثرية التى أجريت فى المدينة أن السور مبنى على أساس قوى من الحجر وان ثاج تحتوى على طبقتين حضاريتين رئيسيتين كما وجد فوق الطبقة الحضارية الثانية طبقة بلغ سمكها متر ونصف وتتكون من أنقاض تتخللها عروق كثيفة من الرماد مما يدعو الى الاعتقاد بأن ثاج دمرت بالنيران وقد كشفت عينات الفخار التى وجدت فى ثاج عن انتشار نوع واحد متجانس فى أشكاله وتكوينه مما يدل على أن المدينة كانت مأهولة خلال فترة واحدة استمرت خلال الأربع مائة سنة التى سبقت الميلاد ، وقد عثر فى الموقع على ٣٨ قطعة فخارية تمثل أشكالا حيوانية وآدمية تمثل نساء جالسة وتضع يديها فوق الصدر وربما كانت هذه تمثل بعض عناصر العبادة لسكان ثاج القديمة . وتتميز ثاج بوجود الفخار الاغريقى المدهون باللون الأسود والجرار المصنوعة من الألباستر والأوانى المصنوعة من حجر الاستيت وقد عثر فى ثاج على كتابات عديدة مكتوبة بالخط العربى الجنوبى بالاضافة الى وعاء كبير عليه كتابة قريبة من الكتابة الآرامية . وقد كشفت الدراسات الاركيولوجية التى أجريت فى منطقة ثاج بقصد العثور على بقايا العصر الحجرى عن العثور على ما يزيد على عشرين موقعاً صوانياً تعود لهذا العصر وخاصة العصر الباليولثيكى ، الأوسط والباليولثيكى المتأخر والعصر النيولثيكى وقد عثر على فؤوس يدوية من الصوان وعلى رؤوس مسننة .



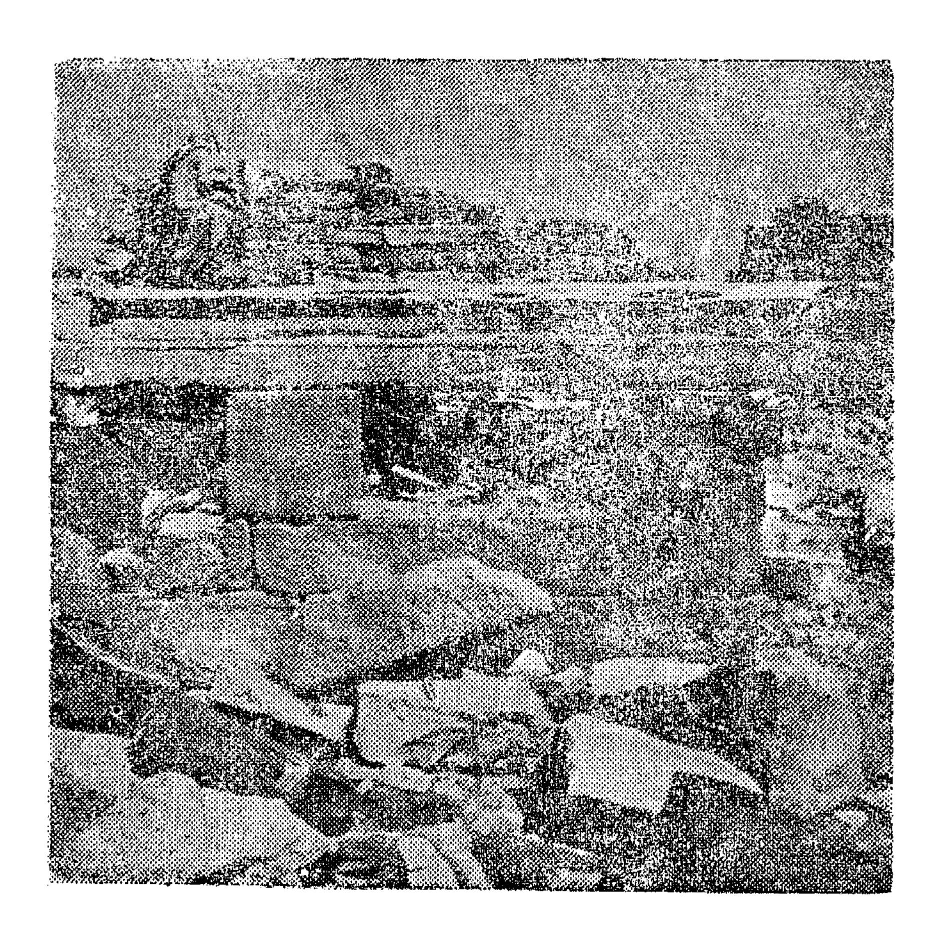
(صـــورة ٧)
كتابة سبئية عثر عليها فى وادى ماسل وتعود للقرن السادس الميلادى



(صـــورة ٨)
فخار عثر عليه فى الدوسريه ويعود الى الألف الرابع قبل الميلاد ويشبه فخار العبيد ، فى جنوب العراق



(صـــورة ٩)
مخلفات العصر الحجرى التى عثر عليها فى الطويرف ، فى منطقة يبرين



(صـــورة ١٠)
نقش مكتوب بالخطين النبطي واليوناني عثر عليه في معبد اروافا ،
ويعود الى القرن الثاني الميلادي

١٤ — جـــزيرة تاروت

تاروت جزيرة بالقرب من مدينة القطيف وقد دلت الدراسات الأولية على أن أهم المواقع فى تاروت هو موضـع قلعة تاروت حيث أمكن بدراسـة الوجه الغربى للتل الذى تقوم عليه القلعة تميز ثلاث طبقـات معمارية لمبـانى مبنية من الحجارة الكبيرة الجيدة ويتخللها طبقات حضارية مختلفة وقـد دلت عينات الفخار الذى وجد على سطح التل أنهـا تعود الى عصر (دلمون المبكر الثانى) (المعـاصر لحضـارة بربر فى البحـرين) والذى يعـود الى العصر البرونزى أى الى سنة ٢٠٠٠ ق٠م ، وقد أثبتت دراسة موجودات الموقع أن موقع قلعة تاروت يعود الى العصر النيولثيكى ٤٠٠٠ ق٠م ٠

فى موقع آخر من جزيرة تاروت يسمى الربيعية عثر على فخـار يعود الى العصر السلوقى بالاضافة الى كسر أخرى تعـود الى حضـارة (بربر ٢٠٠٠ ق٠م) ٠

١٥ — قـــرية الفـــاو

عثر على عينات كبيرة من الصوان والفخار من بينها سـكاكين صـوانية كانت تثبت فى رؤوس السهام وهى تشبه الحضارة التى عثر عليها فى (قطر) والمعروفة لحضارة قطر (B) كما عثر فيها على مئات من الكتابات العربيـة القديمة المنقوشة على الصخور ٠

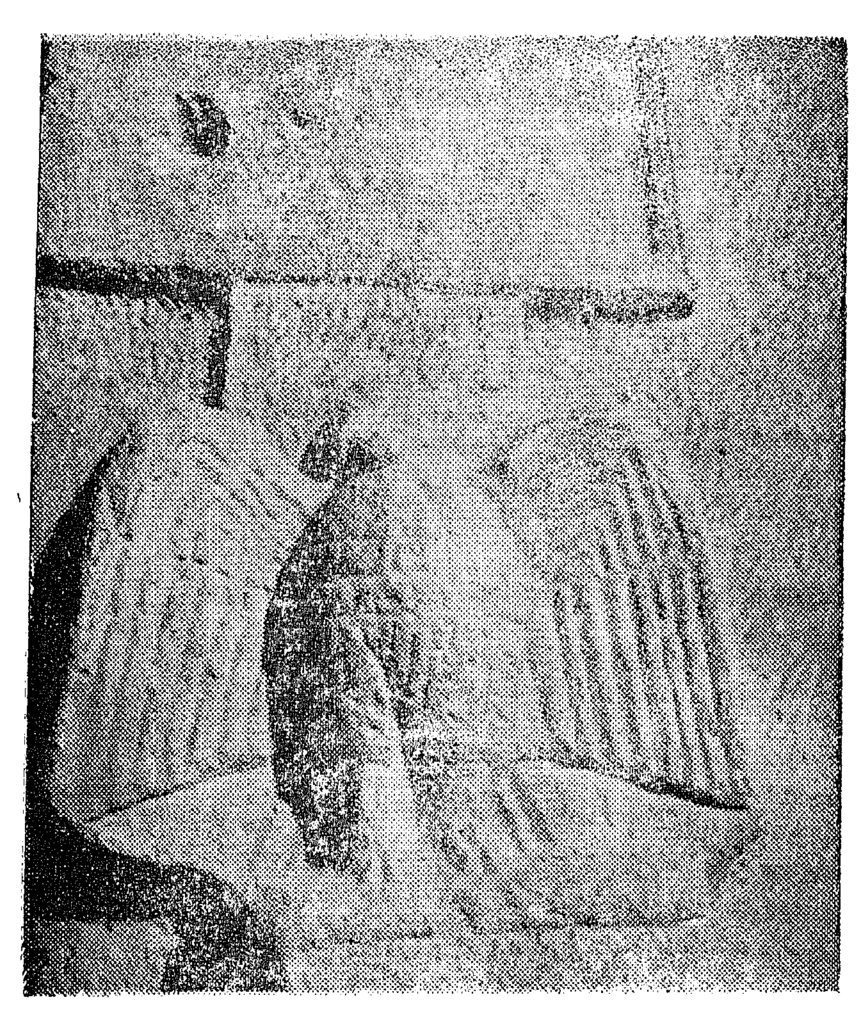
١٦ — يبـــرين

واحة كبيرة فى الجزء الشرقى من المملكة العربية السعودية وقـد دلت الأبحاث الأثرية التى أجريت فى المنطقة على وجـود أعداد كبيرة من القبور المبنية بالحجر تبلغ أعدادها الآلاف ، وقد عثر عليها فى مناطق (برق السمر) جنوب يبرين وفى أسفل جبل جوامير الشرقى ٠ ويتكون القبر عادة من غرفة فى الوسط غالباً مربعة يحيط بها جدار من ألواح حجرية وتتفـاوت القبور فى أشكالها وأحجامها واستناداً الى دراسـة موجودات القبـور أمكن تأريخها بالفترة الواقعة بين ١٢٠٠ — ٨٠٠ ق٠م ٠

وقد أثبتت الدراسات الأثرية فى منطقة يبرين أن المنطقة كانت آهلة فى العصر الحجرى ففى جبل (ذاب) عثر على موقع يعود الى العصر الباليولثيكى المتأخر ، كما عثر على موقع غنى يعود للعصر الباليولثيكى المتأخر ويقع بالقرب من التلال المقبرية غرب (المخروق) وعثر على كميات كبيرة من الصوان الملون بالاضافة الى ما يزيد عن أربعين من رؤوس الحراب الصوانية من النوع المسنن والمشرشر • وقد كانت يبرين آهلة بالسكان خلال الألفين الثانى والأول ق•م •

١٧ — الدوسرية

على بعد ١٢ كيلو مترا جنوب شرقى مدينة الجبيل يوجد موقع الدوسرية الذى يقع بين التلال الرملية ويبعد حوالى نصف كيلو متر من شاطىء الخليج العربى ويبلغ ارتفاع التل أربعة أمتار ويتكون الموقع من أنقاض قديمة يكثر فيها الفخار وخاصة فى طبقة حضارية يبلغ سمكها عشرون سنتيمتراً وقد عثر على السطح على فخار أخضر مصفر مزخرف بأشكال هندسية رسمت باللون البنى بالاضافة الى أدوات صوانية شملت رؤوس حراب مشرشرة ومسننة بالاضافة الى أمواس من حجر الأوبسيديان وقطع من القصارة الملساء التى تحمل تحزيزات ناتجة من الأعمدة الخشبية التى كانت تستند عليها بالاضافة الى تحزيزات الأربطة التى تشتد على هذه الأعمدة وقد دلت دراسة فخار (الدوسرية) على أن هذا الموقع يمثل حضارة تعود الى عصر (العُبَيْد) وهى أول حضارة نشأت فى جنوب بلاد ما بين النهرين وتعود الى الألف الرابع قبل الميلاد والعثور على هذا الموقع ذو أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ الجزيرة العربية القديم خاصة والشرق الأوسط عامة • وذلك لأن من المعروف أن هذه الحضارة وصل امتدادها فى الجنوب الى مدينة (أريدو) فقط فى جنوب العراق • وهى تقع على مسافة ٦٠٠ كيلومتراً شمال غرب الدوسرية والملاحظ في الدوسرية كثرة وجود رؤوس الحراب الصوانية وكذلك عدم وجود المناجل والمحاصيد المعروفة فى حضارة العبيد وهذا يمكن تفسيره بأن موقع الدوسرية كان مأهولا بالصيادين وصيادى الأسماك وليس بالمزارعين فهو ، مجتمع صيد وليس مجتمع زراعة •



(صـــورة ١١)

أحد النسور المنحوتة فوق مدخل أحد المدافن النبطية فى مدائن صالح

١٨ - الأخـــدود فى نجـــران

كانت مدينة نجران مركزاً تجارياً هاماً على خط القوافل الممتد من جنوب الجزيرة العربية حتى شمالها وفى نجران كانت تتفرع خطوط القوافل الى شتى الجهات ، وقد دلت الدراسات الأثرية التى أجريت فى منطقة نجران أن موقع الأخدود يضم مدينة تعود الى العصر الاسلامى والى ما قبل الاسلام وتقع بقايا مدينة الأخدود فى الطرف الجنوبى لوادى نجران وتتكون من مجموعة من الأنقاض وبدراسة عينات الفخار الموجودة فى الموقع والمبانى الباقية تبين أن منطقة الأخدود كانت مأهولة في القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد وربما حتى القرن السادس قبل الميلاد وقد استمرت الأخدود آهلة خلال العصر الاسلامى .

تبلغ مساحة مدينة الأخدود ٩٠٠ × ٨٠٠ متراً وارتفاعها خمسة أمتار ويتكون الموقع من منطقة فى الوسط محاطة بأسوار حجرية ويتبعها أنقاض أثرية فى الجهات الشمالية والشمالية الشرقية والشرقية . وتبلغ قياسات المنطقة الوسطى ٢٣١ × ٢٢٢ متراً وقد بنيت الأسوار بالحجر الجيرى والملاحظ أن الوجه الخارجى للحجر مدقوق ومجوف الى الداخل ويشبه الأسلوب المعمارى المتبع فى مبانى حجر بنى حميده ، وتمنه ، فى وادى بيحان والتى يعود تاريخها الى القرنين الثانى والأول ق.م. وقد وجد على بعض حجارة السور رسوم محفورة تمثل الوعول والجمال والأفاعى المزدوجة والصلبان والأيدى والخيول وعثر في داخل المدينة (الانقاض) على فخار مزجج بالاضافة الى فخار يعود الى عصر ما قبل الاسلام وهو عبارة عن أطباق ذات حواف متموجة رملية الملمس .

أما منطقة خارج الأسوار فقد عثر فيها على موجودات من العصر الاسلامى منها الفخار المحزوز وأوانى الفخار المزجج ذات القواعد العريضة وأوانى زجاجية ..

١٩ ــ قــرية القـــــديمة

تقع على الطرف الجنوبى لوادى نجران وهى عبـارة عن مدينـة قديمـة طولها ٤١٨ × ٢٦٦ متراً وارتفاع الانقاض فيها يبلغ مترين وهى ذات شـكل مستطيل يحيط بها سور وتضم مجموعة من المبـانى المربعـة المخططة بعنـاية ويفصل بينها شوارع منتظمة وقد استعمل الحجر الجيرى المرتب فى مدأميك منتظمة وسطح الحجر الخارجي يبدأ بالتجوف نحو الداخل وقد عثر فى الموقع على بقايا فخار من النوع الرديء خاصة الرملى الملمس وعلى ضـوء الموجودات يحدد تاريخ المدينة بالفترة الواقعة بين القرن ٦ ــ والقرن الثانى قبل الميلاد .

٢٠ ــ مدينـــة الأخدود الجنوبى

تقع جنوب وادى نجران فى الجنوب الغربى من مدينـة الاخدود وهى عبارة عن مدينة قديمة مساحتها ٣٥٠ × ٣٠٠ متراً ارتفاع الأنقاض فيها متران وشكل المدينة مستطيل ويحيط بها سـور حجرى وتضم مجموعة من المبـانى المستطيلة المبنية بالحجارة . والفخار الذى وجد هنا من النوع العادى الرديء الرملى الملمس وتعود الى عصر ما قبل الاسلام ،هذا وقد عثر على فخار اسلامى وكتابات كوفية تعود للقرن التاسع الميلادى .

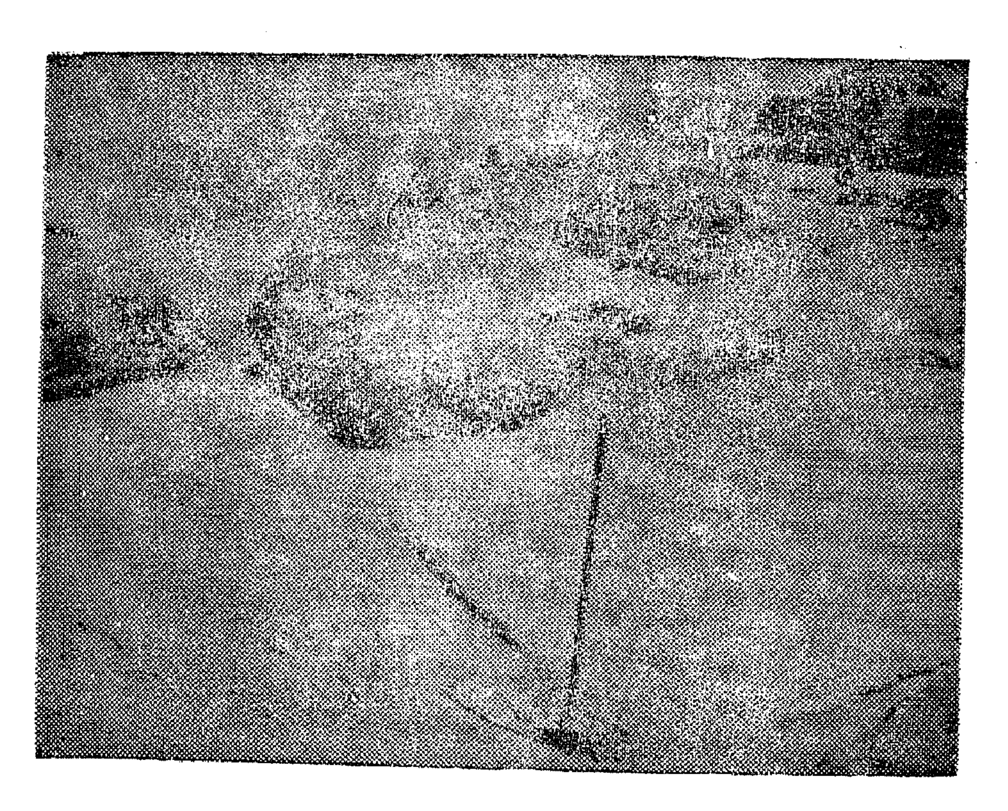
٢١ ــ المـــــاوية

موقع أثرى فى منطقة حائل عثر فيه على عدد من الدوائر الحجرية وهى دائرية تتراوح أقطارها بين ٢ ــ ٥ أمتار وتعود الى عهـد الثموديين وتوجد عادة فى الأماكن التى كانت تمر فيها القوافل التجارية القديمة .

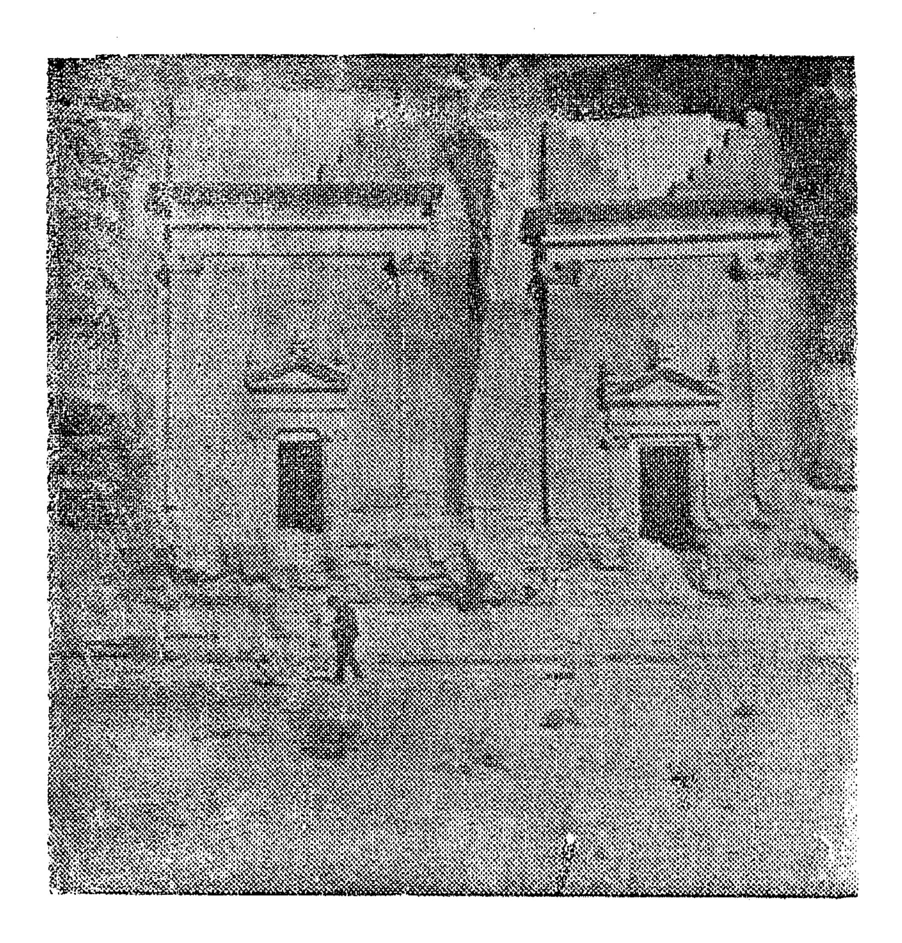
وقد عثر في واحدة من هذه الدوائر على كتابة ثمودية بالغة الأهمية تبين أن هذه الدوائر كانت تستعمل كخانات لتخزين بضائع القوافل المـارة ، علماً بأن الثموديين كانوا من أنشط التجار الذين عرفهم تاريخ الجزيرة العربية .

٢٢ ــ فيـــــد

من أبرز المواقع الأثرية فى منطقة حائل وقد كان لواحة فيد شأن كبير قبل الاسلام حيث كانت تقع على الطريق التجـارى الهـام الذي يربط بلاد ما بين النهرين بوسط الجزيرة العربية وقد بقى هذا الطريق مزدهراً طوال



(صـــورة ١٢)
الضريح الهلنستى الذى عثر عليه فى جاوان ويعود الى القرن الأول الميلادى



(صـــورة ١٣)
بعض المدافن النبطية فى مدائن صالح وتعود الى القرن الأول قبـــل الميلاد الى القرن الأول الميلادى

العصور الاسلامية وأصبح طريق الحجاج القادمين من العراق وتضم ، فيد ، مدينة أثرية ضخمة مبنية بالحجر البازلتي الأسود ومحاطة بسور ضخم هـــذا بالاضـافة الى المنطقـة السكنية الواقعة شمالاً ويدل الفخار الموجود في الموقع الى أن ، فيد ، كانت آهلة بالسكان ابان العصر الاسلامي .

٢٣ — سـمـيرة

موقع أثرى هام فى منطقة حائل حيث يوجـد عدد من التـلال الأثرية التى هى بقايا مدن قديمة ويشير الفخار الموجود الى أن الموقع يعود الى العصر الاسلامى وتقع سميرة على درب زبيدة الشهيرة خلال العصر العباسى وما تلاه حيث يوجد حتى الآن عدد كبير من البرك وخزانات المياه التى بنيت مع انشاء ذلك الطريق .

٢٤ — ياطب

من أهم المواقع الثمودية المعروفة حتى الآن وقد وجد فى ياطب عدد كبير من الكتابات الثمودية والرسوم المحزوزة على الصخور بالاضافة الى بقايا معمارية هى مخلفات مدينة قديمة كانت تقـوم فى المـوقع ويتبع لنفس العصر وتجرى الآن دراسة تحليلية للكتابات الثمودية التى وجدت فى الموقع والتى بلغت عدة مئات .

الكتابات القديمة فى المملكة العربية السعودية

تضم المملكة العربية السعودية أكبر مجموعة من الكتابات القديمة المنقوشة على الصخور فى الجبال والأودية وقد كتبت بمختلف اللغات القديمة والحروف الهجائية وسوف تساعد دراستها وتحليلها من قبل علماء اللغات القديمة على زيادة معرفتنا عن التاريخ القديم للجزيرة العربية .

وتقسم الكتابات القديمـة المتناثرة فى شتى أنحـاء المملكة الى المجموعات اللغوية التالية :

المجموعة الآرامية :

وتتمثل بالكتابات الآتية :

المجموعة الآرامية :

علماً بأن عدداً قليلاً من هذه الكتابات قد عثر عليه فى منطقة الاحساء .

٢ - النبـــطية :

تتركز هذه الكتابات فى منطقة مدائن صالح والعلا وتبـوك ، وروافا ، ومغائر شعيب .

المجمـــوعة العــــربية القـــديمة :

وهى أكبر المجموعات اطلاقاً وتتمثل بالكتابات الآتية :

١ - العربية الجنوبية :

وتتمثـــل العربيــــة الجنوبيـــة بالكتابات السبئية والمعينية . والكتابات السبئية يعثر عليها بكثرة فى المنطقة الجنوبية من المملكة من قرية ألفاو شرقا وخميس مشيط غرباً الى الحدود الجنوبية للمملكة . أما الكتابات المعينية فتتركز فى منطقة العلا .

٢ - العــــربية الشمالية :

وتشمل الكتابات العربية الشمالية :

(أ) الصفوية : تتركز فى الطرف الشمالى الغربى للمملكة فى المنطقـــة الواقعة شرق الأردن وجنوب العراق .

(ب) الثمودية : وتتركز فى وسط المملكة فى الغرب والشمال الغربى وقد عثر عليها فى جنوب المملكة كذلك .

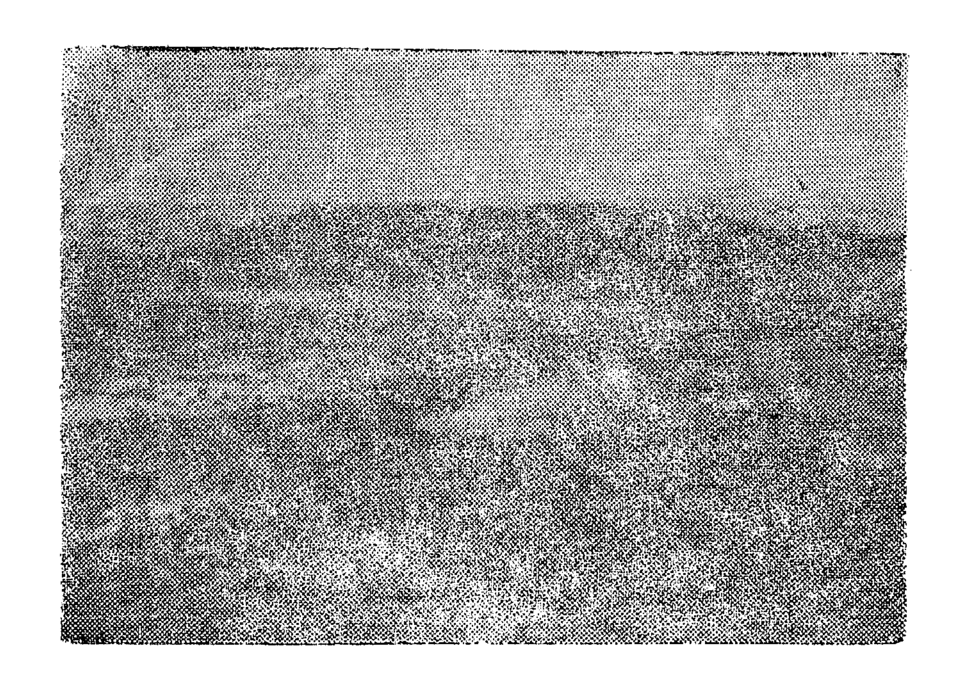
٣ - الاحســـــائية :

تتركز فى منطقة الاحساء فى شرقى المملكة وتتميز هـذه الكتابات بأنها تجمع بين الأحرف العربية الجنوبية ومزايا العربية الشمالية .

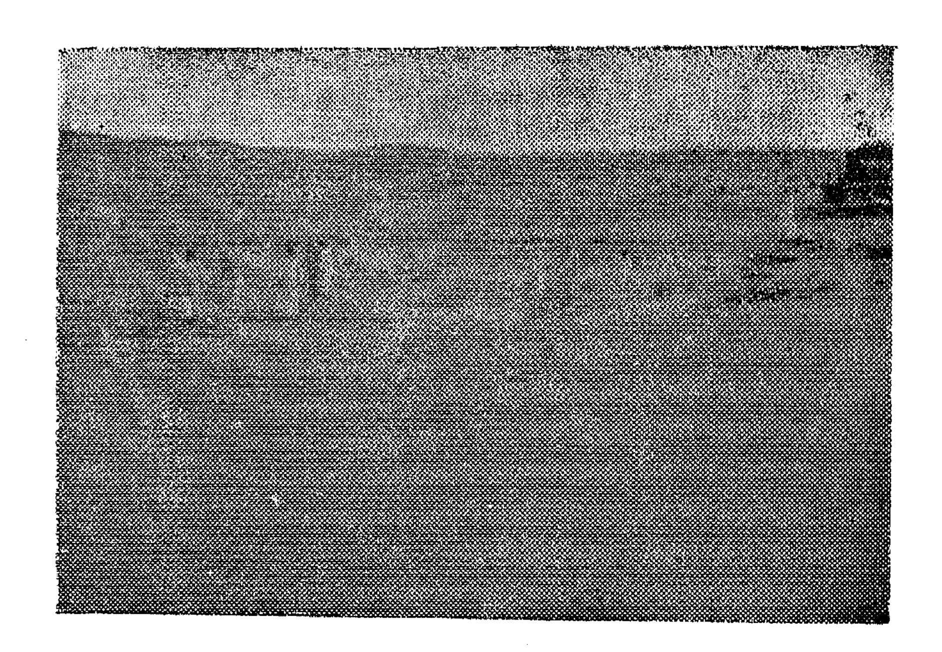
المجموعة اليـــونانية الرومانيـــة :

نظراً لارتباط الجزء الشمالى من الجزيرة العربية بالامبراطورية الرومانية بالاضافة الى العلاقات التجارية الواسعة التى كانت تتم فى المنطقة فقد نتج عن ذلك وجود كتابات يونانية ولاتينية فى شمال المملكة العربية السعودية .

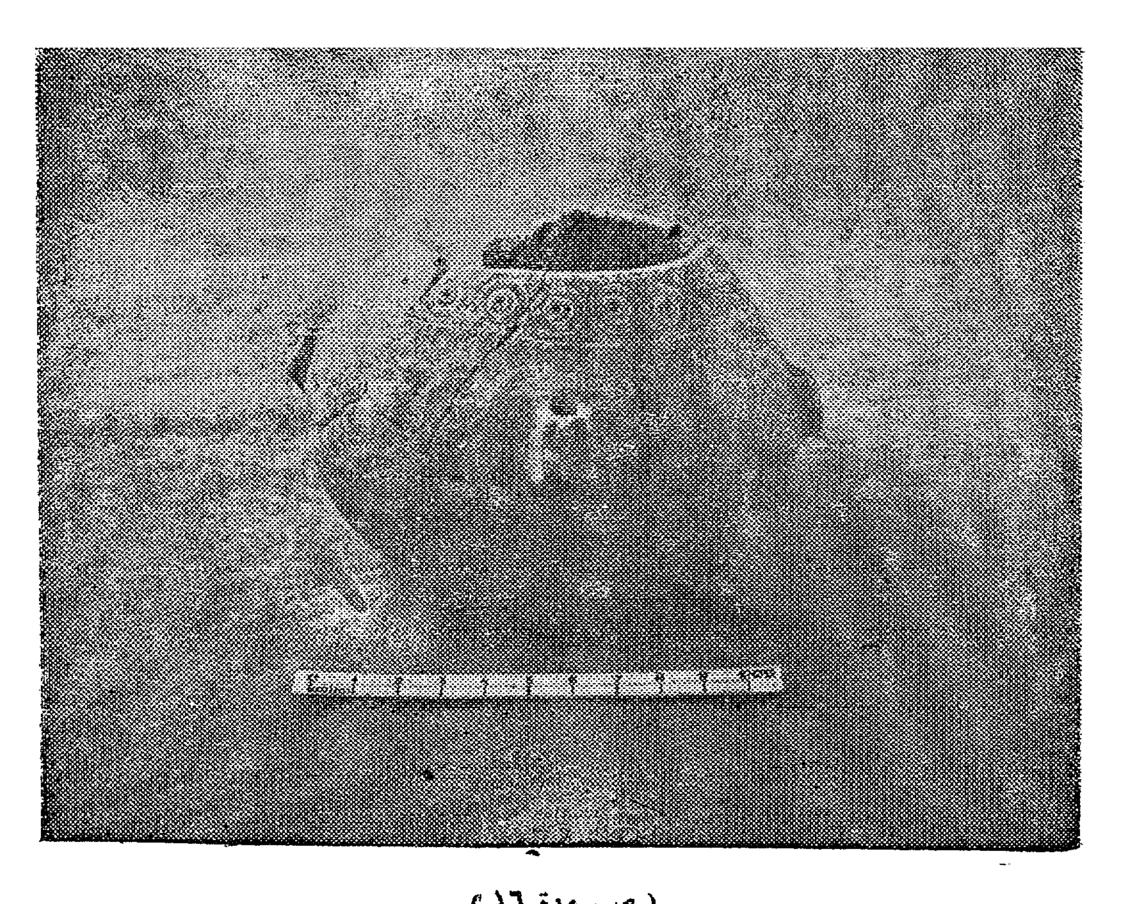
هذه نبذة عن بعض المعالم الأثرية التى تزخر بها أراضى المملكة العربية السعودية والتى تجعل من المملكة متحفاً مفتوحاً واسع الأرجاء .



(صـــورة ١٤)
أنقاض المدينة الأثرية فى « فيد » وقد بنيت بالحجر البازلتى
وترجع الى العصر الاسلامى وما سبقه

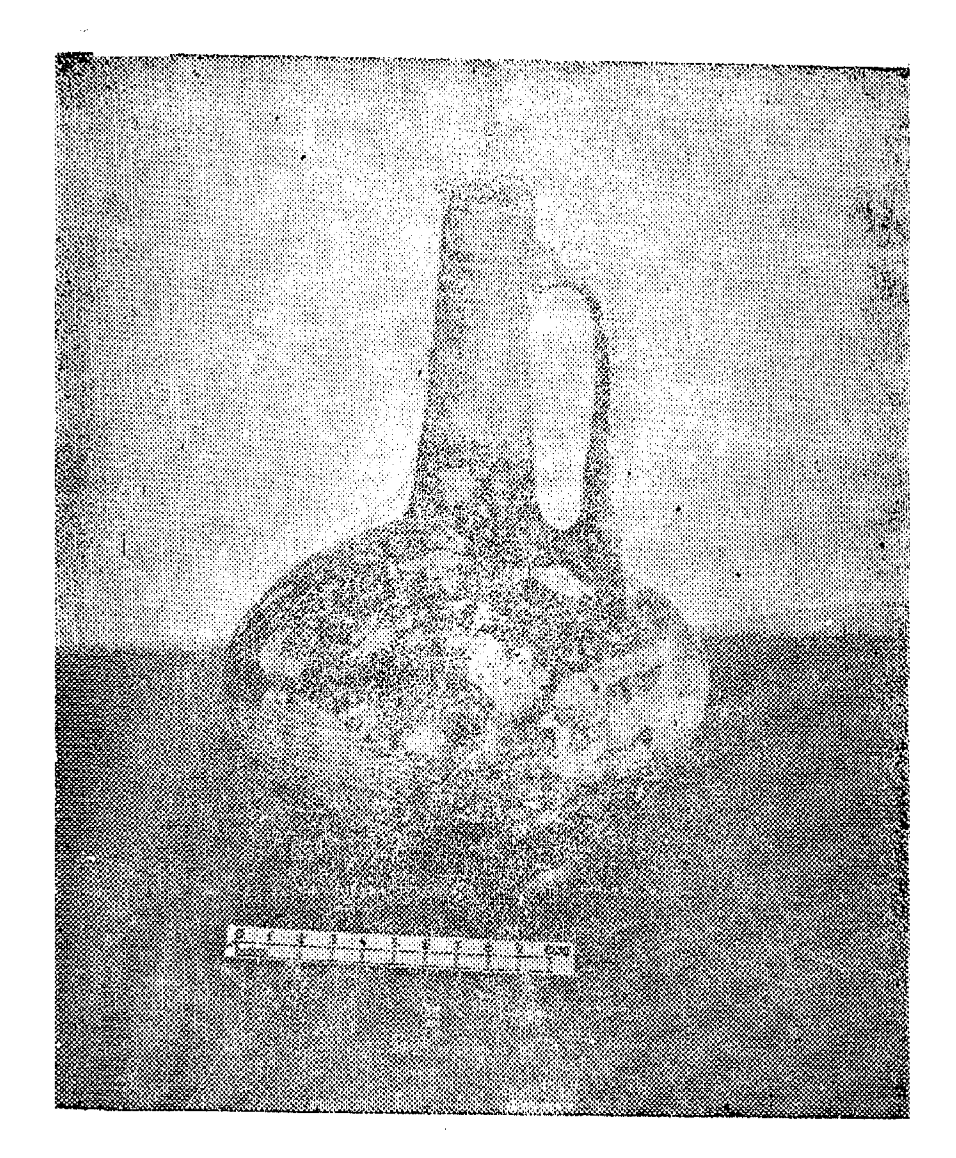


(صــــورة ١٥)
بركة مستديرة الشكل تقع على درب « زبيدة » المشهور
ويعود الى العصر العباسى



(صـــورة ١٦)

وعاء مستدير من حجر الاستيتيت له ثلاث مقابض عثر عليه فى فريق الاخرش (تاروت)
ويعود الى الألف الثانى قبل الميـــلاد



(صـــورة ١٧)
اناء مزجج ذو رقبة طويلة ومقبض واحد عثر عليه في فريق الأخروش (تاروت) ويعود الى الألف الثاني قبل الميلاد ..

المعالم الأثرية

في

الجمهورية العربية السورية

المعالم الأثرية والمتاحف
فى
الجمهورية العربية السورية

بقلم

الأستاذ محمد أبو الفرج العش و الأستاذ عبد القادر الريحاوى

موجز فى
آثار سورية العربية ومتاحفها

١ ـ لمحة تاريخية عن سورية القديمة وأصلها العربى ومنجزاتها الحضارية :

العرب فرع من الشعوب السامية القديمة التى خرجت من الجزيرة العربية وانساحت فى الهلال الخصيب على شكل موجات منذ الألف الرابع قبل الميلاد ، وسكنت هذه الشعوب فى بلاد الرافدين وبلاد الشام ، وهم الأكديون والبابليون والآشوريون والكنعانيون والفينيقيون والآراميون ، ثم اللخميون والغساسنة والأنباط والتدمريون...

كان الشعب يخرج بهجرة واسعة فيحل في مكان ، يجاور شعباً آخر ، فيتأثر منه ويؤثر فيه ، ولا يلبث مع مدى الأيام أن يكوّن لنفسه دولة ، ويأخذ بأسباب الحضارة والقوة ، فيتوسع وينقل حضارته الى البلاد المجاورة ، ويشكل امبراطورية . تعيش هذه الامبراطورية ردحا من الزمن ، ثم لا تلبث ـ حسب سنة التطور ـ أن تتفكك . يكون شعب عربى مهاجر آخر قد تثبت في أرضه ، ونمت قوته ، فيصطرع مع الجار الهرم ، فيتغلب عليه ويرث حضارته وأملاكه .....وعلى هذا النحو ، ظلت الجزيرة العربية بمثابة القلب النابض تقذف بدم جديد الى مجالها الحيوى في الشمال ، فتنشأ حضارات ، وتتكون دول كبيرة ودويلات صغيرة تتلاءم مع شروط الحياة وطبيعة الأرض . وقد لوحظ أن الدول الكبيرة تكونت في بلاد الرافدين ، وتكونت الدويلات في بلاد الشام ، ذلك لأن طبيعة الأرض السورية (جبال ساحلية وداخلية تفصل بين المناطق) تشجع على اقامة دويلات مستقلة تختلف أحياناً وتتعاون أحياناً أخرى أمام الخطر الخارجى .

ونستخلص من هـذا العـرض السريع شيء واحـد ، هو أن هـذه الشـعوب أخذت أسماء أخرى غير اسم العرب ، وظلت كلمة (العرب) خاصـة بسكان الجزيرة •

لقد عرفت سورية حضارات متنوعة منذ الألف الثالث ق.م حتى الفتح العربى الاسلامى ، نلخص مظاهرها الرئيسية فيما يلى :

١ ـ نشأت في سورية فكرة توحيد المعبودات الوثنية ، وانتقلت منها الى مصر •

٢ ـ سورية مهبط الوحى وموطن نشوء الديانات السماوية •

٣ ـ تمّ اختراع الأبجدية الصوتية في رأس الشمرة (أوغاريت)• في القرن ١٥ ـ ١٤ ق.م ، وذلك لتسهيل الكتابة • ومن سـورية انتقلت الأبجدية الى العالم •

٤ ـ استعمل في سورية الدولاب الخزفى منذ الألف الثالث ق.م. فقد وجدت دمى من الفخار في سورية الشمالية (تل الحويرة) تدل على أن السوريين استعملوا هذه الأداة التى تسهل سبل الحضارة •

٥ ـ الابداع في صـناعة الفخـار وتزيينه وتلميعه حتى أصـبح يلبى أكثر حاجات الانسان المتحضر •

٦ ـ السـبق العظيم الذى أحرزه الفينيقيون في المـلاحة والتجـارة الخارجية والاكتشافات القديمة •

٧ ـ استعمال الفولاذ في السلاح •

٨ ـ تأهيل الحصان والاستفادة منه •

٩ ـ اكتشاف الزجاج والتفنن في صنعه • وقد ظلت سـورية محافظة على تقدمها وتفوقها في هـذه الصناعة في العهـود الكلاسيكية ثم الاسلامية •

١٠- كانت سورية مهد الحضارة العربية الاسلامية ، فيها نشأت ونمت وترعرعت ، ومنها انطلقت الى الآفاق .

١١- ظلت سورية من أهم المراكز التجارية العالمية على البحر الأبيض المتوسط تصلها التجارة الشرقية الواسعة ، وتتوسط هى في نقلها الى الغرب .

١٢- ظل اسم دمشق مخالفا بصناعة المعدن الرخيص وتكفيته بالمعادن الثمينة وصناعة الأسلحة Damasquinages .

١٣- ظل اسم دمشق عالقا بصناعة النسيج (دامسكو) .

١٤- لسورية أثر كبير جدا في نقل آثار الحضارة العربية الاسلامية الى أوربة وذلك بسبب الاحتكاك المباشر وغير المباشر مع الغرب .

تطور الفن فى سورية العربية :

يعبر الفن في كل أمة من الأمم عن درجة تقدمها في الحضارة . ويكشف عن ذوقها ودقة احساسها ومدى تفكيرها وسعة اطلاعها . ولا تخلو أية أمة من فن مهما كانت درجتها الحضاريه الا أن هذا الفن يتناسب مع القيم الذوقية والفكرية لهذه الأمة . ولا بد من أن تتأثر أمة بفن أمة أخرى او تؤثر فيها حسب درجة الاختلاط والتماس بين الأمتين وتفاوت درجتيهما فى الحضارة والعمران .

للعرب قبل الاسلام فى جزيرتهم فنون محلية تتناسب مع درجات تطورهم فى بيئاتهم المختلفة ، فللبدو فنون بدائية بسيطة ، وللحضر فنون أرقى قليلا ، لأن مستواهم الحضارى لم يكن عالياً فى جزيرة العرب ، ما عدا اليمن في القرون الأولى فقد كان لها فن رفيع ثم تجمد وتقهقر قبل الاسلام بسبب تفكك الحياة الاجتماعية والسياسية الذى أدى الى الانحلال والانحطاط . وقد أدى هذا التقهقر الى الاهمال ، فكان من مظاهره القديمة انهيار سد العرم وتفرق عرب الجنوب .

أسس العرب قبل الاسلام مراكز حضارية هامة تمثلت بحضارة الأنباط في الأردن وحوران منذ القرن ٢ ق.م ، وحضارة تدمر التي ازدهرت في القرنين ٢ و ٣ ب • م ، وحضارة الغساسنة التي استمرت بين القرنين ٣ و ٧ ب • م في حوران ودمشق •

جميع هذه الحضارات تأثرت بالحضارات المجاورة : الأنباط تأثروا بالحضارة اليونانية ، الحيرة تأثرت بالساسانيين ، تدمر تأثرت بالرومان من جهة وبالساسانيين من جهة أخرى ، الغساسنة تأثروا بالحضارة الرومانية ثم البيزنطية •

خرج العرب المسلمون من جزيرة العرب وانتشروا في رقعة كبيرة من الأرض امتدت نحو الشرق الى الهند والصين ، ونحو الغرب الى المغرب الأقصى واسبانيا • حمل العرب المسلمون مبادىء دينية سامية تنفع في الدنيا والآخرة ، وتحثّ على العمل المثمر والتقدم المستمر ، فمن الطبيعي اذاً أن يكون العربي ساعياً الى انشاء حضارة زاهية لأنه يحمل بذورها ، وما عليه الا أن يغرسها في التربة الصالحة والجو المناسب ويتعهدها بالعناية • وهذا ما حدث •

وجد العرب في كل صقع حضارة تختلف عن حضارة صقع آخر ، فقاموا بعملية مزج واصطفاء ثم ابداع ، فخلقوا حضارة جديدة أصيلة لها ميزات الحضارات القديمة ونكهة الحداثة •

يمكننا أن نرد جميع العناصر الفنية العربية الاسلامية الى أصولها القديمة لكنا نستطيع أن نميز بسهولة ملامح الفن العربي الاسلامي ، لأن العرب أعطوه روحهم وأكسبوه ذوقهم وأفاضوا عليه من وجدانهم •

أخذ العرب من الفنون القديمة ما يتلاءم مع عقيدتهم وحاجتهم وجو البلاد التي يعيشون فيها ففي الناحية العمرانية كان أكثر ما يهمهم يتعلق بالعبادة لذا نشأ الجامع بصحنه الرحب وأروقته وبركة الماء فيه وبمصلاه المحفوظ من تقلبات الطبيعة بما فيها من منبر للخطابة ومحراب للامام وسدة للقراء وما الى ذلك •

لا نستطيع أن نقـول أن كل ما صـنعه العرب ابداع جديد • لا انما هو اصطفاء ثم تأليف جديد من عناصر معروفة سابقاً • وعندما أخذ المجتمع العربى يتعقد وتكاملت المدنية العربية ونضجت واستقل العرب بفنهم نشأت ابداعات كثيرة فى جميع مجالات الحياة •

يحـكم على تطور الفن التطبيقى في أمة بدراسـة الأشـكال والحجوم والزخرفة ، فالأشـكال والحجوم تختلف باختـلاف البيئة وحسب الحاجة ، أما الزخرفة فهى التعبير الصادق عن تطور الفن وذوق الفنان • ولا بأس أن نورد المصادر التى استقيت منهـا العنـاصر الأولى ، ثم نشـير الى الخطوات الهامة لتطور الفن العربى الاسلامى خلال العصور •

المصـادر الفنية :

الفن اليونانى الرومانى : فيه تقليد للطبيعـة تقليداً واقعيـاً ونزعة الى تمثل الجمال الكامل ؛ وفيه اتجاه نحو الأبهة والجلال •

الفن البيزنطى : حافظ كثيراً على المبادىء الفنية اليونانية الرومانيـة لكنه كان يميل الى شيء من تحوير العناصر الطبيعية ، ينسق بينها بشيء من التصنع والتكلف، ويميل الى المبالغة بالزينة ، ويعدل عن الفخامة الى الرشاقة•

الفنون الشرقية : تختلف بروحها عن الفنون الغربية السـابقة ولهـا ملامحها الخاصة في تكوين الرسوم الانسانية والحيوانية والنباتية • أول هذه الفنون الفن الساسانى وهو يميل أيضاً الى المبـالغة بالزخرفـة والرشـاقة فى البناء مع المحافظة على الفخامة • ولقد سرت بعد الفتـح العـربى فى فارس ملامح الفن الهندى والصينى الى الفن الفارسى فاكتسب الفن الاسلامى عناصر جديدة شاعت في سورية ومصر منذ القرن الخامس الهجرى •

تطور الفن الاسلامى من خلال العصور :

العصر الأمـوى : (القـرن الأول وأوائل القـرن الثـانى الهجرى) اكتسب الفن العربى من الفن الكلاسـيكى (١) الشـائع في سـورية ومصر

---

(١) يقصد بالفن الكلاسيكى الفن اليونانى والرومانى والبيزنطى •

وأضاف اليه شيئاً قليلا من الفن الساسانى الشرقى وكانت بلاد الشام أهم مراكز الازدهار في هذا العصر •

العصر العباسى : (بين القرنين ٢ ـ ٣ ـ هـ) كانت أهم مراكز الازدهار في هذا العصر العراق • وتميز فيه ثلاثة أدوار :

الدور الأول :

مال الفنانون العرب الى اكتساب عناصر الفن الساسانى الفارسى مع حسن اختيار وتقدم في التنفيذ ، ويلاحظ أن العناصر الزخرفية ـ سواء أكانت نباتية أم حيوانية ـ قريبة من أشكالها في الطبيعة ، كما يلاحظ كثرة التنويع في الأشكال الزخرفية لأن الفنان كان يحفر الجص أو الحجر أو الخشب دون اللجوء الى مثال معين ، لذا يأتى عمله الفنى غنياً بالعناصر المختلفة مع مراعاة التناظر والتوازن فى املاء الفراغ •

الدور الثـــانى :

أخذ الفنان يختار عنصراً واحداً يجعله مثـالا ويكرره حسب ترتيب هندسى بالنحت أولا ، ثم لجـأ الى استعمال قالب فصار يصب الزخرفة صـبا ً لأن تطور الحياة العملية وكثرة الطلب والميل الى الاغراق فى الزخرفة جعل الفنانين يلجؤون الى هذه الطريقة تلبية للحاجة •

الدور الثـــالث (١) :

وسعوا طريقة الصب بالقوالب فاضطروا الى تحوير العناصر النباتيـة تحويراً أبعده عن شكله الطبيعى تماماً وصارت العناصر الزخرفية قليلة البروز

وضاق مبدأ الزخرفة الى درجة أصبحت فيه أخدوداً خفيفاً فقط وذلك لتسهيل عملية الصب • طبقوا هذا الاتجاه في التحوير على الحفر فى الخشب مع أن الخشب لا يمكن أن يصب صباً ، ولكن نمطاً جديداً شاع فتغلب على ما سواه •

---

(١) لا نقصد بترتيب هذه الأدوار طرز سامرا الثلاثة •

العصر الفاطمي :

(بين القرنين ٤ و ٥ هـ) نشـأ في مصر والشـام • عادت العناصر في باديء الأمر قريبة من الطبيعة تنفذ بارزة تماما على أرضية عميقة ، ثم حصل تحوير عن الطبيعة بشكل آخر ، طوّع الفنان النبات لخياله فارتقى به الى مجال التجريد • ويلاحظ أن الفنان صـار يستعمل أنواعا كثيرة من العناصر الزخرفية:النبات،الحيوان ،الانسان؛الكتابة الكوفية المزهرة أو المورقة ؛ الأشكال الهندسية المتشابكة ، طرأ التحوير على النبات لكن الحيوان والانسان اللذين ضمن بهما الفنان تحفه بقيا قريبين من الطبيعة مع تكييف تقتضيه الضرورة • يلاحظ أن الفنان كان ينفـذ عمله باتقان لذا كانت آثاره دقيقـة الصنع تميل الزخرفة فيها الى النعومة •

في هذا العصر تخلص الفن الاسلامي من التجارب والتخبط ، وتحرر من التأثر بالفنون المجاورة ووصـل الفن الى درجة الكمال • عم هـذا الاتجاه جميع العالم الاسلامي بمـا في ذلك فارس والعراق •

العصر الأتابكي الأيوبي : (بين القرنين ٦ و ٧ هـ) هو استمرار للعصر السابق ولكن يلاحظ أن الفن صار يميـل الى الرزانة والتقشف أحيـانا بسبب الحرب القائمة ضد الصليبيين،وأكثر الفنانون من الاعتماد على العناصر الهندسية ولا سيما المقرنصات في زخرفة البناء • وظهر الخط الثلث اللين كعنصر زخرفي وتعريفي على الأبنية الأثرية الى جانب الخط الكوفي ولكن بنسبة أكبر • قبل استعمال العناصر الانسانية الا في شمالي سورية والعراق حيث سلاجقة الروم وبنو ارتق •

العصر المملوكي : (بين القرنين ٧ و ١٠ هـ) حصل في بعض هذا العصر رخاء عظيم بسبب زوال الخطر الصليبي واتساع التجارة الشرقية ، لذا نلاحظ رقياً عظيماً ودقة متناهية وغنى في جميع مظاهر الفن • ظهر فن جديد هو فن التطعيم والتنزيل والترصيع بالعظم والعاج والصدف أو المعادن الثمينة أو الأحجار الكريمـة كما نشـأ فن تجزيع الرخام الملون وتشكيل لوحات فنية تخضع على الأكثر الى التنسيق الهندسي •

فى آخر هذا العصر بدأت التجارة الشرقية تجف مواردها بسبب اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح الى الهند وكثرت الفتن الداخلية • لذا تدهورت الأحوال الاقتصادية وكان لهذا تأثيره على الفن •

العصر العثمانى : بين القرنين (١٠ و ١٣ هـ) استمر الفن متقدماً فى بادىء الأمر ودخل عليه تأثيرات بيزنطية متأخرة • وارتقى الخط العربى الى أعلى درجات الكمال ، وتميزت أنواع الخطوط عن بعضها البعض وأبدعت خطوط جديدة كالديوانى مثلا ، ولكن بعد فترة جمد الفن الاسلامى وأسىء تنفيذه ثم غزاه كثير من العناصر الأجنبية كالايطالية مثلا ؛ فصار خليطاً متنوعاً غير منسجم •

هذه لمحة سريعة عن تطور الفن فى سورية العربية مقدمة للكلام عن أشهر الآثار السورية •

٢ — آثار سورية العربية

معالم مدينة دمشق القديمة

لمحة تاريخية :

نشأت دمشق في منطقة مختارة ، أرضها خصبة ، ومياهها عذبة ، وأقليمها معتدل ، مياه بردى الغزيرة تهبط اليها من المرتفعات المجاورة في الغرب فتتوزع فى أنحائها على شكل المروحة ، مؤلفة سبعة أنهر هى : بردى في الوسط، وتورا ويزيد فى الشمال ، وبانياس والقنوات والديرانى والمزاوى في الجنوب• فتسقى المدينة وضواحيها ، وتخلق من حولها روضة غناء ، هى الغوطة الشهيرة التى تتلألأ كزمردة خضراء وسط بحر من رمال الصحراء الممتدة بعيدا نحو الشرق والشمال الشرقى الى حدود الفرات وجنوبا الى بحر العرب ، بينما تحجزها جبال لبنان عن البحر الأبيض المتوسط ، الذى لا يبعد عنها أكثر من مئة كيلو متر • موقعها الجغرافي جعلها محطة فى طريق المواصلات بين الشرق والبحر المتوسط ، وبين الأناضول ومصر • وهيأها لأن تلعب دوراً هاماً فى

أحداث الشرق خلال عصور التاريخ • ولسنا هنا في معرض الحديث عن تاريخ دمشق الحافل وأحداثها التاريخية ، ولكننا مضطرون لأن نرسم الخطوط العامة الكبرى لهذا التاريخ ليتاح لنا فهم تكوين هذه المدينة القديمة وما تراكم على أرضها من تراث الاجيال وانتشر بين جنباتها من أبنية ومنشآت •

تظهر دمشق على مسرح الأحداث في منطقة الشرق القديم كعاصمة للشعب الآرامي منذ بداية الألف الأول ق•م • ثم تسقط في أيدي الأشوريين في عام ٧٣٢ ق.م ، وتسقط في القرن السابع الى ايدي البابليين ، ثم تخضع للفرس في القرن السادس • وفي عام ٣٣٣ ق.م يحتلها الاسكندر المكدوني ، فيرتبط مصيرها منذ ذلك الحين ولمدة عشرة قرون بالغرب الممثل بالسلوقيين اليونان ثم الرومان ثم البيزنطيين • حدث الفتح الروماني في عام ٦٤ ق.م. ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية في أواخر القرن الرابع الميلادي ، اصبحت دمشق مع سورية تابعة للقسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية • وفي عام ٦١٢ للميلاد سقطت في أيدي الفرس الساسانيين ، أعداء الدولة البيزنطية ، الى أن تمكن الامبراطور هرقل من اخراجهم في عام ٦٢٧ ميلادية• وبعد سنوات قلائل يقع الحدث الهام في تاريخ دمشق ألا وهو الفتح العربي الاسلامي الذي تم في عام ١٤ للهجرة (٦٣٥ ميلادية) وبه انتهى النفوذ الغربي ، وأصبحت دمشق جزءاً من الدولة العربية الكبرى • ولا يمضي ثلاثون عاماً على هذا الحدث الا وتكون دمشق عاصمة الامبراطورية العربية في عهد معاوية مؤسس الأسرة الأموية ، التي حكمت ما يقرب من قرن ، حظيت دمشق خلاله بالمجد والسؤدد • وبلغت حدود الدولة العربية آنئذ الصين شرقاً وجنوبي فرنسا غرباً • وينتهي العصر الذهبي لدمشق بزوال الأمويين وانتقال الحكم للعباسيين وتغدو دمشق مدينة ثانوية تابعة لبغداد العاصمة الجديدة للدولة • ثم تتحول نحو مصر في عهد الطولونيين والأخشيديين الذين استقلوا بمصر والشام استقلالا ذاتياً عن بغداد • ثم تتبع الخلافة الفاطمية في القاهرة بين عام ٩٧٣ الى عام ١٠٧٥ م • في ذلك التاريخ كان النفوذ السلجوقي المسيطر على بغداد قد امتد الى سورية ، وسقطت دمشق بيد الأمير (توتش) ابن السلطان ألب أرسلان فجعلها امارة سلجوقية تابعة لبغداد • وفي هذا العهد

قامت الحروب الصليبية واحتـل الصليبيون فلسـطين وأخذ خطرهم يمتـد نحو دمشق وحاصرها ملك الألمـان (كونراد الثالث) في عام ١١٣٢ م ، وأصبح حكام دمشق أعجز من أن يقفوا وحدهم أمام هـذا الغزو • وأحس النـاس بضرورة الاتحاد ، وبحثوا عن زعيم قوى ينقـذهم من الخطـر ، فوجدوه في (نور الدين محمود بن زنكى) ملك حلب الذى كان يحارب الصليبيين في الشمال بشجاعة واخلاص ، ودخل نور الدين دمشق في عام ١١٥٤ ميلادية واتخذها عاصمة للدولة الموحدة التى شملت المقاطعات السورية أولا ثم مصر واليمن • وجاء بعده صلاح الدين ليتم رسالته في الوحدة والتحرير • وعاشت دمشق عهد احياء ونهضة (Renaissance) ، وعمت النهضة فيها سائر الميادين ، الحربية والعمرانيـة والثقافيـة ، وعادت خلاله دمشـق الى مسرح الأحداث في الشرق العربى ، واستعادت بعض مكانتها التى فقدتها منذ العهـد الأموى • ودامت دولة الأيوبيين في الشام التى أسسها صـلاح الدين الى أن قضى عليها الغزو المغولى في عهد هولاكو في عام ١٢٤٨ للميلاد • وكانت مصر قد خرجت من أيديهم أيضاً قبل عشر سنوات ، وقام فيهـا ما يعرف بدولة المماليك ، وهم رجال الجيش من الأرقاء المحرَّرين عند أسيادهم الأيوبيين ، اغتصبوا السلطة منهم فى مصر ، ثم مدوا سيادتهم الى الشام لمـا جاؤوا لانقاذها من التتار • وحظيت دمشق رغم تبعيتها للقاهرة بمكان مرموق في العهد المملوكى ، فكانت بمثابة العاصمة الثانية ومركز أكبر ولايات الدوله • واستمرت حركة النهضة فى سيرها ، وتقدمت العلوم والفنون ، ونشطت التجارة ، ولكن هذا الازدهار كان يصاب بنكسات من حين لآخر • فقد حلت بها أفدح مصيبة في تاريخها كله عندما دمرها تيمورلنك في عام ١٤٠٠ للميلاد • وفسد الحكم المملوكى في آخر أيامه وكثرت الانقـلابات العســكرية وحركات العصيان واصطدم المماليك مع جارتهـم في الشمال وهى الدولة العثمانية الفتية فكانت على يدها نهايتهم • ودخل العثمانيون دمشق في عام ١٥١٦ م ليحكموها وسائر العالم العربى أربعة قرون ،كانت دمشق خلالها مركز ولاية تابعة لاستانبول ، وتقيم فيهـا حاميات عسـكرية مسؤلة عن أمن المنطقـة ، كما غدت المحطة الرئيسية لقوافل الحج القادمة من أنحـاء العـالم الاسـلامى ، يتولى حاكمها مسؤولية حماية الحجاج وقيادتهم الى الأراضى المقدسة في الحجاز •• وأفادت

دمشق في هذا الموسم فوائد اقتصاديه هامة ولكن فساد نظام الحكم العثمانى جعل الجهل والركود يسودان فيها وفي غالبية البلاد العربيه ، وكذلك ألحقت بها الفتن والاضطرابات الداخليـة الانحطاط والتدهور • ثم ظهرت بوادر اليقظه الفكريه والقومية في أواخر القرن التاسع عشر ، وبدأ الغليان الثورى للخلاص من الحكم العثمانى يقوى ويشتد في أوائل القرن العشرين • وجاءت الحرب العالمية الاولى فانتهزها العرب ، واتفق زعماء دمشق مع أمراء الحجاز على الثورة كما هو معروف ، وخرج العثمانيون في تشرين الأول ١٩١٨ ؛ ولم يمض على الحكم العربى في ظل الملك فيصل سوى أشهر معدودات ، حتى دخلت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال غورو في تموز ١٩١٩ ، وفرض الانتداب الفرنسى بالقوة على سوريا زيادة عن ربع قرن الى أن تحررت منه في عام ١٩٤٦ ، وبدأت دمشق تعيش حياتها الطبيعية كعاصمة للجمهورية العربية السورية ، وتنال حظها من التطور والتقدم كاحدى عواصم الشرق العربى وأجملها •

خلال هذه العصور التاريخية التى استعرضتها سريعا ، بنيت مدينة دمشق ونمت وتطورت ، وحفلت بأنواع المبانى والمنشآت وأصبح لهـا طابع خاص يميزها عن سائر المدن • وهى اليوم ككل مدينة تاريخية تتألف من مدينتين قديمة وحديثة (المصور — ٢ —) •

والذى يهمنا هنا هو المدينة القديمة ذات الشهرة العالمية ، وما لها من خصائص ، وما فيها من أسوار عالية ، وأبواب حصينة ، وأسواق مسقوفة ، وأزقة ضيقة ، ومبـان متنوعة الفنون والأسـاليب ؟ جعلتهـا تتحلى بالجاذبية والسحر •

ســور المدينة :

أول ما يلفت الانتباه في مدينة دمشـق ســورها الذى ما يزال يضرب حولها نطاقا ظاهر المعالم لم تنقص منه سـوى أقسـام بسيطة • وقد حجبت المساكن بعضه وركبت بعضه الآخر • ولكن قسما هاما منه بقى على حالته الأصلية يشـاهد بين باب السـلام وباب توما • ويمكن السير بحذائه وتأمل

حجارته الضخمة وارتفاعه الكبير . كما لا تزال الأبراج العديدة تشاهد في جهات السور المختلفة ، وأهمها برجان جديران بالمشاهدة أحدهما مستدير يقع جنوبي باب الجابية يحمل اسم « نور الدين زنكي » (القرن الثاني عشر الميلادي) ، والثاني مربع يقع الى الشرق من باب توما يحمل اسم الملك الأيوبي « الصالح أيوب » (القرن الثالث عشر) . وأما الخندق المحيط بالمدينة فقد ردم كله ؛ وكان حتى القرن السابع عشر عميقا يملىء بالماء عند اللزوم . وذكر أحد المؤرخين أن عمقه عند القلعة ينوف على مائة ذراع ، وكان عليه جسر أمام كل باب من أبواب المدينة التسعة . وهذه الأبواب لا تزال كلها باقية على حالتها الأصلية لم ينقص منها سوى باب واحد هو « باب النصر » الذي كان عند مدخل سوق الحميدية ، وقد هدم في عام ١٨٦٣ . وكلها مجددة في العهود العربية ما عدا الباب الشرقي المتبقي من العهد الروماني . وقد زود كل باب في العهود العربية بسويقة (باشورة) كانت تبنى غالباً على جانبي الجسر ، ويتمون من دكاكينها سكان الأرباض (أي الأحياء الكائنة خارج السور) في حالة الحصار ، وعند اغلاق الأبواب . وكانت تباع الأزهار في الماضي عند كل باب كما ذكر الرحالة القدماء .

وجميع هذه الأبواب مفتوحة اليوم في الليل والنهار ، يجتازها آلاف السكان في الصباح والمساء . وكانت تغلق ليلا في العصور السابقة، بعضها عند الغروب وبعضها بعد العشاء ، وفق نظام مقرر ومرسوم سلطاني . وكانت بوابات المدينة في العهد الروماني بسيطة ذات فتحة واحدة . باستثناء البابين الرئيسيين « باب الجابية ، والباب الشرقي » المتقابلين الذين لهما واجهة عريضة ذات ثلاث فتحات الوسطى منها واسعة ويصل بين البابين الشارع المستقيم ، أطول شوارع المدينة القديمة (١٥٠٠ متراً) وأعرضها (٢٤ متراً) وكان هذا الشارع في العهد الروماني مؤلفا من رواقين مسقوفين يمتدان أمام المخازن التجارية ، وبينهما شارع مكشوف لمرور العربات يقابل الفتحة الوسطى لكل من البابين . وقد سد هذان البابان في القرون الوسطى لتسهيل مهمة الدفاع ، واحتفظ

بفتحة صغيرة واحدة للمرور • وعملت مصلحة الآثار مؤخرا على كشف ما اختفى من أجزاء هذا الباب وترميمه ، ليعود الى وضعه الأصلى بفتحاته الثلاث كأحسن أبواب المدن الرومانية الباقية في العالم (الصورة -١-) وقد طرأ على بوابات السور فى العهود العربية تطوراً معماريا زاد في مناعتها ، وغدت مزودة ببابين داخلى وخارجى ليسا على استقامة واحدة وغير متقابلين • وأحسن مثل على هذا الطراز من الأبواب ، باب الفرج المشهور بباب المناخلية • ومن أهم الأبواب المجددة فى العهد الأيوبى باب توما وباب السلام (الصورة رقم ٢) •

الأســواق والخــانات :

وهناك عنصر آخر من معالم المدينة القديمة يجذب الأنظار ، ونجده فى الأسواق والأحياء • فقد كانت الأسواق فى العهد الرومانى مكشوفة ومزودة بأروقة جانبية كما رأينا فى وصف الشارع المستقيم ، وقد زالت معالم هذا النوع من الأسواق ولم يبق منها سوى سوق المكسية الصغير الواقع على باب الجامع الأموى الغربى (باب البريد) ولكنها بنيت فى القرون الوسطى مسقوفة كلها (بجملون) ، ثم أضيفت القباب فى العهد العثمانى الى هذه السقوف • وكانت تستعمل فى بنائها الحجارة تارة والخشب تارة أخرى • ثم حل الحديد محل الخشب فى أواخر القرن التاسع عشر تجنبا للحرائق • ولا تخلو الأسواق العربية من جامع ومدرسة وخان ومن حمام وسبيل • أما الخانات فبعضها مخصص لأهل مهنة معينة أو سلعة من السلع كالأسواق والقيساريات وبعضها الآخر للتجارة الخارجية ، ونزول القوافل التجارية • وهذه القيساريات والخانات مؤلفة من طبقتين ، ومزودة بباحة سماوية ، تتوسطها بركة واسعة ، وتحيط بها الأروقة ، أو بباحة مسقوفة بالقباب واشتهرت دمشق فى كل العصور بأسواقها وخاناتها التى لفتت أنظار الرحالة فتحدثوا عنها فى مذكراتهم ، ويحسن أن نستشهد ببعض منها • قال المقدسى (فى القرن العاشر الميلادى) : وأكثر أسواقها مغطاة ، ولهم سوق على طول البلد مكشوف حسن (يقصد السوق المستقيم الذى مر ذكره) • وقال « ابن جبير » فى القرن الثانى عشر : (أسواق هذه البلدة

من أحفل أسواق البلاد وأحسنها انتظاما وأبدعها وصفاً ، لاسيما قيسارياتها، فهى مرتفعة كأنها الفناديق ، ولها سوق يعرف بالسوق الكبير ، والبلد كله سقايات قلما تخلو سكة من سككه أو سوق من أسواقه من سقاية » •
ويقصد ابن جبير بالسقايات السبل جمع سبيل Fontaine التى اشتهرت بها دمشق لكثرة مياهها ، وقد هدم كثير منها ، وقطعت المياه فى السنوات الأخيرة عن كثير أخر الأغراض الصحية لكون مياهها الآتية من النهر غدت ملوثة •

وقال العمرى فى القرن الرابع عشر : « فيها الأسواق المليحة الترتيب والقياسر الحصينة » وشاهدالشاعر الفرنسى (لامارتين) خان أسعد باشا العظم فذكرته قبته العالية بقبة كنيسة القديس بطرس فى روما • ووصف السائح الانجليزى (بورتر) أسواق دمشق فى منتصف القرن التاسع عشر فقال : « من الممتع التجول بين هذه الأسواق ومشاهدة أنواع البضائع » ولاحظ أمام كل حانوت مصطبة ، والتجار يجلسون عليها بين بضائعهم بهدوء واحترام • وقال عن سوق الأروام : « تجدر زيارته من كل سائح لتأمل الأزياء العديدة والمعروضات الثمينة من السيوف الدمشقيه ، والبورسلين القديم ، والدروع والأسلحة المطعمة بالذهب والفضة ، والثياب الموشاة بالذهب ، وأنواع السجاد الشرقى الثمين • وكانت الشوارع والأسواق منذ القدم مرصوفة بالحجارة ، ومزودة بالأرصفة • قال عنها ابن بطوطة : « ان فى دمشق أوقافاً لاصلاح الطرق ورصفها ، لأن أزقتها لكل واحد منها رصيفان فى جنبيه ، يمر عليه المترجلون ، ويمر الركبان بين ذلك » •

البيت الدمشقى :

واذا نحن عرجنا قليلا خلف الأسواق شاهدنا الأحياء والأزقة ، واستوقفتنا مشاهد أصيلة لا تزال تحتفظ بها هذه المدينة بين أكثر أحيائها التى لم يغزها بعد الأسمنت المسلح • وأول ما يلفت انتباهنا ونحن نجتاز أحد الأحياء ، باب واسع للحى ، كان يغلق فى أحوال الحصار والاضطرابات ، ويكتفى بالمرور من باب صغير مفتوح فى وسطه يطلق عليه اسم (خوخه) • ونرى بيوت الحى قد برزت لها على الشارع أكشاك وأخصاص تقاربت من



(صومة رقم ١)
الباب الشرقى فى سور مدينة دمشق وهو من العهـد الرومانى



(صورة رقم ٢)
باب السلام فى سور مدينة دمشق من العهد الأيوبى
(القرن الثانى عشر الميلادى)

بعضها حتى تلاشت فحجبت الشمس عن الزقاق الضيق ، وأضفت عليه ظلاً وسكوناً جذابين •

ويزيد في جاذبية هذه البيئة السكنية الوان الجدران الذهبية الهادئة المبنية بالخشب واللبن ، والمطلية بالترابة الممزوجة مع القش • فاذا ما توغلنا فى الحى رأيناه يلتوى ويتفرع الى أزقة صغيرة لها بدورها أبواب خاصة بها تؤدى الى عشرات البيوت • ان مثل هذه الزيارة تذكرنا بما تحدث به الرحالة القدماء كالمقدسى الذى سبق ذكره حيث قال : « وأبنيتها خشب وطين ومنازلها ضيقة وأزقتها غامة « أما ابن جبير فيقول : « وبناء البلد طين وقصب وطبقات بعضها فوق بعض ، ولذلك يسرع الحريق اليه • وهو كله ثلاث طبقات ، فيحتوى من الخلق ما تحتوى ثلاث مدن » •

ولابد للسائح المتجول بين هذه الأزقة والمساكن من أن يحمله الفضول لمعرفة ما وراء الأبواب المغلقة والوقوف على كنه البيت الدمشقى • ولكن مصلحة الآثار السورية كفت السائح مؤونة الاستئذان وطرق الأبواب ، وفتحت أمامه « بيت العظم » مقر متحف التقاليد الشعبية اليوم ، ليرى فيه نموذجاً كاملاً لمئات الدور الدمشقية ، التى كان يقطنها الميسورون من أهل دمشق ، الذين يؤثرون اليوم السكن فى الأحياء الحديثة ، ويتركون تلك الديار للطبقة الفقيرة بالرغم مما تتحلى به من رحابة وجمال وملاءمة للاقليم والعادات • فلقد أسهمت فى تكوين البيت الدمشقى وايصاله الى هذا المستوى من الكمال عوامل عديدة ، فى مقدمتها البيئة الطبيعية والاقليم ، والفنون المعمارية والزخرفية ، التى أتت بها العصور التاريخية والتقاليد الأجتماعية • إن أغلب الدور التى تعيش بين ظهرانينا لا ترجع الى أبعد من القرن الثامن عشر الا أنها تشبه الى حد بعيد الدور التى تصفها المصادر التاريخية في القرن الرابع عشر وما قبله •

ان أول ما نلاحظه فى هذه البيوت هو التباين الكبير بين مظهرها الخارجى المسرف فى البساطة ، وجوها الداخلى الحافل بأنواع الزخرف والترف • يحتل البيت مساحة واسعة من الأرض محاطة بالأسوار الصماء التى قلما

تحتوى على شباك أو نافذة على الشارع • وللبيت في الغالب أكثر من باب ، ويضم جناحين أو ثلاثة • يتوسط كل منهما باحة سماوية الأول للأسرة والثانى للضيوف ، والثالث للخدمة •

والباب الرئيسى يغلق بمصراع واحد من الخشب المصفح بالحديد والمسامير الغليظة ،مزود بمطرقة أنيقة من حديد أو نحاس وينفتح فى هذا المصراع غالبا باب صغير يسمى (خوخة) يستعمل للدخول فى الأحوال العادية • ويلى الباب دهليز مسقوف ، ملتو أحيانا ، يؤدى الى الفناء المكشوف • وهنا يحس الزائر بالانتعاش والنشوة بما تقع عليه عيناه من بركة ماء تلعب فيها النوافير وتحيط بها الأشجار والزروع ، وأحواض للأزهار والرياحين والعرائش وجدران ملونة الأحجار قد فتحت فيها أبواب ونوافذ مزخرفة بالفسيفساء ، وقد نقشت مصاريعها الخشبية بالزخارف الهندسية ، طعمت بالعاج أو الصدف • ويشاهد فى ركن من أركان هذا الفناء إيوان واسع ،أو رواق على أعمدة فرشا بالأرائك والسجاد ، وأعدا للجلوس في أمسيات الصيف والنهارات الجميلة • والبيت مؤلف من طابقين ، الأرضى ويصلح لأيام الصيف لرطوبة قاعاته ، والعلوى يصلح للشتاء لأنه أبعد عن الرطوبة وأكثر تعرضا لأشعة الشمس •

والقاعات كلها قدكسيت جدرانها بالرخام الملون ، والخشب المزخرف بالرسوم والأصباغ ، والموشى بالذهب ، وكذلك الحال في السقوف الخشبية الدقيقة الصنع • أما الأرض فقد بلطت بالرخام الملون المرصوف بأشكال هندسية • ولا يتسع المجال هنا للاسترسال فى وصف تفاصيل هندسة البيت الدمشقى وزخارفه ، ومزاياه وما فيه من صنعة وفن وجمال ، ويكفى أن نلمس الأثر الذى تتركه زيارة مثل هذه الدار العربية فى نفوس الأجانب والغرباء ، والدهشة التى ترتسم على وجوههم ، لنعرف ما تتصف به من جمال •

ان «غليوم» ولى عهد بروسيا ، عندما زار دمشق فى عام ١٨٦٩ ، نزل ضيفاً فى احدى هذه الدور وشهد بأنها أحسن دار نزلها فى سياحته • وعندما زار «غراندوق روسيا» دمشق ، أضيف فى «دار القوتلى» القريبة

من الجامع الأموى • والو تحول بعض هــذه الدور الواسعة الى فنـــادق ومقاه ومطاعم ، لطاب للســـائح العيش فيهـــا يوما أو بعض يوم . وخرج بذكريات لا تنسى •

المبـــانى التاريخيـــة :

وتمتلك مدينة دمشق مجموعة من المبـــانى التاريخيـــة الهـــامة ، تشاهد موزعة داخل أسوارهـــا أو خارجهـــا ، فى مناطق التوسع التى نشـــأت كضواح وأرباض خارج الأســوار ثم ألحقت بالمدينة •

من هـــذه المبـانى قصور وقلاع وبيوت قديمـة وحمامات وجوامع ومدارس ومدافن •

وقد شيدت هذه المباني في عهود تاريخيـة مختلفـة ، فهى تمثـــل في هندستهـا وأسلوب عمارتهـا ، وفنونهـا الزخرفية عديدا من المدارس الفنيـــة ، العالميـــة والمحليـــة •

فمن العهد الرومانى تجـــد باب المدينة الشرقى ذا الثلاثة عقود ، وآثار معبد جوبيتر المحيطة بالجامع الأموى •

ويمثل جامع بنى أمية نشأة الحضارة الاسلامية وفنونها المبكرة •

ومن العهد العباسى ، نجد آثار السلاجقة ، وأشـهرها البيمارستان النورى والمدرسة النـورية الكبرى وكلاهما بناهمـا نور الدين محمود بن زنكي ، ويعتبران نموذجاً كاملاً لفن العمارة الذى ساد في القرن الثـانى عشر . ويحفلان بمقرنصـات قبابهمـا ، وبأشرطة الكتابات والزخارف التى تزين جدرانهما ، كما يتجلى في هنـدستيهما المخطط ذى الأواوين الأربعة • التي تحيط بصحن تتوسطه بركة مستطيلة •

ومن العهد الأيوبى، نشاهد قلعة دمشق ، وكثيرا من المساجد والمدارس والترب ، أهمها تربة السلطان صلاح الدين ، والمدرسة العادلية الكبرى التى بناها أخوه الملك العادل أبو بكر ، وتضم تربته أيضا . وكلا البناءين يجاور

الجامع الأموى من الجهة الشمالية . ومن آثار العهد الأيوبى أيضا بعض بوابات السور كباب الفراديس وباب توما وباب الجابية •

وتتميز القباب الأيوبية بسطوحها المحززة وشكلها المدبب ، والمبانى الأيوبية بشكل عام متقشفة قليلة الزخرفة ، وأبرز ما نشاهده فيها ، النقوش الجصية التى تزين الجدران الداخلية ، والنوافذ الجصية ذات الأشكال الهندسية ، والمرصعة أحيانا بالزجاج الملون ، نشاهد نماذج رائعة لهذه الفنون الزخرفية فى البيمارستان القيمرى وفى جامع الحنابلة وتربة ست الشام أخت صلاح الدين وتربة زوجته الخاتون عصمة الدين •

ومن منشآت عهد المماليك الشهيرة فى دمشق : المدرسة الظاهرية التى تحتوى على ضريح الملك الظاهر بيبرس ، والمدرسة الجقمقية ، والمدرسة الصابونية والمدرسة السيبائية • وتربة الأمير تنكز وبوابات جامعه الكبير ومئذنته ، وكذلك مئذنتا جامع هشام وجامع القلعى اللتان تكسوهما حلة قشيبة من الزخارف والألوان •

وأخيرا فان من أهم ما تركه العهد العثمانى من منشآت تاريخية ، التكية السليمانية ، وجامع درويش باشا ، وجامع سنان باشا ، وضريح الشيخ محيى الدين بن عربى وقصر الوالى أسعد باشا العظم وخانه الكائنان فى سوق البزورية • وكلها أبنية جميلة تزدان بألواح القاشان والنوافذ الزجاجية الملونة والقباب الكثيرة وفيها الباحات ذات الحدائق والبرك •

ولا مجال هنا للتحدث عن كل هذه الأبنية ، وسنكتفى بالحديث عن أهمها من الناحيتين التاريخية والمعمارية وأشهرها من الناحية السياحية • وقد اخترنا منها المبانى التالية :

الجامع الأموى ــ القلعة ــ قبور السلاطين الثلاثة نور الدين وصلاح الدين والظاهر بيبرس ــ التكية السليمانية ــ قصر العظم •

الجامع الأموى فى دمشق

الجامع الأموى هو قلب دمشق القديمة ، والبقعة المقدسة التى كرست للعبادة منذ ألوف السنين ، فيها حدث التفاعل بين العديد من ديانات الشرق العربى ، وفيها تطورت ثقافات شعوبه ، وتمازجت أفكارهم وفنونهم ، تمازجا رائعا تشهد أثره ، فى كل مكان من هذه الأرض وفى كل عنصر من عناصرها المعمارية والزخرفية ، فعليها أقام الآراميون فى مطلع الألف الأول قبل الميلاد معبدا لالههم الكبير « حدد » الذى ذاعت شهرته فى العالم القديم ، وتحدثت عنه التوراة فى سفر الملوك • ثم بنى بعده فى القرن الثالث للميلاد معبد على اسم الاله جوبيتر الدمشقى « أو المشترى » كما عرفه العرب ، فكان أعظم معابد العصر الرومانى فخامة واتساعا ويكفى لنتبين مدى أهميته أن نعلم بأن طول سوره الخارجى بلغ ثلاثمائة وثمانين مترا وعرضه ثلاثمائة • أهم ما تبقى منه بوابته الغربية بجبهتها المثلثة المنحوتة بالزخارف الرائعة والمحمولة على العمد العملاقة وهى قطعة من بقايا كثيرة تحجبها الأبنية والحارات والأسواق المحيطة بهذا الجامع ، نشاهدها قبيل الدخول الى الجامع من بابه الغربى •

وحين غدت المسيحية دين الدولة الرسمى في أواخر القرن الرابع الميلادى، تحول المعبد الوثنى الى كنيسة على اسم النبى يحيى أو القديس يوحنا المعمدان • ولما قدم العرب المسلمون يحررون بلاد الشام من الحكم البيزنطى ودخلوا دمشق في عام ستمائة وخمسة وثلاثين للميلاد ، وقع اختيارهم على هذا المكان ليكون مقر العبادة الجديدة أيضا ، فشاركوا فيه اخوانهم المسيحيين وفق قواعد الفتح • ذلك أن العرب احتلوا نصف دمشق الشرقى حربا وأخذوا نصفها الغربى صلحا ، فأقاموا مسجدهم فى النصف الشرقى من المعبد ، وبقى للمسيحيين نصفه الآخر وسادت الطرفين سياسة التسامح التى أعلنها العرب المسلمون وحرية العبادة التى كفلها الاسلام • وليس أدل على ذلك من قيام طقوس العبادتين فى معبد واحد مدة سبعين عاما ، يؤذن المسلمون فيه لصلواتهم ويقرع النصارى نواقيسهم متى شاءوا دون أن يقع بين الفريقين نزاع أو خلاف •

وتزايد عدد المسلمين مع الزمن فضاق بهم نصف المعبد هذا ولم يعد يليق بدمشق وقد بنى العرب المساجد فى كل مكان أن تبقى دون مسجد حديث .

ودخل المسلمون مع اخوانهم المسيحيين فى مفاوضات طويلة ليتنازلوا عن حصتهم فيضموها الى المسجد ، خاصة وان العرب تركوا بأيديهم كنائس بعد الفتح ، بينها ما هو أكبر من الكنيسة هذه . ثم ولى الوليد بن عبد الملك خامس خلفاء بنى أمية البلاد سنة ٧٠٥ م . وكانت دمشق قد غدت فى عهده عاصمة لدولة عظيمة امتدت من حدود الصين شرقا الى حدود فرنسا غربا . وأراد الوليد أن يكون لدمشق جامعها الذى يليق بمكانتها ، فعوض حينئذ المسيحيين عن كنيستهم وأرضاهم وفق مبادىء العدل والانصاف ، ثم هدم ما كان ضمن جدران المعبد من منشآت رومانية وبيزنطية وشرع فى البناء وأراده ، منذ البدء ، أن يكون أعظم ما شيده الملوك على الأرض لكى يأتى متناسبا مع عظمة الدولة العربية . ولقد عبر عن ذلك بقوله انى اريد أن أبنى مسجدا لم يبن من مضى قبلى ولن يبنى من يأتى بعدى مثله .

وهكذا كان فعلا . وبنى الجامع وفق مخطط مبتكر يتجاوب مع شعائر الدين الجديد وأغراض الحياة العامة فجاء فريدا فى هندسته ، لم يبن على نسقه فى العهود السابقة أى بناء آخر . ووضعت باشادته مبادىء هندسة الجوامع الكبرى التى شيدت بعده فى العالمين العربى والاسلامى . وظل المعماريون عدة قرون يستمدون منه وينسجون على منواله . (الصورة ٣) .

اذا تأملنا مخططه وجدنا مستطيلا طوله مائة وسبعة وخمسون مترا وعرضه سبع وتسعون . يحتل قسمه الشمالى صحن مكشوف تتوزع فيه قبتان جميلتان العمد والتيجان وبركة يحف بها من الجانبين عمودان كانا يسرجان فى العهود الماضية لانارة الصحن .

ويؤدى الى الصحن ثلاثة أبواب تصله بجبهات المدينة الثلاث الشرقية والغربية والشمالية . ويحيط بجهاته هذه من الداخل رواق مسقوف قائم على عمد وعضائد تحمل طبقتين من العقود الكبيرة والصغيرة مفتوحة الى



(صورة رقم ٢)

الجامع الأموي في دمشق – بناه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥ للميلاد .

الصحن • بينما يحتل المصلى الطرف الجنوبى وهو قاعة مستطيلة مؤلفة من ثلاثة أروقة (بلاطات) تمتد من الشرق الى الغرب ، وينتظمها صفان من الأعمدة عليها طبقتين من العقود تحمل السقف • ويقطع الأروقة الثلاثة من الشمال الى الجنوب بلاطة بالغة الارتفاع تحمل فى وسطها قبة النسر الشامخة. ولقد أطلق العرب على المصلى اسم النسر ، القبة رأسه والبلاطة المعترضة جسمه والأروقة عن يمين وشمال جناحاه . وسقوف المصلى جملونات مصفح سطحها بالرصاص ، وفى جدار المصلى الجنوبى باب يصل الجامع بالخضراء فتصبح بذلك متصلة به من الجهات الأربع • وكان فى هذا الجدار باب آخر يخص المعبد القديم كان يصل الجامع بالخضراء « قصر معاوية » وخلفاء بنى أمية فسد بعد حريق القصر ، ويحتل المحراب الرئيسى احدى فتحات هذا الباب الثلاثى • والى جانبه منبر الخطابة وثمة محاريب أخرى موزعة فى الجدار الجنوبى أيضا يتجه نحوها الامام ، ومن خلفه المصلون صفوفا موازية لجدار القبلة •

ومخطط المصلى هذا وتنظيمه يحقق ما تتطلبه شعائر الصلاة من اتجاه نحو مكة وكعبتها الشريفة •

ويسترعى الانتباه فى هذا المصلى ، بناء صغير أنيق ، قائم بين أعمدة الرواق الأوسط أنه ضريح النبى يحيى الذى أيدت الروايات التاريخية وجود رأسه مدفونا فى هذا المكان من الجامع وقد أمر الوليد بأن يجعل فوقه عمود يختلف عن العمد الأخرى ليدل عليه ، ثم أقيم له فى عهد لاحق ضريح من الخشب المزين بالنقوش ، ذهب مع الحريق الأخير فأعيد بناؤه بالرخام • ونوافذ المصلى التى نافت على المائة كانت مصنوعة من الجص المعشق بالزجاج الملون ، وتشبه بزخارفها الناعمة أفخر أنواع البسط اذا طلعت عليها الشمس انبعثت منها ألوان من الأشعة تخلب الأبصار •

ونميز على مخطط الجامع ثلاثة أبراج شاهقة هنّ منائر الأذان • بنيت كلها فى عهد الوليد ، ولكن أقسامها العليا جددت فى العصور اللاحقة الأيوبية والمملوكية والعثمانية • الأولى تتوسط الجدار الشمالى ، وهى التى اشتهرت

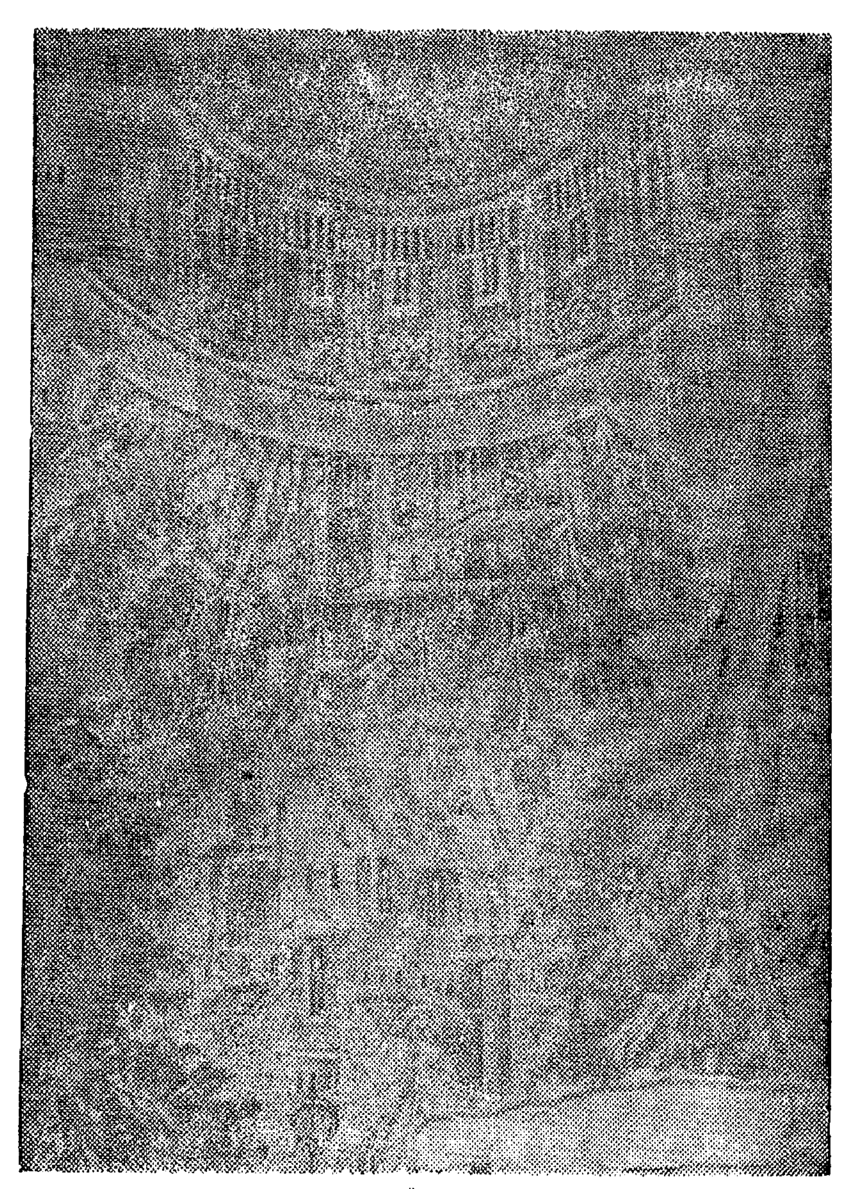
بمئذنة العروس والابنتان الأخريان بنتا فى زاويتى المصلى الشرقية والغربية، فوق اثنتين من أبراج المعبد القديمة ، وقد عرفت الشرقية بمئذنة عيسى •

ولا بد أن نشير أخيرا الى وظيفة القاعات الأربع الموزعة فى أركانه فى الشرق والغرب• لقد سميت هذه القاعات منذ وقت مبكر بالمشاهدة ، واستعملت فى أغراض شتى للعبادة والتدريس والاجتماع ، ولخزائن الكتب والمستودعات، وكان يطلق على كل من هذه المشاهد اسم احد الخلفاء الراشدين الأربعة •

استغرق بناء الجامع عشر سنين وعمل فيه آلوف البنائين والفنانين ، وأنفق عليه خراج الدوله سبع سنين على بعض المؤرخين أو أربعمائة صندوق من الذهب فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار على رأى بعضهم الآخر •

فلقد سخا الوليد فى الانفاق على بنائه وتجميله بكل أنواع الزخرفة ، وود لو وضع فيه لبنات الذهب ، لكنه كساه بعد ذلك بما هو أبهى وأجمل ، فقد أزرت جدرانه كلها بالرخام المجزع المفصل أشكالا وألوانا وأكملت الى السقف بالفسيفساء ، وهى فصوص صغيرة من الزجاج الملون بينها المذهبة والمفضضة وتتخللها الأصداف الناصعة البياض رصفت بحيث تألف منها كل ما يخطر على بال الفنان من رسوم هندسية ونباتية وآيات قرآنية ومناظر للطبيعة بينها القصور والدارات التى تجرى من تحتها الأنهار وتحف بها الأشجار والأزهار (الصورة — ٤) • أما سقوفه فقد صنعت من الخشب المحلى بالنقوش ، الموشى بالذهب • وعلقت القناديل والثريات بسلاسل من الذهب الخالص • ثم أرخيت على أبوابه ستائر الحرير • وهكذا ظهر الى حيز الوجود مشروع الوليد آية من آيات العمارة والفن ، وعد أعجوبة من أعاجيب الدنيا الخمس المعروفة فى ذلك الزمان •

ولما بلغ خبرة الدولة البيزنطية جاء وفد من القسطنطينية لمشاهدته • وكان لهذه الزيارة أثر هام تحدثت عنها كتب التاريخ فقد بلغ من دهشة الوفد أن صرح رئيسه بما معناه : أننا الآن وقد شاهدنا هذا البنيان الرائع ، لموقنون بأن العرب باقون فى هذه البلاد الى الأبد ، وأنه لا رجعة لبيزنطة اليها بعد اليوم •



(صورة رقم ٤)
قطعة من الفسيفساء التى تزين جدران الجامع الأموى بدمشق

وظل الجامع بضعة قرون فتنة للناظرين ووحيا للشعراء ومهوى أفئدة الرحالة والناس أجمعين ولم تكن وظيفته لتقتصر على شؤون العبادة وحدها بل كان حافلا بالنشاط السياسي والاجتماعي ومركز الأشعاع الثقافي والعلمي . توزعت حلقات التعليم والدراسة للصغار والكبار في شتى زواياه وجوانبه وشيدت حوله عشرات المدارس بحيث غدا يؤلف معها حتى عصرنا الحديث مدينة جامعية حقيقيه .

ولم ترع المصائب والكوارث حرمة هـذا البناء المقدس ، وأنزلت به الزلازل والحرائق العديدة أضراراً بالغة أذهبت جدته وشعشت فسيفساءه وقوضت الشيء الكثير منه . حدث أول حريق فيه سنة ١٠٦٧ للميلاد ، ثم كان الحريق الأخير سنة ١٨٩٠ . ولكن جامعنا رغم كل ذلك بقى في عداد أشهر أوابد العالم ، ولم يكن مصيره كمصير غيره من الأبنية التاريخية الكثيرة التي اندثرت قبله وبعده ، فقيض الله له في كل العصور ملوكا وحكاما يعنون به ويصلحون ما فسد منه ، ويجددون ما ضعف من عناصره ليبقى أثرا من آثار حضارة الأمة العربية وتراثا للانسانية جمعاء .

ومن حسن الحظ أن هذه الترميمات العديدة لم تغير هندسته ومعالمه الأولى ، ولم تدخل أي تعديل على مخططه الأصيل ، كما حدث لكثير من مساجد العالم الأخرى ، بل جعلت منه متحفا للفنون المعمارة الزخرفية الاسلامية في شتى عهودها . يجد فيه العلماء ومؤرخو الفن مادة غزيرة لأبحاثهم ويحس السياح وعامة الناس لدى زيارته بمتعة لا تقدر .

قلعة دمشق

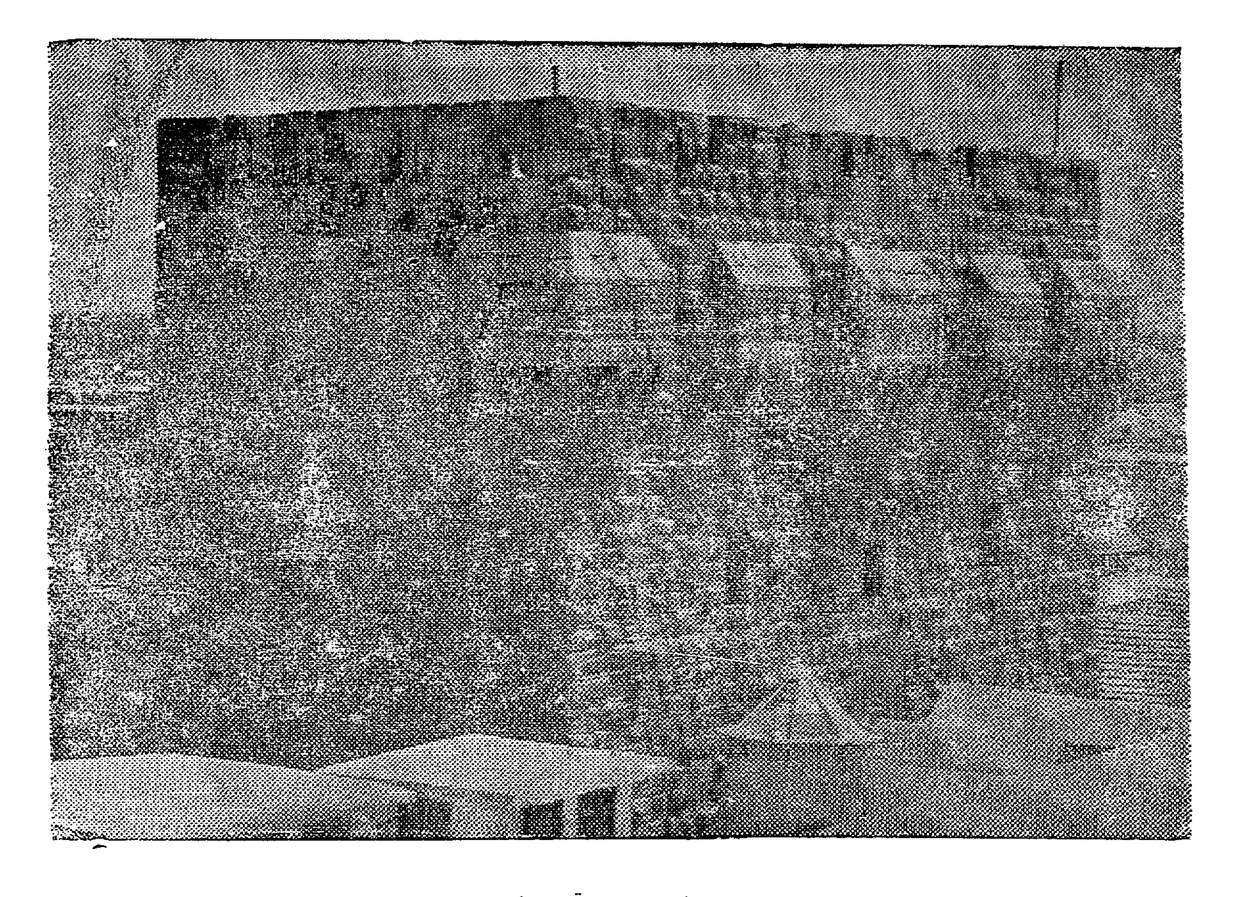
تقع قلعة دمشق في الزاوية الشمالية الغربية من المدينة القديمة ، محتلة رقعة تقدر مساحتها بثلاثة وثلاثين ألف متر مربع . وتمتد من باب الفرج في السور الشمالي الى باب النصر في السور الغربي (وهما بابان من أبواب المدينة ما يزال الأول موجودا ويعرف بباب المناخلية وأما الثاني فقد زال في القرن التاسع عشر ومكانه عند مدخل سوق الحميدية) .

والحديث عن قلعة دمشق حديث عن حقبة تاريخية على جانب من الأهمية ، لا بالنسبة لدمشق وحدها بل بالنسبة لشرقنا العربي كله .

لقد عاصرت القلعة الحروب الصليبية ، وشهدت معارك النضال فى سبيل توحيد البلاد وتحريرها من الغزاة الفرنج والتتار . فيها أقام سلاطين دولة مصر والشام أمثال نور الدين وصلاح الدين والظاهر بيبرس ومن داخلها كانوا يصرفون شئون الحرب والسياسة ومنها خرجت الجيوش التى أنقذت مصر فى عام ٥٦٤ – ١١٦٨ – من مؤامرات الفرنج وتهديداتهم ثم ربطت مصيرها مع الشام لقرون طويلة . ومنها قاد صلاح الدين الجيوش الى حطين . ومنها انطلق الظاهر بيبرس لتطهير البلاد من التتار ، ولتحرير قلعة الحصن من أيدى الفرنج ، وكانت أهم قلاعهم وأكثرها قوة ومنعة .

بنيت قلعة دمشق فى عهد (؟) الأول فى عام ٤٧١ هـ – ١٠٧٨ م ليتخذ منها حكام دمشق اللاحقة دار امارة أو قصرا حصينا ، وزودها بالأسوار والأبراج والخنادق وشيدوا داخلها الدور والحمامات والمساجد والمدارس حتى غدت مدينة داخل مدينة . وعاشت كذلك نيفا مائة عام الى أن جاء الملك العادل أبو بكر أخو صلاح الدين الى الحكم ، وكانت الحروب الصليبية ما تزال على أشدها ، بالرغم من الانتصارات التى حققها صلاح الدين . ولاحظ الملك العادل أن قلعة دمشق لم تعد تساير العصر وانها غدت أضعف من أن تقف فى وجه أسلحة الحصار وما طرأ عليها من تطور ، فلم ير بدا من هدم القلعة القديمة واعادة بنائها من جديد . وبدأ فى عام ٥٩٩ هـ – ١٢٠٢ م باشادة قلعة حديثة أكثر قوة وأضخم بنيانا وحرص على أن تبنى وفق أرقى ما وصلت اليه فنون العمارة والتحصين . وأشرف بنفسه على مشاريع البناء ، واقتسم العمل مع أبنائه وقواده . وأسهم سكان دمشق جميعا فى أعمال البناء بحسب أحيائهم ومناطقهم وظهرت الى الوجود القلعة المنصورة كما سماها المؤرخون القدماء بأسوارها المنيعة وأبراجها الأثنى عشر البالغة الارتفاع ، وحجارتها الضخمة البارزة النحت (الصورة – ٥ –) .

وها هى ذى اليوم ما تزال تنتصب أمام أعيننا أثرا تاريخيا عريقا ،



(صورة رقم ٥)

أحد أبراج قلعة دمشق الأيوبية (القرن الثالث عشر)

صمد رغم النكبات وتوالى القرون • وللقلعة بابان رئيسيان : الأول فى الشمال يصلها بخارج المدينة ويدعى باب الحديد• والثانى يؤدى الى داخل المدينة ومكانه فى الشرق عند العصرونية ،وهو باب السجن اليوم ، بالاضافة الى أبواب سرية أخرى كانت مزودة بجسور متحركة • وأحيطت القلعة بخندق عميق يمتلىء عند اللزوم بمياه نهر بردى•

وتتجلى قوة القلعة الدفاعية بالاضافة الى قوة أسوارها السميكة وأبراجها العالية بقوتها الضاربة المتمثلة بالعناصر الثلاثة التالية :

١ ـ مرامى النبال الموزعة فى أسوار القلعة وأبراجها بطبقاتها الثلاث ويزيد عددها على الثلاثمائة مرمى •

٢ ـ الشرفات البارزة الموجودة في أعالى الأبراج ووظيفتها صب الزيوت المحرقة والمواد الفتاكة من فتحاتها على العدو المهاجم فى حالة تمكنه من الافلات من النبال والأقتراب من الأسوار •

٣ ـ آلات الحرب الثقيلة المنصوبة على أسطحة الأبراج خلف المتاريس كالمنجنيقات التى تقذف القنابل الحجرية وقنابل النفط المحرقة •

تلقت القلعة أول امتحان لها بعد تشييدها بحوالى نصف قرن ، كان ذلك فى عام ١٢٥٩ م حين وصلت جحافل التتار أتباع هولاكو الى بلاد الشام تزرع الموت والخراب فى كل مكان ، وسقطت دمشق بأيديهم سريعاً ، ولكن قلعتها صمدت وقاومت الحصار • وكانت المجانيق فى أعاليها تفتك بالتتار ؛ لكن هؤلاء الذين دكوا عشرات المدن والحصون فى طريقهم الى دمشق لم تعجزهم قلعة دمشق الناشئة فنصبوا حولها عشرين منجنيقا كانت تجرها الثيران ، وأخذوا يقصفونها أياماً متوالية • وتساقطت القنابل الحجرية على القلعة كالمطر فتداعت ، وسقطت بأيدى العدو •

وطرد التتار بعد أشهر في اثر الانتصار الذى أحرزه الجيش المصرى بقيادة السلطان المظفر قطز فى معركة عين جالوت • ويخلف الظاهر بيبرس السلطان المظفر فيرمم ما تهدم من القلعة ويعيد اليها قوتها وحصانتها •

ويعود المغول ثانية بعد أربعين عاما ، فتصمد القلعة هذه المرة ببسالة ، وتردهم عنها خائبين • وبعد قرن كامل يصل تيمورلنك ويحتل دمشق بالحيلة سنة ٨٠١ هـ — ١٤٠٠ م وتمتنع عليه قلعة دمشق فيضرب الحصار حولها ويقذفها بالمدافع تسعة وعشرين يوما • ويلاحظ هنا بداية استعمال المدفع وحلوله محل المنجنيق • ويروى المؤرخون أن الحامية عندما استسلمت لم يكن يتجاوز عدد أفرادها الأربعين •

وتتوفر للقلعة بعد هذه الكارثة أسباب الصيانة والترميم ولكنها لن تتعرض لغزو خارجي جديد ، وستحتفظ بأهميتها في الأحداث الداخلية ، وتكون أداة للولاة فى خروجهم على السلطان المملوكي فى القاهرة أو على السلطان العثمانى فى استانبول ، كلما وجدت لدي ولاة دمشق النزعة الى الأستقلال • ثم تتضاءل الأهمية الستراتيجية للقلاع وتتحول الى ثكنات عسكرية ، ويفسر هذه الظاهرة أمران :

الأول : استعمال البارود والمدافع وتقدم أسلحة الحصار في القرن الخامس عشر •

الثانى : انضواء سورية فى الأمبراطورية العثمانية القوية فى القرن السادس عشر ، أبعد عنها خطر الغزو الخارجى •

وتقوم القلعة اليوم بين ظهرانينا محتفظة بأكثر أبراجها وأسوارها ، الا أن خندقها ردم وزالت معالمه وقامت فى مكانه أسواق دمشق الشهيرة التى تحيط بالقلعة وتحجب أكثر معالمها ، كسوق الحميدية ، وسوق العصرونية ، وغيرها • أما في الداخل فقد شغلت القلعة لصالح الشرطة وسجن المدينة •

قبور العظماء فى دمشق :

عرفت دمشق كثيرا من العظماء والأمراء والعلماء والفضلاء الذين عاشوا فيها على مدى عهودها التاريخية • وقد أقيمت على قبور بعض منهم أضرحة ومدافن فخمة ، بعد وفاتهم ، تخليداً لذكراهم ، وأهملت قبور بعضهم الآخر فاندثرت وضاعت آثارها •

وممن تأكد لدينا دفنهم فى دمشق من صحابة الرسول (ص) وآل بيته •

بلال الحبشى : وقبره معروف يزار •

أبو الدرداء : قبره ضائع لكن شاهدة قبره عثر عليها ، ونقلت الى المتحف الوطنى •

أم حبيبة : زوجة الرسول وأخت معاوية بن أبى سفيان •

وهذه القبور جميعا فى مقبرة الباب الصغير الواقعة خارج سور المدينة من جهة الجنوب • وهناك قبور أخرى ومشاهد تنسب الى جماعة من آل البيت تزار ويعنى بها ، دون أن يثبت تاريخيا دفن أصحابها فى دمشق نذكر منهـا :

مشهد الحسين وضريح النبى يحيى في الجامع الأموى •

زينب الصغرى بنت على بن أبى طالب ، الملقبة بأم كلثوم ، لهـا قبر فخم فى ضاحية جنوبى دمشق تعرف بقرية الست لوجود قبرالستزينبفيها، وعلى القبر اليوم تابوت ثمين من الفضـة وآخر حـديث من خشب الموازييك الرائع الصنع • وفوق القبر قبة زينت بالمرايا •

سـكينة بنت الحسين ، وقبرها فى مقبرة البـاب الصـغير عليـه تابوت خشبى منقوش بالزخارف والكتابات بخط كوفى مشجر جميل ، يرجع تاريخ صنعه الى القرن الخامس الهجرى •

رقيـة : وهى بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجة الخليفة عثمان ابن عفان ، وقبرها فى محلة العمارة خلف باب الفراديس ، وعليه تابوت ثمين من النحاس المزخرف ، أهـدته الى قبرها حكومة الباكستان • منـذ بضـع سنوات • أما البناء والقبة فقد شيدا فى العهد الأيوبى •

أما قبـور الملوك والسـلاطين ، فأهمها من الناحية الأثرية والتاريخيـة مدافن السلاطين الثلاثة نور الدين وصلاح الدين والظاهر بيبرس ، وهم أشهر عظماء دمشق فى القرون الوسطى بل أعظم شخصيات التاريخ الاسلامى فى هذا العهد ، وسوف نتحدث عنهم بعد قليل •

لقد ضم ثرى دمشق رفات عديد من الملوك العظماء خلفاء بني أمية الذين جعلوا من دمشق عاصمة لأكبر دولة عربية في التاريخ • ولكن قبورهم درست وزالت معالمها في أعقاب الانقلاب العباسي الذي قضى على دولة الأمويين • وحتى قبر معاوية مؤسس دولتهم يكاد يكون مجهولا تدل عليه غرفة متواضعة من الطين في ركن قصي من مقبرة الباب الصغير التي مر ذكرها •

وفي دمشق قبور وترب حسنة البناء تخص بعض سلاطين الأيوبيين والمماليك وأمرائهم من الولاة ونواب السلطنة وقواد الجيش ، وبعض باشوات الدولة العثمانية •

وقبور كثير من العلماء والصلحاء ، أمثال الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربي وابن تيمية وابن عساكر وابن كثير وغيرهم ممن لا يتسع المقام هنا للتحدث عنهم أو وصف قبورهم (١) •

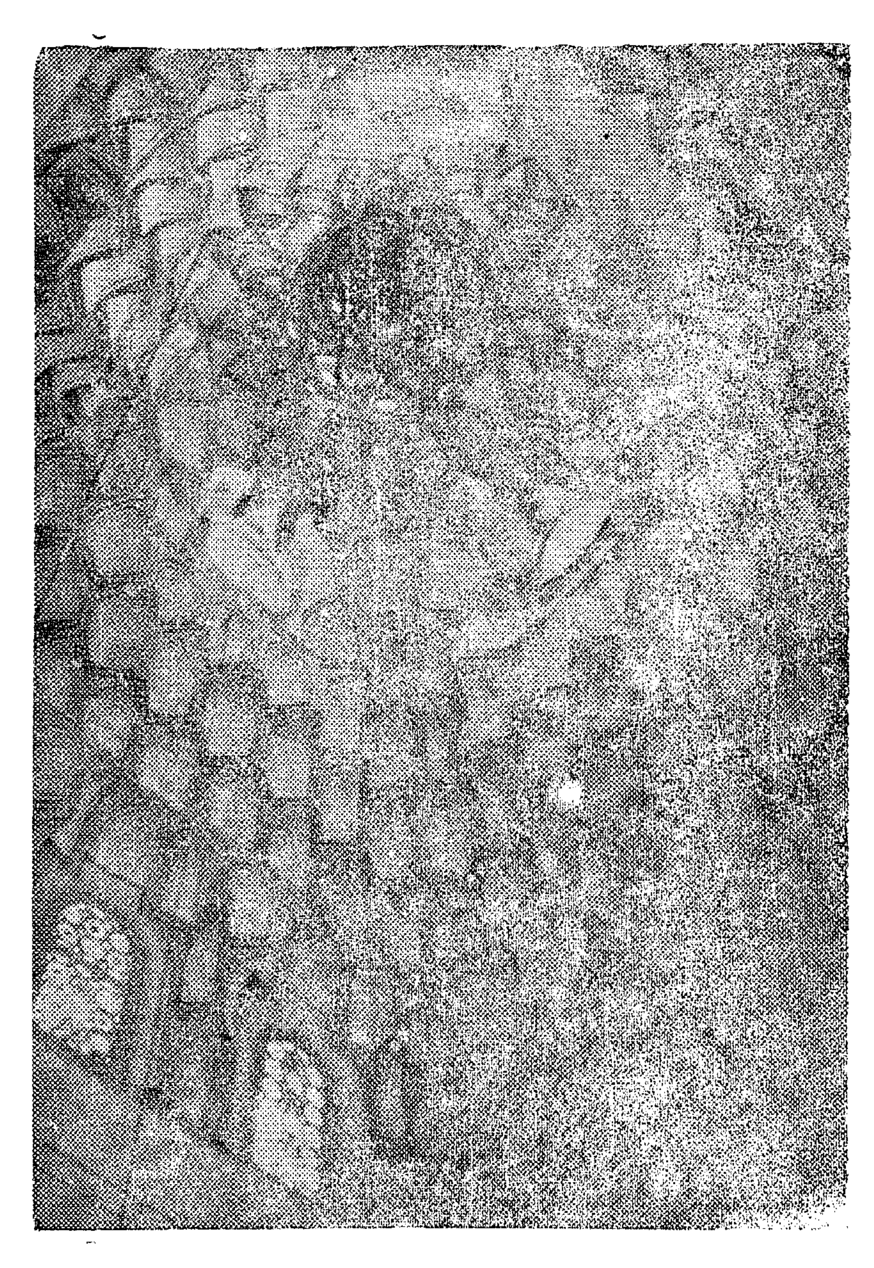
تربة السلطان نور الدين : وهي جزء من المدرسة النورية الكبرى الكائنة عند مدخل سوق الخياطين ، وتعتبر من أهم أبنية دمشق التاريخية ، قاعة مربعة ؛ يزخر داخلها بالمقرنصات الرائعة (الصورة رقم ٦) وشكلها الخارجي نموذج فريد في هندسة القباب ، وتضم التربة ضريح نور الدين ، وهو على شكل سنامي تغطيه زخارف نباتية نافرة •

ولد نور الدين في مدينة حلب في عام ٥١١ هـ — ١١١٧ م حيث كان أبوه حاكما عليها وأتابكا لسلطان بغداد السلجوقي ثم خلف أباه في الملك سنة ٥٤١ هـ — ١١٤٦م واشتهر بشجاعته وتقواه وتفانيه في تحرير البلاد من الفرنج ، وقد رأينا كيف تمكن من ضم دمشق الى مملكته وتوحيد المقاطعات السورية • وشهد قبيل وفاته سنة ٥٦٩هـ — ١١٧٣ م تحقيق وحدة القطرين مصر والشام على يديه وبمساعدة قائده صلاح الدين الأيوبي •

تربة السلطان صلاح الدين : تقع الى جوار الجامع الأموي عند بابه

---

(١) من يهمه معرفة المزيد عن هذا الموضوع فليرجع الى مقالنا « قبور العظماء في دمشق » المنشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق الجزء الرابع المجلد ٣٤ لسنة ١٩٥٩



مقرنصات قبة على ضريح السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فى دمشق (القرن الثانى عشر)

الشمالى ، وكانت جزءا من المدرسة العزيزية التى بناها ابنه العزيز عثمان ، وصلاح الدين أشهر من ان يعرف ، واسمه يوسف بن أيوب ، ولد بتكريت فى عام ٥٣٢هـ - ١١٣٧ م ودخل مع والده وال بيته فى خدمة نور الدين فبعثه بعد فتح دمشق مع عمه القائد أسد الدين شيركوه لتحرير مصر كما ذكرنا ، وصار بعد مقتل عمه وزيرا في بلاط الخلافة الفاطمية في القاهرة . ثم انفرد بالحكم بعد موت العاضد اخر خلفاء الفاطميين . ثم خلف نورالدين فى السلطنة على مصر والشام سنة ٥٧٠هـ ولقب بالملك الناصر وبفاتح بيت المقدس ، وقد سار على نهج نور الدين وقاد معارك التحرير والوحدة ، فضم اليمن وليبيا الى الدولة العربية التى أصبحت حدودها تمتد من أقصى الجزيرة فى الشمال الى عدن فى الجنوب والى تونس غربا . توفي صلاح الدين في قلعة دمشق فدفن فيها ثلاث سنين ثم نقل الى تربته المعروفة اليوم. وقد أحيطت تربته بالعناية والرعاية فى كل العصور ، وعلى قبره اليوم تابوت خشبى ثمين محلى بالنقوش تطوف به آية الكرسى المكتوبة بخط كوفي جميل ، وهو التابوت الأصلى الذى يرجع الى العهد الأيوبى (الصورة رقم ٧) والى جانبه تابوت آخر من الرخام الأبيض وضع فى عهد السلطان عبد الحميد سنة ١٨٧٨ م . وقد زينت جدران تربته بألواح القاشانى الجميلة وضعت سنة ١٠٣٧/١٦٢٧ وتغص تربته اليوم بوفود الزوار من العرب والمسلمين والسياح الأجانب القادمين من مختلف أنحاء العالم .

مدرسة الملك الظاهر بيبرس وتربته :

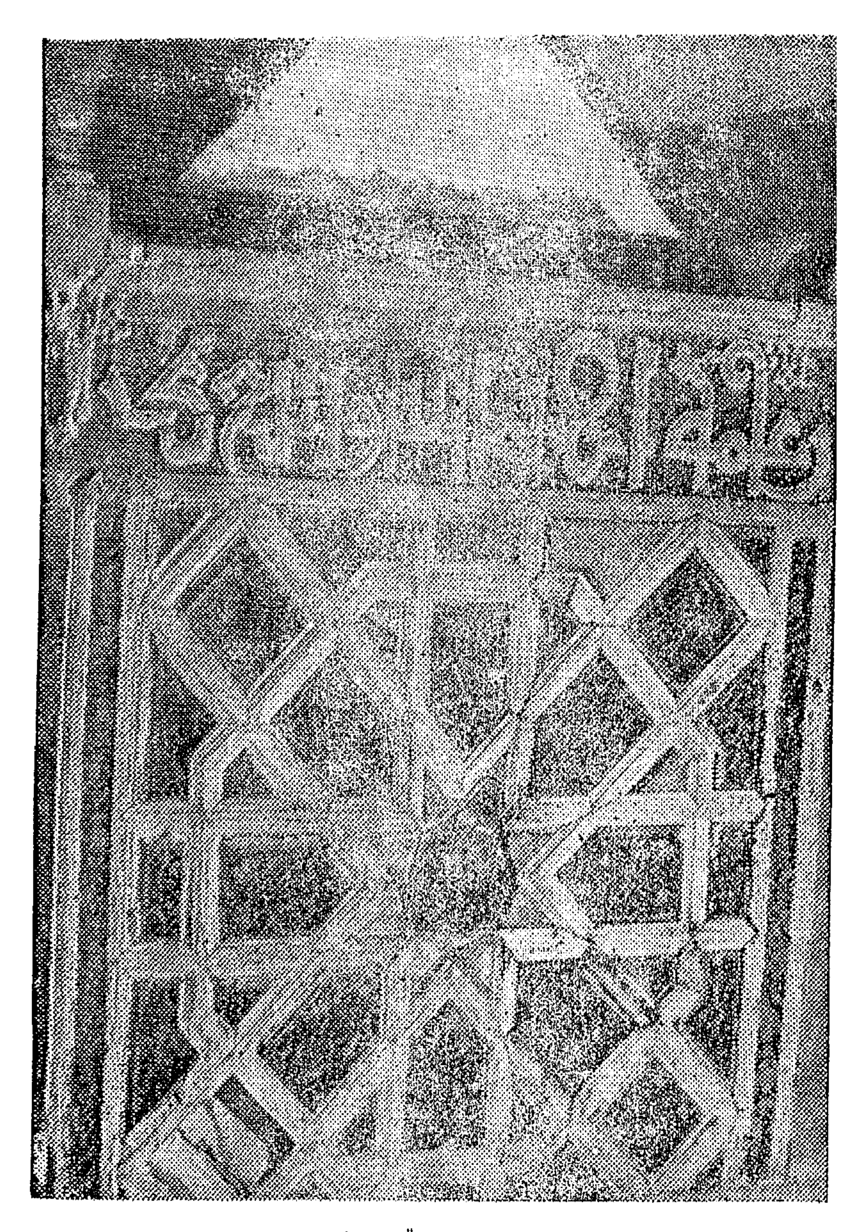
السلطان ركن الدين بيبرس البندقدارى هو أشهر سلاطين المماليك وأول من وطد حكمهم فى الشام بعد زوال دولة بنى أيوب اثر دخول التتار دمشق فى أيام ملكهم هولاكو . وقد أسهم الى جانب السلطان سيف الدين قطز فى كسر التتار فى معركة عين جالوت المشهورة سنة ٦٥٨هـ ١٢٥٩ م وقضى معظم حياته في محاربة الفرنج وتحرير أجزاء هامة من الوطن العربى من أيديهم ، وخلد اسمه على أكثر من حصن وقلعة ومدينة . وتوفى هو أيضا فى قلعة دمشق كأسلافه العظماء . ثم نقل تابوته ليدفن فى المدرسة الظاهرية . تعد هذه المدرسة من روائع العمارة فى العهد المملوكى ،

وأجمل ما فيها بوابتهـا ذات المقرنصـات الحجرية الرائعـة ، وتربة السلطان التى يأخذ بالألباب حسنها وبهاؤها . فلقـد كسيت جدرانهـا بالرخام الملون وبالنقوش والفسيفساء الزجاجية الشبيهة بفسيفساء الجامع الأموى وبأشرطة الكتابات المذهبة ، وأهم من ذلك كله محرابها الذى يعد من أجمل ما أنتجه الفن الأسـلامى من المحـاريب (الصـورة ـ ٨ ـ) ، وتضم التربة قبر الظاهر ، وهو تابوت بسيط من الحجر والى جانبه قبر ابنه بركة خان .

التكية السليمانية فى دمشق :

يشاهد الداخل الى دمشق من بيروت والى جـوار المتحف الوطني مجموعة عمرانية فخمة تقوم على ضفاف بردى تتميز بقبابها الكثيرة المنتظمة كالعقـد حول قبة رئيسية كبيرة ، يحف بها مئذنتان ممشوقتان ترتفعان فى السماء . وقد امتزج فى هذه البقعة من دمشق جمال العمـارة بجمال الطبيعة الحيـة ، فغدت أجمل بقاع دمشق وأكثرها جاذبيـة (الصـورة ـ ٩ ـ) . وتشتمل هذه المجموعة على تكية ومدرسـة متجاورتين بنيتا في عهـد السلطان سـليم القانونى ابن السلطان سـليم الأول فاتح البـلاد العربيـة وفق فن العمارة العثمانى الذى سـاد فى استامبول عاصـمة الأمبراطورية العثمانيـة . بدىء بأعمار التكية سـنة ٩٦٢هـ ـ ١٥٥٤ م وانتهى فى عام ٩٦٧ هـ . وتشتمل التكية على جامع يتألف من قاعة مربعة تعلوها قبة كبيرة وأمامها رواق على أعمدة مسقوف بقباب صغيرة ، وعلى جانبيـه ترتفع مئذنتـان أسـطوانيتان تنتهيان بمخروط من الرصاص . وأمام الجامع باحة سـماوية تحيط بهـا الحدائق وتتوسطها بحيرة مستطيلة . ويقابل الجامع فى الجهـة الشمالية مجموعة من الأبنية تحتوى على مطبخ ومستودعات وقاعات للطعام وعلى الجـانبين الشرقى والغربى مجموعة من الغرف الصـغيرة يتقدمهـا رواق على أعمـدة ، مسقوف بسلسلة من القباب الصغيرة . ويحيـط بالجميع سـور التكية ، وهو مزود بثلاثة أبواب .

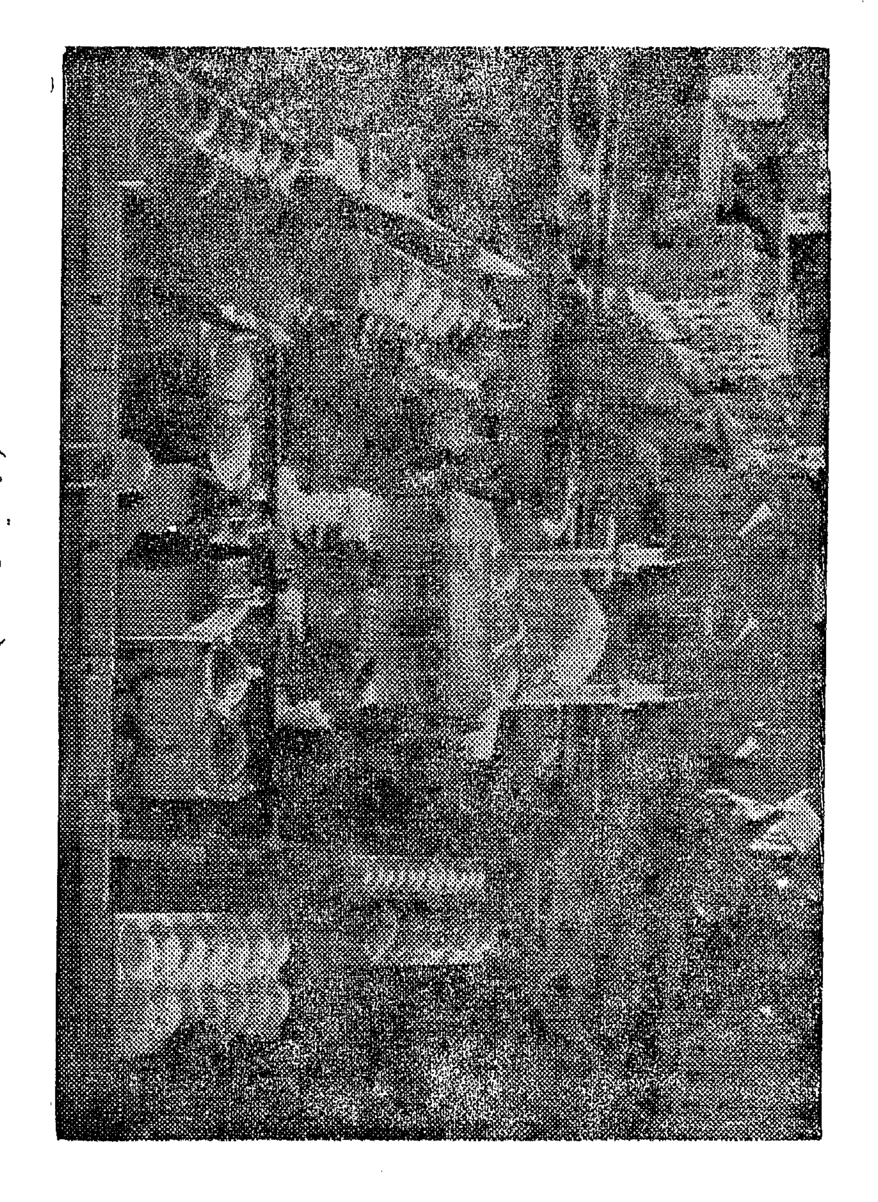
أما المدرسة فقد بنيت فى عام ٩٧٤هـ ـ ١٥٦٦م وفق مخطط شبيه بمخطط التكية ، بل هى صورة مصغرة عنها .



(صورة رقم ٧)
تابوت خشبى ثمين على قبر السلطان صـــلاح الدين الأيوبى فى دمشـــق
(القرن الثانى عشر الميلادى)



(صورة رقم ٨)
محراب من الرخام الملون فى تربة السلطان الظاهر بيبرس فى دمشق
(القرن الثالث عشر)



(صورة رقم ٩)

التكية السليمانية في دمشق (القرن السادس عشر)

وبالرغم من طابع البساطة المسيطر على هـذه المجمـوعة المعمـارية فان المتأمل لها يحس بانشراح ومتعة مبعثهما ما تتحلى به من أناقة وانسجام فى الخطوط وكذلك من تناوب ألوان مداميك جامعهـا وحجارة قناطـرها ، وفى توزع ألواح الخزف الملون (القاشانى) فوق سـواكف أبواب قاعاتهـا . وتكاد العناية بالزخرفة تنحصر فى جامعها الذى يحتوى على عناصر زخرفية عديدة ، نشاهدها فى مقرنصاته الرائعة وفى الفسيفساء الرخامية التى تزين المحراب وفى نوافذ الجص المطعمة بالزجاج الملون الموزعة في أطراف القبة ، الى غير ذالك من أنواع الزينة والزخرفة .

قصر العظم فى دمشق :

شيده والى دمشق العثمانى أسعد باشا العظم سنة ١١٦٣هـ - ١٧٥٠ م. ويقع فى قلب المدينة القديمة الى الجنوب من الجامع الأموى ، بينه وبين سوق البزورية الشهير .

يروى المؤرخون المعاصرون بأن الوالى أسعد باشا أنفق على بناء القصر الأموال الطائلة وحشد له الصناع وأرباب الحرف ، وانتقى له مواد البناء من أخشاب وعمد ورخام وقاشانى وفسـاقى من مختلف الدور والمبـانى القديمة في دمشق .

ويمثل هذا القصر المسكن العربى الدمشقى ، المتميز بالبساطة والتقشف فى المظهر الخـارجى ، مع البـذخ فى الزخرفـة والتجميـل فى الداخـل (الصورة - ١٠ -) .

يتـألف القصر من عدة أقسـام وأجنحة (المصور - ٩ -) . الجنـاح الرئيسى فيــه هو جناح الأسرة أو مايعرف بالعصر التركى (الحرملك) ثم الجناح الخاص بالضيوف (السلملك)، وفى ركن من أركان القصر جنـاح ثالث صغير مخصص للخدم والمطبخ . وهناك فى السلملك حمام خاص يعتبر صورة مصغرة عن الحمامات العـامة الموجودة فى المدينة بهندسته وتنظيمـه وتأتى شهرة هذا البناء السياحية ، هو غناه بأنواع الزخرفـة العربيـة والجـو

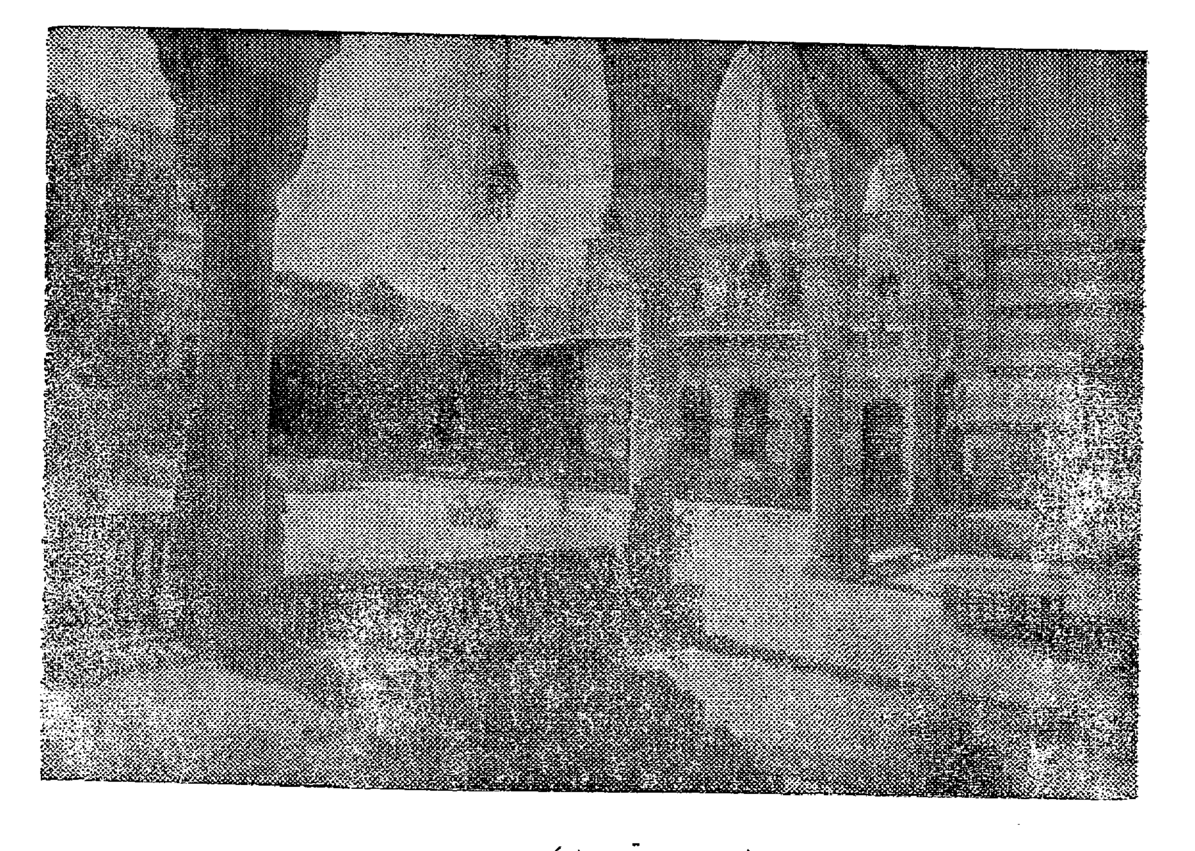
الشرقى الأصيل المتجلى فيه ، يحس كل من زاره بالجاذبية والراحة والهدوء تملك عليه مشاعره فلقد تمازجت فيه العناصر المعمارية والفنون الزخرفية تمازجا منسجما موفقا ، وتمثلت فيه حصيلة ما أبدعته الحضارات التى عرفتها مدينة دمشق . زد على ذلك امتزاج هذه العناصر بالخضرة والمياه التى تضفيها على القصر البحرات والفساقى العديدة وأشجار النسرو الباسقة وشجيرات الليمون والنارنج والكباد وعرائس الورد والياسمين .

اذا وقف الزائر فى باحة القصر حار أين يقلب ناظريه فواجهات القصر وجدرانه مزخرفة من أعلاها الى أسفلها ، من مداميك ملونة بالتناوب ، وأشرطة منقوشة ، وأحجار مرصعة بالفسيفساء ونوافذ مختلفة الأشكال متعددة الزخرفة .

ووجد حول الباحة وحدات معمارية متنوعة ، فهنا ايوان واسع ينفتح على الباحة بقوس بالغ الارتفاع ، وهناك رواق من خمس أقواس تحملها الأعمدة الرشيقة وتبدو الجدران والواجهات متفاوتة فى حجمها وارتفاعاتها لتحول دون الرتابة والملل، من غير اهمال للانسجام والتناسق ، وتضم هذه المجموعات قاعات أرضية للضيوف وحاجات النهار ، فوقها غرف علوية للنوم تطل نوافذها وشبابيكها على باحات القصر وحدائقه ، وتزخر سقوف هذه القاعات وجدرانها بالأخشاب المزخرفة بالرسوم والدهانات الملونة والمقرنصات والمدليات وتكاد لا تخلو عتبة قاعة منها من فسقية جميلة على أرضية من الرخام الملون . وسلسبيل بعد قطعة فنية من صنعته (الصورة رقم -١١-).ولهذا كله لانبالغ أن قلنا أن من يدخله لايمل المقام فيه واستمتاع بتأمل محاسنه .

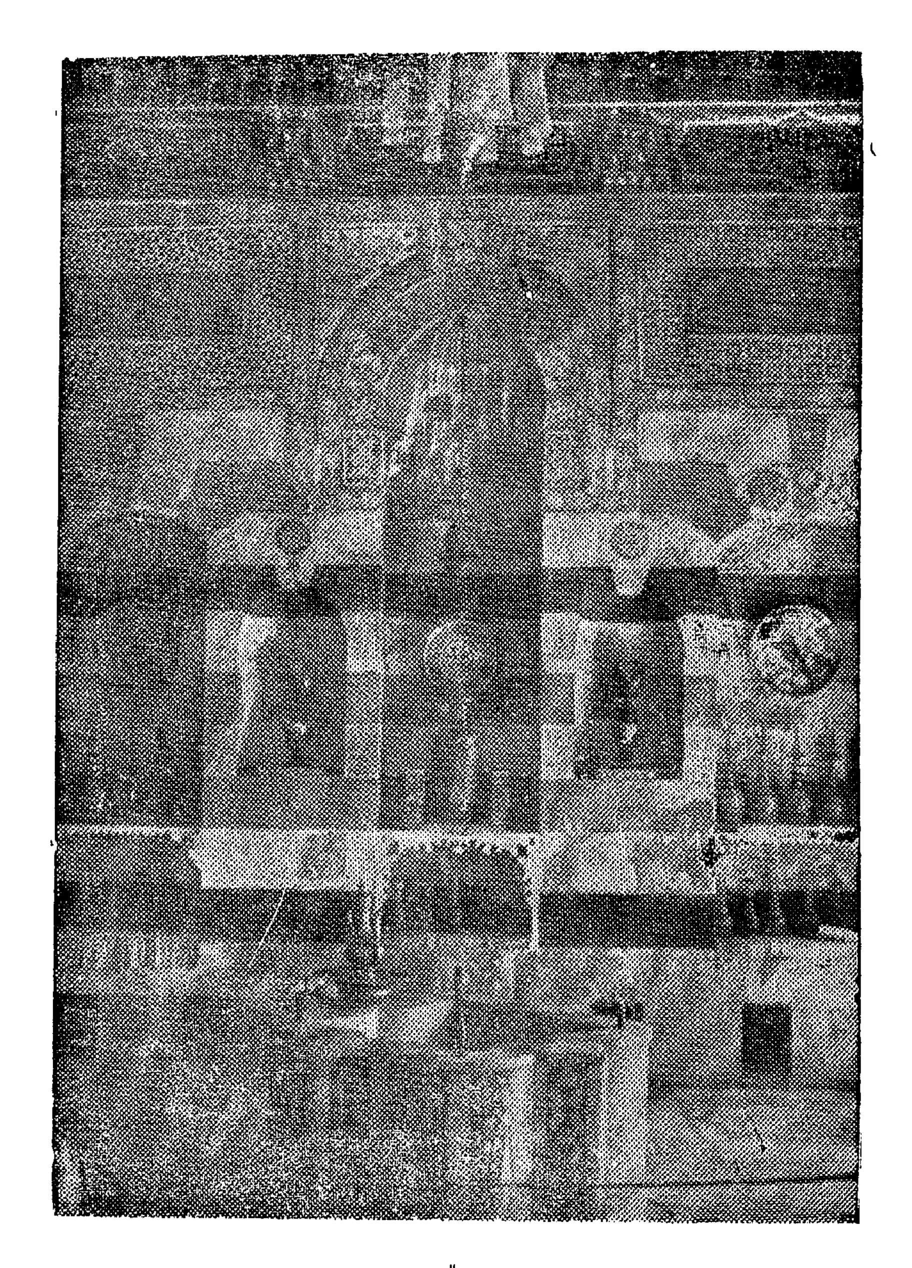
آثار بصرى

لمدينة بصرى شهرة كبيرة فى مضمار السياحة العالمية ، مصدرها مدرجها الرومانى الذى لا يقل أهمية من حيث ضخامته وجمال بنائه عن (الكلولوسيوم) مدرج روما الشهير ،بل يمتاز عنه من ناحية بقائه سليما لم



(صورة رقم ١٠)

قصر العظم بدمشق ـ مشهد من باحة الحرملك (القرن الثامن عشر)



(صورة رقم ١١)
قصر العظم بدمشق ـ مشهد داخل أحد القاعات

تمسه يد التخريب ، بينما تهدمت أكثر مسارح ومدرجات العالم الروماني .
وبصرى اليوم قرية صغيرة من قرى حوران تقع الى الجنوب من دمشق وتبعد عنها مسافة ١٤٠ كم تعيش على أنقاض ماضيها وبين أطلال مدينتها القديمة ، التى تمثل حضارات عديدة ازدهرت على أرضها ، وتقيم الدليل على ما كان لبصرى الأمس من شأن فى التاريخ .

ونذكر من عهودها التاريخية عهدا كان فيه للانباط العرب دوله امتدت بين الحجاز والشام ، وكانت بصرى اهم مدنهم الى جانب عاصمتهم (البتراء) . قاوم الانباط دولة السلوقيين خلفاء الاسكندر في سوريه خلال القرون الثلاثة السابقة للميلاد ومدوا سيادتهم الى دمشق فى بعض الاحيان كما قاوموا الاحتلال الرومانى ، ثم يتمكن الرومان من اخضاعهم والاستيلاء على بصرى حتى جاء عام ١٠٥ للميلاد فاتخذوها عاصمة لولايه واسعة دعوها « بالولاية العربية » وجعلوها مقر فرقة كبيرة من فرق جيش الامبراطورية . وخلال القرن الثانى بنى مدرجها الكبير ، وزاد مركزها كمحطة للقوافل التجارية أهمية حينما ارتبطت بشبكة طرق الامبراطورية الرومانية التى مايزال يشاهد أجزاء منها مرصوفة بالحجارة بين دمشق وبصرى .

ولقد حافظت بصرى على مكانتها فى العهد المسيحى كمركز من مراكز أمراء الغساسنة الذين كانوا يتمتعون فى جنوبى الشام بحكم ذاتى فى ظل دولة الروم البيزنطيين ، وأقيمت فى عهدهم كنائس وأديرة ما زالت آثارها باقية الى اليوم .

وكان العرب قبل الاسلام وبعده يطلقون على بصرى لقب « ميناء الشام والعراق » وكانت قوافل عرب الحجاز وقريش تؤمّها للتجارة في مواسم معينة؛ ظهر فى بعضها الرسول العربى محمد صلى الله عليه وسلم . فقد وصل بصرى مرتين الأولى وهو طفل فى رعاية عمه وكان ما كان من قصته مع الراهب بحيرا الذى ما زال يطلق اسمه على دير قديم فيها ، والثانية وهو شاب قبل البعثة .

وبعد الفتح الاسلامى الذى حدث فى سنة ٦٤٣ م ظلت بصرى موضع عناية المسلمين كمحطة فى طريق الجيوش والقوافل ، شيدوا فيها الجامع العمرى الذى يعتبر من أقدم المساجد التى بنيت فى الشام • وكذلك بنى المسلمون مسجدا آخر تخليدا لذكرى نزول نبيهم الكريم في بصرى ، دعى بمسجد الرسول ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم جامع مبرك الناقة •

وتشتهر بصرى في القرون الوسطى بوقفتها فى وجه الغزوات الصليبية ، كحصن منيع فشل الفرنج أكثر من مرة فى الاستيلاء عليها ، وكان السلاحقة والأيوبيون قد اتخذوا من مدرجها قلعة وأحاطوه بالأسوار والأبراج (الصورة رقم ١٢) وأنشأوا فى المدينة المساجد والمدارس العديدة •

المدرج الروماني :

وفى طليعة ما يجذب الناس لزيارة بصرى المسرح القديم الذى تمتلىء النفوس عند مشاهدته بالدهشة والاعجاب • بنى هذا المسرح أو المدرج في القرن الثانى الميلادى كما يقرر علماء الآثار • واستخدمت فى بنائه حجارة البازلت البركانية الجيدة النحت • ويتألف من ثلاثة أقسام رئيسية :

منصة التمثيل ، ومدرج الجلوس للمشاهدين ، بينهما باحة يطلق عليها « الأوركسترا » لأنها مكان جلوس العازفين • والمنصة على شكل مستطيل أطواله ٥٤ × ١٢ مترا فى صدرها جدار بالغ الارتفاع كان مكسيا بالرخام وتزينه المحاريب والأعمدة الكورانتية • ويمتد خلف المنصة رواق مسقوف (الكواليس) يتصل بالمنصة بأبواب يدخل منها الممثلون • وعلى جانبى المنصة عدة طبقات من المقاصير لجلوس القوم •

أما المدرج ، فهو على شكل نصف دائرة قطرها ٨٨ مترا ؛ تضم ثلاث طبقات من المدرجات بينها ممرات عريضة ذات مداخل تؤدى الى خارج المدرج • ويقال بأن هذه المدرجات التى تعد ستة وثلاثين صفا كانت تتسع لخمسة عشر ألف من المتفرجين • وتتوزع فيها من الأعلى الى الأسفل ستة سلالم هذا وينتهى المدرج فى أعلاه بصف من الأعمدة تحيط بالمدرج • والشىء



(صورة رقم ١٢)
مدرج بصرى وقلعتها

المميز فيه - انه بنى خلافا للمدرجات اليونانية الرومانية - دون أن يعتمد على مرتفع طبيعى • وبذلك أصبح له جدار خلفى نصف دائرى تعتمد عليه الأدراج فتحت فيه سلسلة من ابوابات المعقودة المزودة بسلالم للصعود والنزول ، الى أنحاء المدرج ؛ وهذا مما يساعد على اخلائه - رغم عدد رواده الكثر - فى دقائق معدودات • ولما لم تكن فى ذلك الوقت مكبرات للصوت فقد حل مهندسو المسرح مشكلة الصوت بالاعتماد على الصدى ، بحيث أصبح يسمع صوت الممثلين الى أبعد نقطة من المدرج •

لقد تهدمت غالبية المسارح الرومانية فى العالم ؛ وبقى مدرج بصرى بحالة جيدة كأن لم ينقص منه شىء • ذلك أن العرب المسلمين الذين لم يعيروا فن التمثيل اهتمامهم ، اتخذوا منه حصنا فحال عملهم هذا دون اندثاره • ولقد اكتفوا فى البدء بسد منافذه الكثيرة • وفى القرون الوسطى؛ حينما بدأت الحملات الصليبية تحول الى قلعة حقيقية فأحيط بخندق وسور مزود بثمانية أبراج ضخمة ؛ بنى بعضها في العهد السلجوقي وبعضها الآخر فى العهد الأيوبى ، وبخاصة فى أيام الملك العادل بانى قلعة دمشق•

وبنى فوق الأوركسترا وعلى جانب من المدرجات ، صهريج للماء فوقه طابقان آخران للمستودعات والأقبية وهكذا اختفى المدرج بضعة قرون •

وقد عمدت السلطات الأثرية خلال العشرين السنة الماضية الى هدم الأقبية والأقسام الخربة من التحصينات الأيوبية القائمة فى داخله ؛ فكشفت بذلك كامل أقسام المدرج وظلت القلعة الأيوبية قائمة ممثلة بالسور والأبراج المحيطة بالمدرج •

وليس المدرج والقلعة هما كل شىء فى بصرى بل هنالك أيضا آثار وأطلال أخرى لها أهميتها في مضمار تاريخ الفن والعمارة • ففيها معالم لسور قديم أهم ما فيه بوابته الغربية العملاقة التى تسمى « باب الهوا » يدخل منها كل قادم الى بصرى من ناحية الغرب • وفى قلب المدينة قوس نصر وأعمدة كورانثية متبقية من مبنى السقاية Fontaine •

وهما من العهد الروماني أيضا • وفيها من العهد البيزنطي بقايا كاتدرائية كبيرة وكنيسة دير الراهب بحيرا • ومن العهد الاسلامي يوجد الجامع العمري وجامع مبرك الناقة المار ذكرهما • وجامع فاطمة وجامع الخضر وأكثر هذه المساجد لها مآذن مربعة كالأبراج ونوافذ مزدوجة ، وفيها مدرسة بناها أبو الفداء السلطان الأيوبي الصالح اسماعيل وفيها بركة كبيرة بنيت لتكون خزانا للمياه وجددت في العهد الأيوبي بجدران من الحجارة البارزة النحت وهي على شكل مستطيل أطواله (٢٢٠ × ١٥٠) مترا • تمتلىء بمياه الأمطار فتصبح كالبحيرة الواسعة •

آثار جبــل العــرب :

يوجــد الى الشرق من حوران منطقة جبلية عرفت في القـديم بجبـل عوف وجبل حوران • وقد أطلق عليها في العهد العثماني اسم جبل الدروز ثم سميت حديثا بجبل العرب •

يخترق هذه المنطقة طريق معبد يبدأ من دمشق وينتهي في بصرى مارا من بلدة شهبا ثم السويداء مركز محافظة جبل العرب •

ويستطيع زائر بصرى أن يسلك في ذهابه أو في ايابه هذا الطريق بدلا من الطريق الغربي المار بدرعا ليتمكن من مشاهدة ما تشتهر به هذه المنطقة من أوابد تاريخية وآثار نفيسة ؛ أكثرها من العهد الروماني •

وأهم شيء في منطقة الجبل هـذه آثار بلدة شهبا التي سـماها الرومان « فليبوبوليس » أي مدينــة فيليب الامبراطور العربي الأصـل من أهالي حوران •

الذي يسترعي الاهتمام في شـهبا كونها محتفظة بطابع المدن الرومانية ؛ لم تغيرها المدنية الحديثة كثيرا •

يشـاهد الزائر فيهـا شـوارعها المستقيمة المتقاطعة التي ماتزال مرصوفة ببلاطها القـديم المنحوت من حجر البازالت ؛ وأسـوار المدينـة وأبوابهـا لا سيما البوابتان الشمالية والجنوبية • وكذلك مدرجهـا وحماماتهـا الرومانية وآثار أقنيتها المعلقـة وأعمدة معابدها •

وقد اشتهرت شهبا بفسيفسائها أكثر من أى مدينة أخرى من العهد الرومانى . وقد عثر على العديد منها بين خرائب المدينة ، وهى من مستوى عال من حيث الجمال ودقة الصنعة ؛ وفن التصوير ، وأكثرها تمثل الميتولوجيا والمواضيع الدينية والاجتماعية .

وقد عرضت قطع منها هامة فى متحفى دمشق والسويداء . كما عثر مؤخرا على عدد من اللوحات الجميلة فى أرضيات غرف فى داره (فيلا) مهدومة نجرى كشفها وأقيم عليها متحف صغير؛ لكى يتمكن الزائر من مشاهدتها فى مكانها الأصلى .

وعلى بعد ثلاثة كيلومترات تقريبا من مدينة السويداء توجد قرية قنوات التى تحتفظ كبلدة شهبا بالكثير من معالم المدينة الرومانية القديمة ؛ كقطع من السور القديم وبقايا معابد هامة تزدان بأعمدتها الجميلة وخاصة البناء المعروف « بالسرايا » الذى يضم معبدا رومانيا وكنيسة بيزنطية ؛ ومعبد الشمس ، ومدافن على هيئة الأبراج ومسرح صغير وخزان للمياه وعدد من بيوت السكن التى ما تزال مأهولة بالسكان الى اليوم .

آثار مدينة حلب :

حلب مدينة عريقة ذات تاريخ موغل فى القدم ، له شأن فى تاريخ الحضارات الكبرى . ظهر اسمها فى النصوص التاريخية منذ الألف الثالث قبل الميلاد ؛ فهى اذاً أقدم المدن التى ما تزال الى اليوم حية مزدهرة .

أول ما نعرفه من سكانها هم الأموريون من الشعوب السامية الذين يمتون بصلة الى العرب القدماء ثم عرفت كثيرا من الغزوات التى قادها ملوك الامبراطوريات الكبرى كالحيثيين ملوك الأناضول فى الألف الثانى قبل الميلاد والمصريين الفراعنة فى النصف الأول من الألف الأول ؛ ثم الفرس واليونان والرومان والبيزنطيين . الى أن حررها العرب المسلمون فى فاتحة القرن السابع، وارتبط مصيرها منذ ذلك التاريخ بالحضارة العربية الاسلامية .

ان موقع مدينة حلب وسط منطقة زراعية بالغة الاتساع والغنى؛ وشهرتها التجارية الواسعة ، بسبب موقعها الممتاز على طريق القوافل التى تروح وتغدو

بين بلدان الشرق والغرب ، جعل منها مدينة كبيرة ومركزا من مراكز الحضارة في كل العصـــور . وهي اليوم ثاني مدينة في القطر العربي السوري .

تحتفظ مدينة حلب بآثار معمارية نفيسة غالبها من العهد العربي الاسلامي، وتمثل بخصائصها الممتازة مدارس فنية أصيلة . وفي طليعة أبنيتها التاريخية :

القلعة ، سور المدينة وأبوابها ، الأسواق والخـانات ، الجامع الكبير والمساجد الهامة ، مدرسة الفردوس ، البيمارستان الأرغوني ، المطبخ العجمي (المصور رقم ٣) .

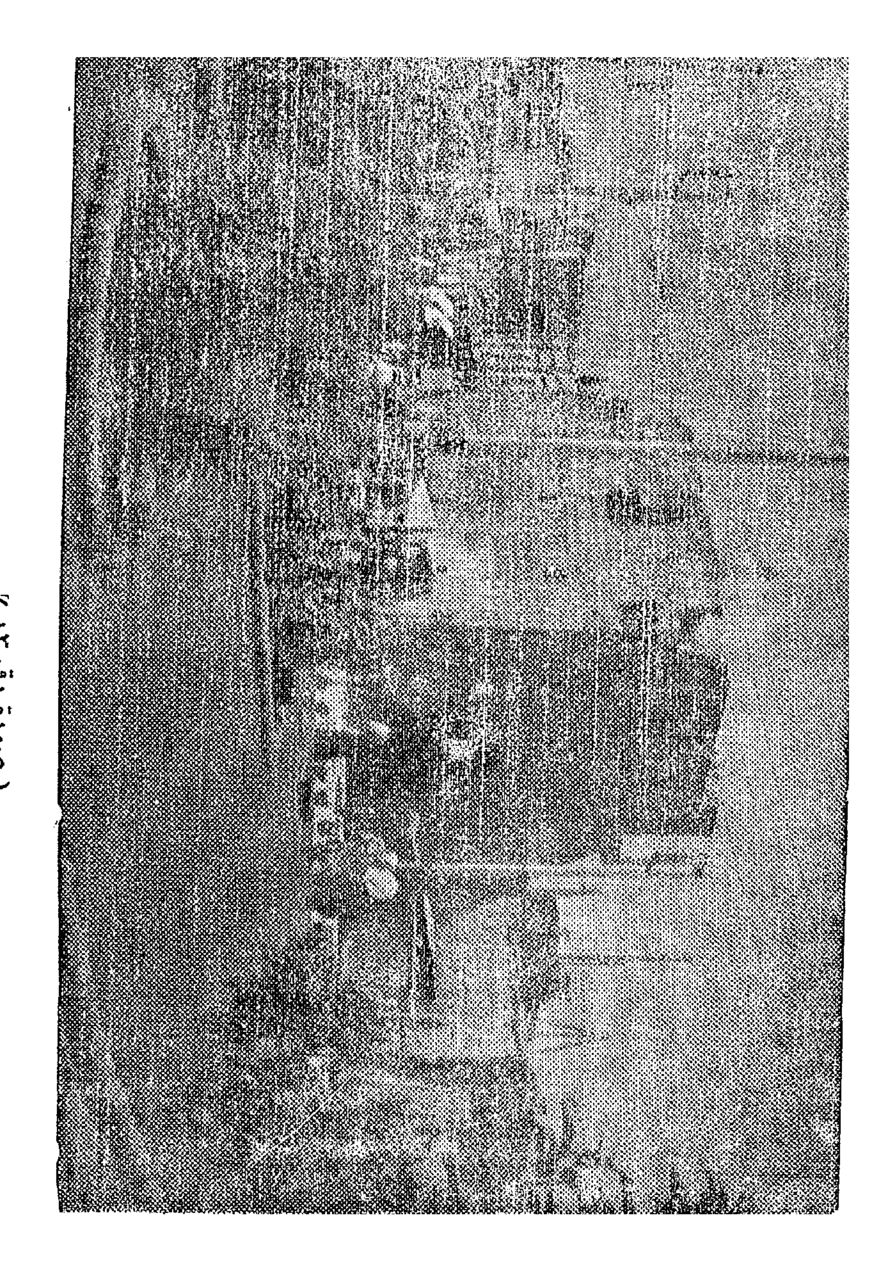
قلعـــة حلب :

تاريخ القلعة يعتبر صدى لتاريخ المدينة العربية ، وهو حافل بأحـداث النضال والمقاومة . تذكرنا قلعـة حلب بأبي عبيدة وخالد وقصة الفتح الخارقة . وتذكرنا بسيف الدولة وحروبه الدائمة مع الروم البيزنطيين ، وبالملك العادل نور الدين ومعارك التحرير التي قادها ضد الفرنج ، وبالظاهر غازي بن صلاح الدين وفضله في تجـديد بناء القلعـة والاجتهـاد في تحصينها طوال ثلاثين عاما ، ولا ننسى وقفة القلعة وصمودها في وجه هولاكو عاهل المغول سنة ١٢٥٩ ، الى غير ذلك من المواقف والذكريات .

شـهدت قلعـة حلب في العهـد الهلنستي فوق مرتفع طبيعي يتوسـط المدينة ، كان في العهود السحيقة مقرا للمدينة القديمة التي تهدمت مع الزمن .

ولكن الأبنية التي نشاهدها الآن ترجع في مجملها الى العهدين الأيوبي والمملوكي ، وأكثرها يعود الى أيام الظاهر غازي ، ثم ترميمات من عهد سلاطين المماليك ، قلاوون وقايتباي وقانصـوه الغوري (الصورة ـ ١٣ ـ) .

وأهم شيء في القلعـة اليـوم خندقها العميق الواسع الذي يبلغ قطره الكبير أكثر من خمسمائة متر وعرضه ست وعشرين مترا ، وسـفح القلعـة المشرف على الخنـدق كان مصـفحا بالحجارة المنحوتة ، ثم المداخل الحصينة التي ما تزال قائمة بحالة جيدة ، وتعتبر من أرقى ما وصـل اليه فن التحصـين العسكري من براعة الهندسة واتقـان البناء . وتتألف هذه المداخل من برج



(صورة رقم ١٢)

قلعة حلب (القرن الثالث عشر)

أمامي في مقدمة الخندق وبرج خلفي في أعلى السفح يصل بينهما جسر مائل فوق الخنـــدق قائم على ثماني قناطر • وكان يتصـل بالبرج الأمامى المذكور بجسر خشبي متحرك •

أما البرج الخلفي فهو برج ضخم رائع البناء مزود بعدة أبواب مفتوحة على محاور متعامدة ، تجبر العدو المهاجم على سـلوك خط سير ملتو تصـادفه خلال اجتيازه كثير من العقبـات والأخطار • ويتصل هـذا البرج من جانبيه بسـور القلعة الأهليلجى الشـكل الذى يتوج قمة التل ، تتخلله أبراج عديدة ، بينها المضلع والمربع والمستدير •

أما في الداخل فمدينة قائمة بذاتها ،كان فيها الأسواق والقصور والحمامات والمساجد والأقبية والصهاريج • ان أهم ما يشاهده الزائر اليوم داخل القلعـة قاعة العرش الواسـعة المبنية في الطابق العلوى لبرج المدخل الكبير المار ذكره وبقـايا القصـور والحمام التـابع له ، والمسـجد الكبـير الأيوبى ، ومسـجد ابراهيم الذى بنى في عهـد نور الدين آل زنكى • والأقبية العميقة التى يطلق على أحـدها اسـم « حبس الدم » وعلى الآخر « الساطورة » •

وللجامع الكبير مأذنة مربعـة ؟ اذا صعد الزائر الى أعلاها بدت أمامه مدينة حلب المترامـية الأطراف ؛ وما يحيط بها من قرى ومزارع ، انه مشهد يحرص على الاستمتاع به أكثر زوار القلعة • (المصور - ٤ -) •

السـور والأبواب :

ماتزال مدينة حلب تحتفظ كأكثر مدن الشرق بجزء من أسوارها الحصينة وعدد من بواباتها الضخمة ، وقد تهدم سـورها مرات خـلال الغزاوت التى اجتاحت المدينـة في أيام الروم والتتار ثم أعيد ترميمه ، وما يشاهد منه اليوم يرجع الى العهدين الأيوبى والمملوكى ، وأهم أبواب السـور الباقيـة : باب النصر - وباب الحديد - وباب انطاكية - وباب قنسرين (الصورة - ١٤ -) •

الأسـواق والخانات :

تمتاز مدينـة حلب أكثر من أية مدينـة في الشرق العربى بأسـواقها القديمة وخاناتها ، التى ما تزال كما كانت في القرون الخالية ؟ وهى أسواق

عالية البناء ، معقــودة بالحجر ، مزودة بسلسلة من المناور تمدها بالنور والشمس ويتخللها قباب ، وتغلق هذه الأسواق بأبواب مصفحة بالحديد ، ويحتفظ بعض دكاكينهــا بأبوابه الخشبية التي تفتـح وتغلق بواسطة الحبال وبطريقة تقليدية قديمة آخذة بالزوال (الصورة — ١٥ —) .

ويتوزع في هذه الأســواق عديد من الخــانات ما تزال تؤدي وظيفتهــا التجارية . شيد أكثرها في العهد العثماني لنزول المسافرين والقوافل التجارية ، وان كثرتها لدليل واضح على ازدهار الحركة التجارية في هذه المدينة ونشاطها الصناعي ، وكان الكثير منهــا يخصص بالجاليــات الأجنبيـــة والقناصـــل من الفرنسيين والبنادقة والانجليز ، كخان الجمرك ، وخان الوزير ، وخان البنادقة وخان النحاســين ، وخان الصــابون وغيرها (الصورة — ١٦ —) .

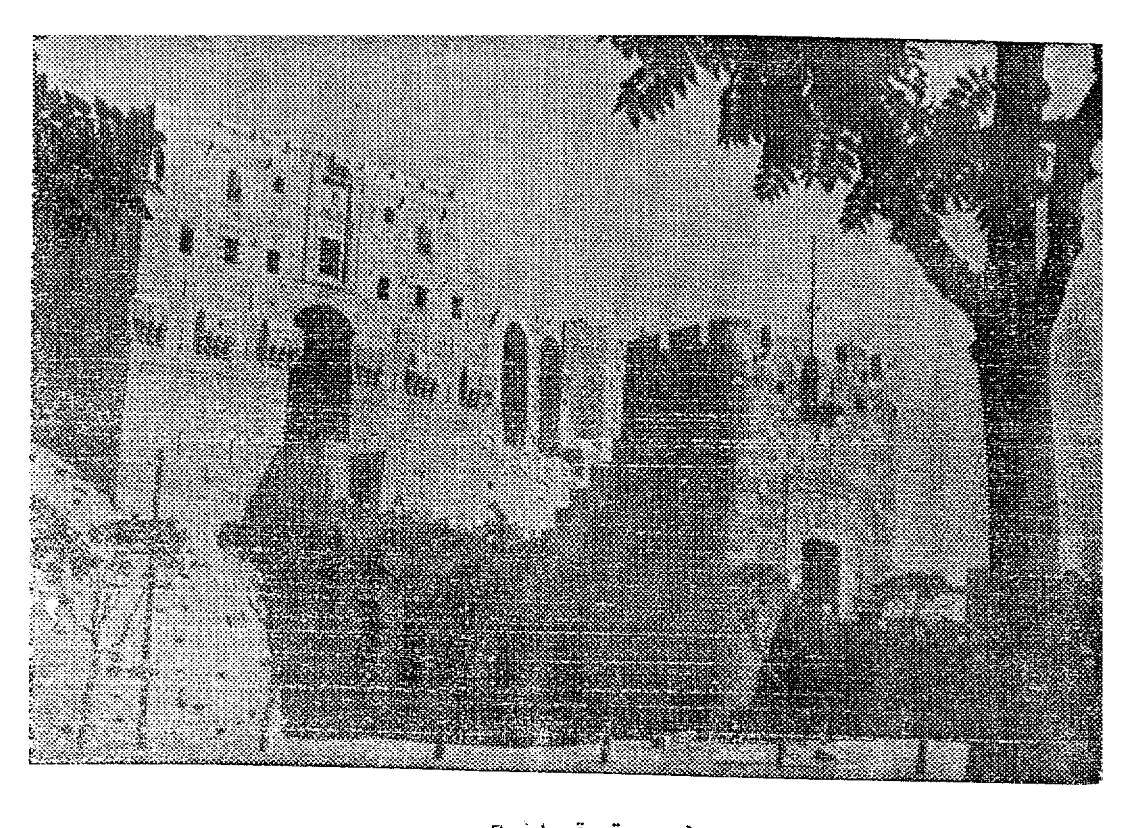
الجـــوامع الهـــامة :

بني جامع حلب الكبير في العهد الأموي على هيئة جامع دمشق في أيام الخليفة سليمان بن عبد الملك ثم تهدم أكثر من مرة ، كانت الأولى حين غزا الامبراطور البيزنطي «نقفور فوكاس» مدينة حلب وخربها في منتصف القرن العاشر الميلادي ؛ في عهد سيف الدولة الحمــداني . والأخـيرة كانت على يد تيمور لنك سنة ١٤٠٠ م . وجدد في العهد المملوكي . وأقدم شيء فيه مأذنته الرائعة ؛ وهي مربعة الشكل شــيدت في عام ١٠٩٠ م ويشتهر أيضا بمنبره الخشبي المصنوع من خشب الأبنوس المطعم بالعاج ، صنع في أيام الســلطان النــاصر بن قلاوون في مطلع القــرن الرابع عشر .

وفي حلب كثير من المساجد أهمها جامع الأطروش الغني بواجهاته المبنية بالحجر المنحوت وهو من العهد المملوكي ثم جامــع الخسروية وجامع العــادية والبهرمية وهي من العهد العثماني ، في القرن الســادس عشر ، تمثــل فن العمارة العثماني بقبابها الكبيرة وقبيباتها والقاشاني الذي يزين جدرانها .

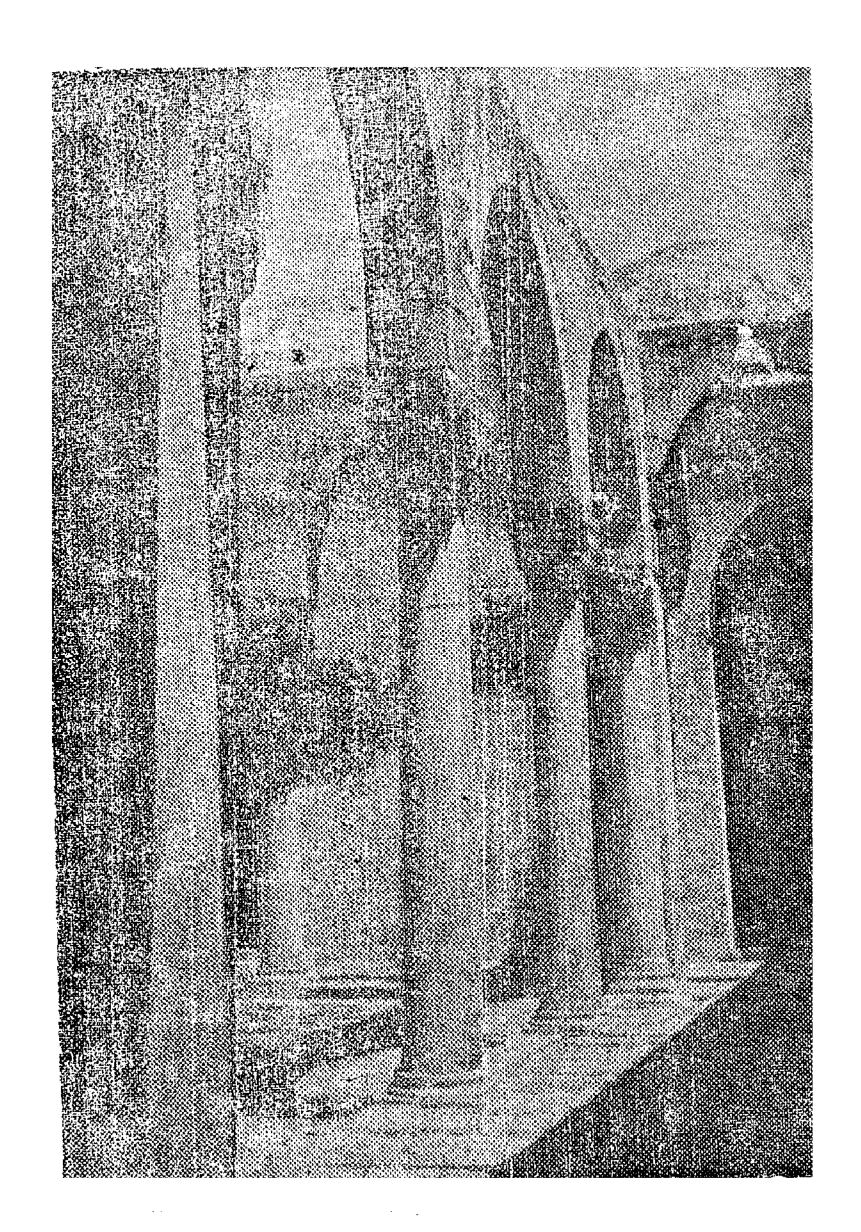
مدرســـة الفردوس :

وهي من أجمل المبــاني التي تمثل فن العمارة في العهد الأيوبي (الصورة — ١٧ —) . بنتها ضيفة خاتون زوجة السلطان الظــاهر غازي ســـنة ١٢٣٥

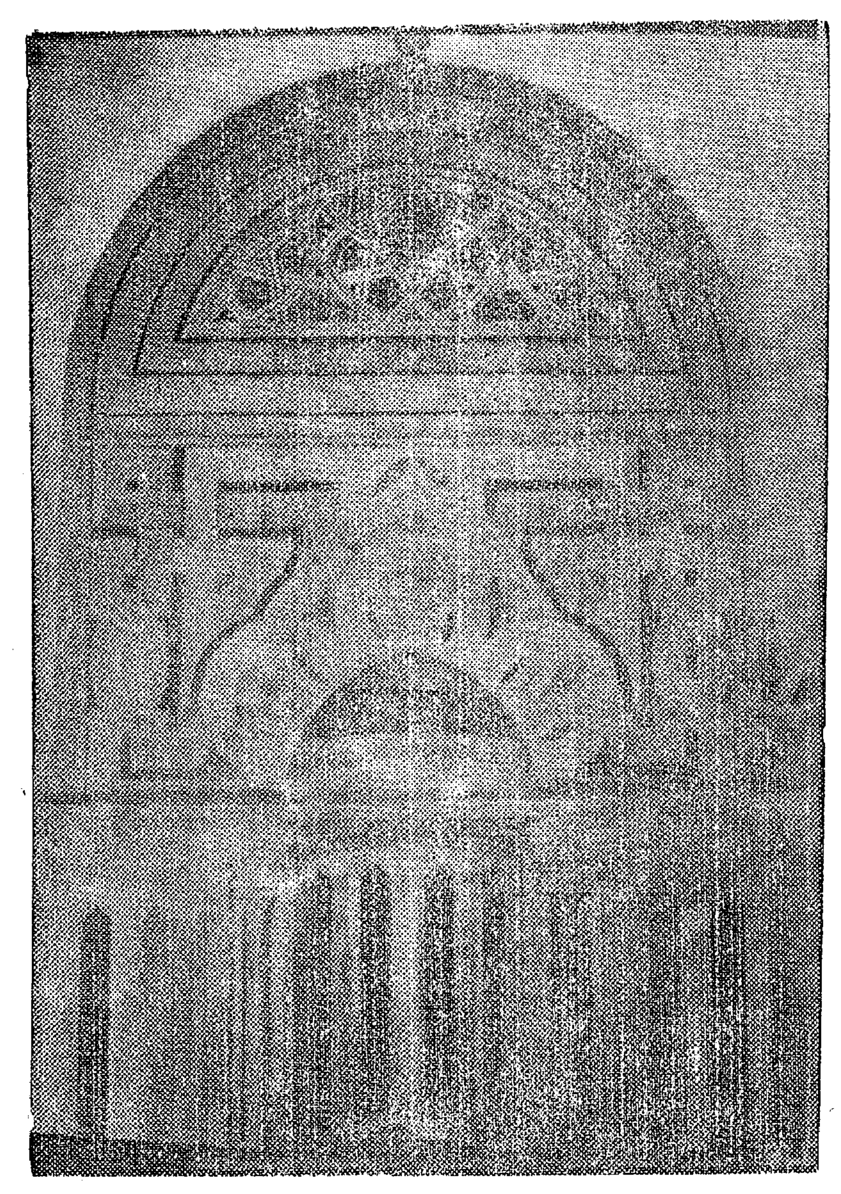


(صورة رقم [illegible])

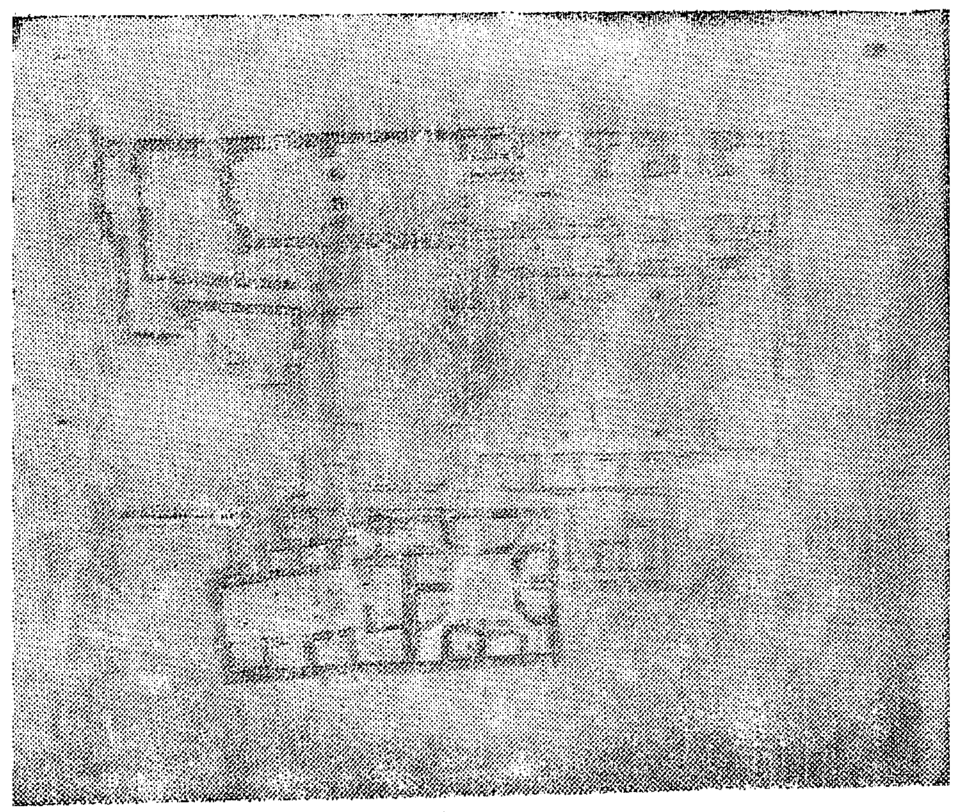
باب الحديد فى سور مدينة حلب (العهد المملوكى)



(صورة رقم ١٥)
حلب ـ أحد أروقة مدرسة الفردوس (القـرن الثالث عشر)



(صورة رقم ١)
واجهة خان الوزير فى حلب - من العهد المملوكى



(صورة رقم ١٧)
مخطط البيمارستان الأرغوني في حلب من العهد المملوكي

وتشتهر بهندستها الرائعة وفيها محراب جميل تزينه زخارف هندسية متداخلة (الصورة - ١٨ -) •

المطبخ العجمي :

قصر قديم من القرن الثاني عشر الميلادي ؛ يقع الى جوار خان الوزير ؛ يعتبر ما بقي منه من روائع العمارة ويمثل بأواوينه ومقرنصات قبته فنا أصيلا توطد في عهد السلاجقة وأتابكتهم •

البيمارستان الارغوني :

لعله أهم البيمارستانات التي ما تزال قائمة في مشرقنا العربي ؛ ويعتبر مثلا كاملا للبيمارستانات التي كانت تقوم مقام المستشفيات في عصرنا ؛ وهو بناء هام من حيث مخططه وفن عمارته ؛ بناه في محلة باب قنسرين نائب السلطنة أرغون شاه سنة ١٣٩٤ • وهناك بيمارستان أقدم منه بني في عهد نور الدين في محلة الجلوم لكنه متهدم بعض الشيء (الصورة - ١٩ -) •

مشهد الحسين :

بناء ضخم من القرن الثالث عشر الميلادي • يقع على سفح جبل الجوشن • ويعتبر من روائع المباني التي خلفها العهد الأيوبي ؛ ويعبر أحسن تعبير عن خصائص المدرسة الحلبية في العمارة وفن النحت •

قلعة سمعان

تقع الى الشمال الغربي من حلب ؛ وتبعد عنها حوالي ستين كيلومترا ؛ وهي على الطريق بينها وبين أنطاكية ؛ الطريق الذي ما تزال تشاهد قطعة منه مرصوفة بالحجارة من عهد الرومان قبيل الوصول الى قلعة سمعان •

ليست قلعة سمعان قلعة بالمعنى الصحيح ؛ بل مركزا دينيا هاما ؛ كان يحج اليه المسيحيون من أنحاء العالم المسيحي للتبرك بالقديس العمودي الذي انقطع عن العالم ليعيش - كما يقال - أربعين عاما فوق عمود من الحجر ؛ ومهما كان حظ هذه الرواية من الصحة ؛ فقد شيدت على ذكراه وفي

مكان عموده فى أواخر القرن الخامس الميلادى واحدة من أضخم كنائس العالم وأجملها وأحيطت بالأديرة والفنادق والأسواق •

وفي القرون الوسطى طغت الحروب بين العرب والروم ؟ فى عهد سيف الدولة وخلفائه على هذا المركز الديني فتحول الى موقع حصين ، وأحيط بالأسوار والأبراج •

بنيت الكنيسة الكبرى في قلعة سمعان على شكل صليب يتوسطه مثمن يحيط بقاعدة عمود القديس سمعان المشهور ، وكان يعلو المثمن المؤلف من ثمانية أقواس محمولة على العمد والدعائم قبة عالية • أما باب الكنيسة الرئيسى فيتألف من ثلاثة عقود كبيرة (الصورة - ٢٠ -) •

وتعتبر أطلال قلعة سمعان من أروع نماذج فن العمارة الذى ازدهر فى العهد البيزنطى وتعبر عن براعة الفنان السورى فى نحت الحجر ونقشه وزخرفته يتجلى ذلك فى تيجان الاعمدة والأطناف وأوراق (الاكانتس) أو الخرشوف التى نحتت مائلة وفق اتجاه الريح •

هذا فضلا عن حجارة البناء المقطوعة من الصخور الكلسية البيضاء والمنحوتة بمهارة تشتهر بها المنطقة الشمالية من سورية بشكل خاص •

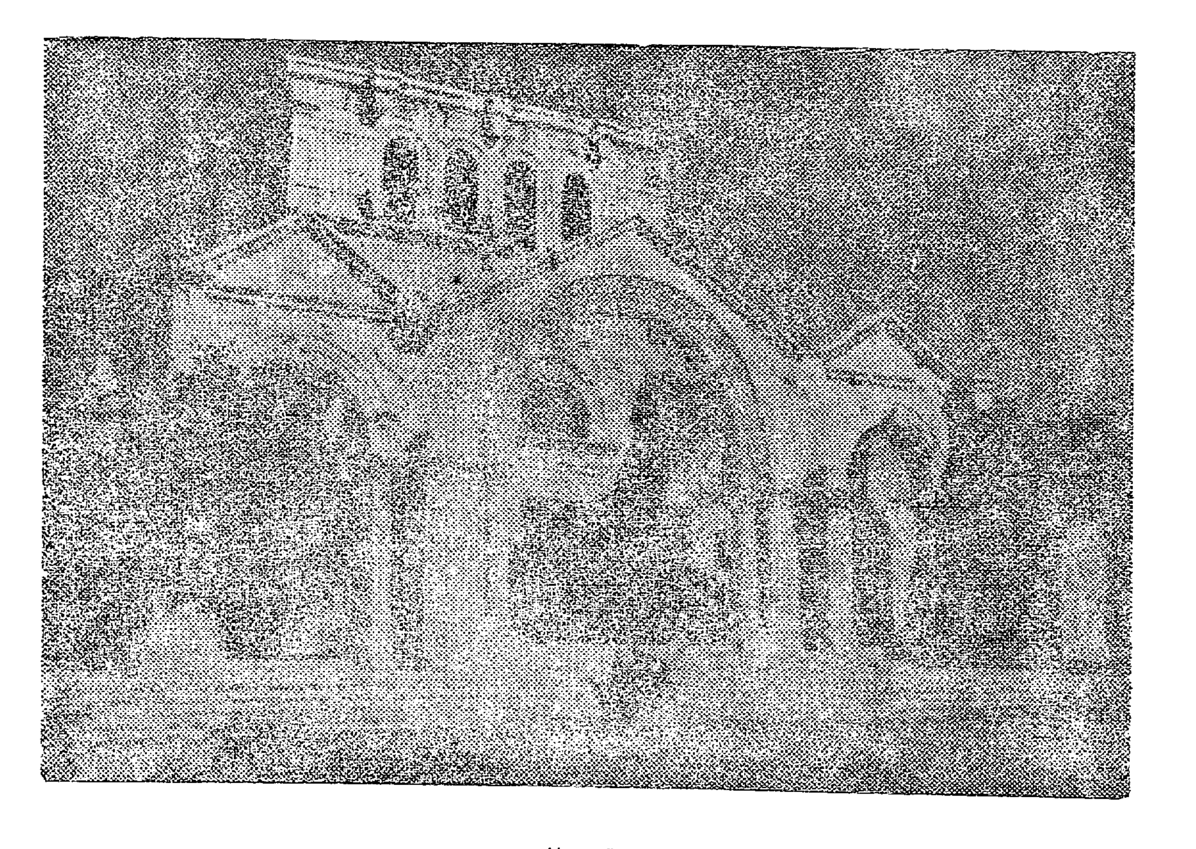
ولا بد هنا من التنويه بالعناية التى توليها السلطات الأثرية السورية لهذا الموقع منذ ربع قرن وحتى اليوم ، من أجل ترميمه وابراز معالمه واعادة ما تساقط من حجارته ؟ حتى أصبح من أشهر المواقع السياحية والأثرية •

أوغاريت (رأس الشمرة) :

أوغاريت المدينة القديمة التى طواها الزمن منذ اثنين وثلاثين قرنا ، اكتشفها العلماء على الساحل السورى فى تل عرف برأس الشمرة ؟ لا يبعد عن البحر أكثر من كيلو متر واحد •بينما يبعد عن اللاذقية مسافة عشرة كيلومترات شمالا •



صورة رقم ١٩
واجهة خان الوزير فى حلب من العهد العثمانى



صورة رقم ٢٠

بوابة كنيسة قلعة سمعان من القرن السادس الميلادى

كانت أوغاريت قبل أن تنطفىء فيها شعلة الحياة ، مدينة مزدهرة ؛ بل عاصمة كثيفة السكان ومركزاً من مراكز الحضارة فى العالم القديم • موقعها على البحر الأبيض المتوسط جعلها نقطة اتصال بين الشرق والغرب؛ وملتقى حضاراتهما وثقافتهما ؛ ونقصد بالشرق يومئذ دول بابل والحيثيين والأموريين والكنعانيين ؛ وبالغرب مصر الفراعنة وقبرص وبلدان بحر ايجة •

بدىء باكتشاف المدينة سنة ١٩٢٨ ؛ وما تزال أعمال التنقيب مستمرة الى اليوم • ففى خريف كل عام تأتى بعثة أثرية من فرنسا على رأسها العالم الكبير الدكتور « شيفر » لتكشف عن مزيد من آثار المدينة المخبوءة ولتحصل على الكثير من المعلومات ، يضيف بهـا هذا العالم مجلدا جديدا من مجلداته التى ألفها عن ماضى هذه المدينة الغابر؛ وعن الحضارة التى ازدهرت فى هـذا الجزء من العالم العربى القديم •

ومن ترجمة مئات النصوص المنقوشة بالخط المسمارى على الألواح الفخارية التى عثر عليها المنقبون بين أنقاض قصورها ومكتباتها ومعابدها ، تمكنوا من كشف الستار عن الكثير من أحوالها السياسية والاقتصادية ؛ وعن حياة سكانها الدينية والاجتماعية •

لقد كتبت هذه الألواح أو الرقم بمختلف لغات العالم القديم ومن أشهرها البابلية ؛ والسومرية ؛ والقبرصية ؛ والحثية ؛ والهيروغليفية المصرية ، والكريتية ؛ والأوغاريتية التى اكتشفها العلماء ككتابة جديدة لم تكن معروفة من قبل • وكانت دهشة العلماء عظيمة حينما تبينوا بعد تحليلها بأنها كانت دون سائر هذه اللغات تعتمد فى كتابتها الى أساس أبجدى ؛ وتتألف من ثلاثين حرفا ؛ بدلا من مئات المقاطع التى تتألف منها الكتابات الأخرى •

وهكذا كان سكان أوغاريت أسبق دول العالم الى ابتكار الأبجدية ؛ وعنهم انتقلت الى الأمم الأخرى فاشتقت منها أبجديات كثير من لغات الشرق والغرب •

ورأى العلماء فى كتابة أوغاريت أيضا ؛ الأصل الأول للكتابة الفينيقية ؛ كما وجدوا بينها وبين اللغة العربية شبها كبيرا من ناحية القواعد والصرف

والمفردات الكثيرة المشتركة ؛ مما جعلهم يقررون بأن شعب أوغاريت هو أحد الشعوب الكنعانية التى خرجت من الجزيرة العربية فى احدى موجات الهجرة التى عرفتها منطقة الهلال الخصيب في العهود القديمة •

منطقة الهلال الخصيب فى العهود القديمة :

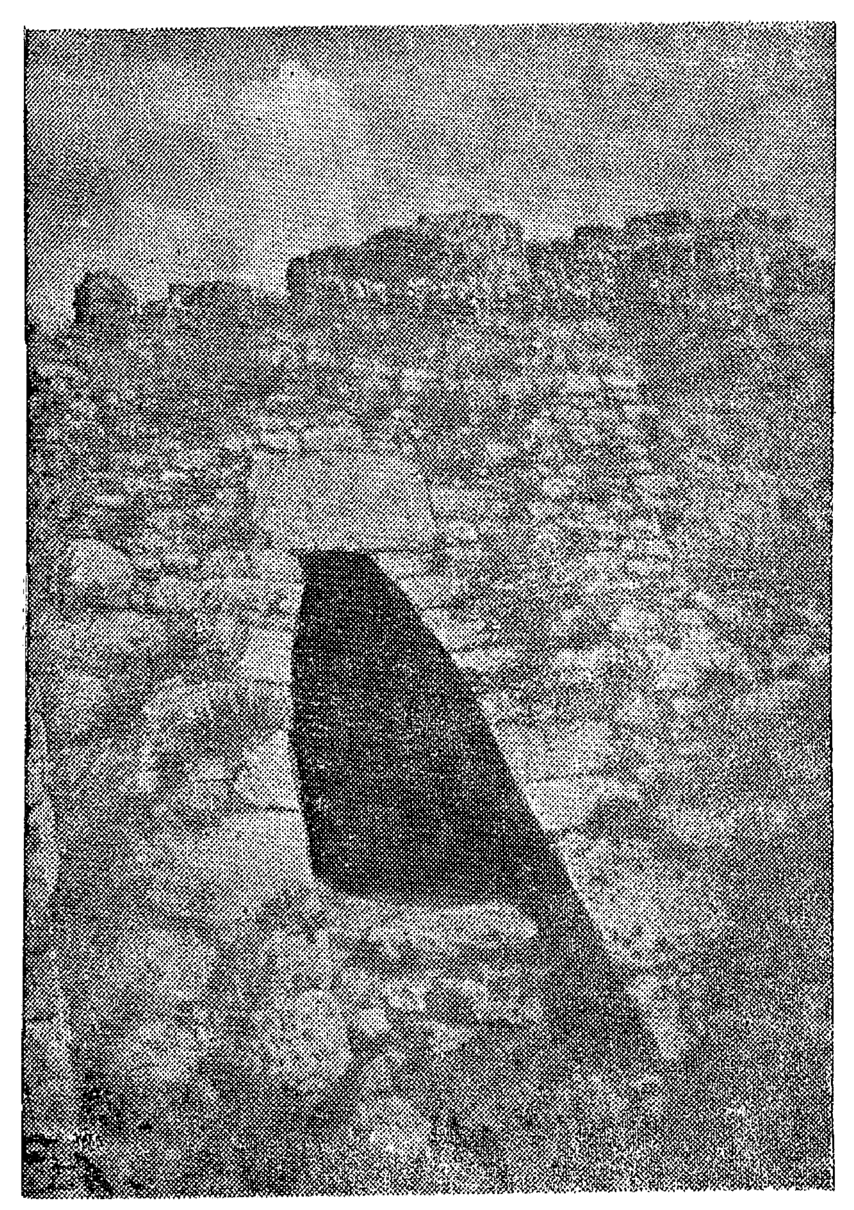
تجتذب أوغاريت السياح من أنحاء العالم ليشاهدوا فيها آثار مدينة سبقت فى قدمها عمائر اليونان بعشرة قرون • انهم يشاهدون أطلال مدينة بنيت بالحجر المنحوت وأحيطت بسور له باب حصين (الصورة - ٢١ -) يليه قصر ملكى واسع ؛ يزيد عدد غرفه وقاعاته على السبعين ؛ وتتخلله باحات مبلطة ؛ فى بعضها صهريج أو بركة مستطيلة • فاذا توغلنا داخل المدينة مجتازين شوارعها الضيقة ؛ طالعتنا بيوت الأمراء القريبة من القصر الملكى ؛ ثم الأحياء الأخرى الأقل أهمية • وفى قلب المدينة مرتفع عثر فيه على بقايا معبدين ، ويلفت انتباهنا ونحن نتجول بين المساكن والشوارع أقنية الماء وأنابيب من الفخار وبقايا أدراج كانت تؤدى الى الطوابق العليا المتهدمة ؛ ومدافن تحت أرض البيوت مبنية بالحجر وفى غاية الاتقان •

أما الكنوز الأثرية والأدوات وقطع العاج والذهب والبرونز والرقم والأختام فتشاهد معروضة فى متاحف دمشق وحلب وباريس •

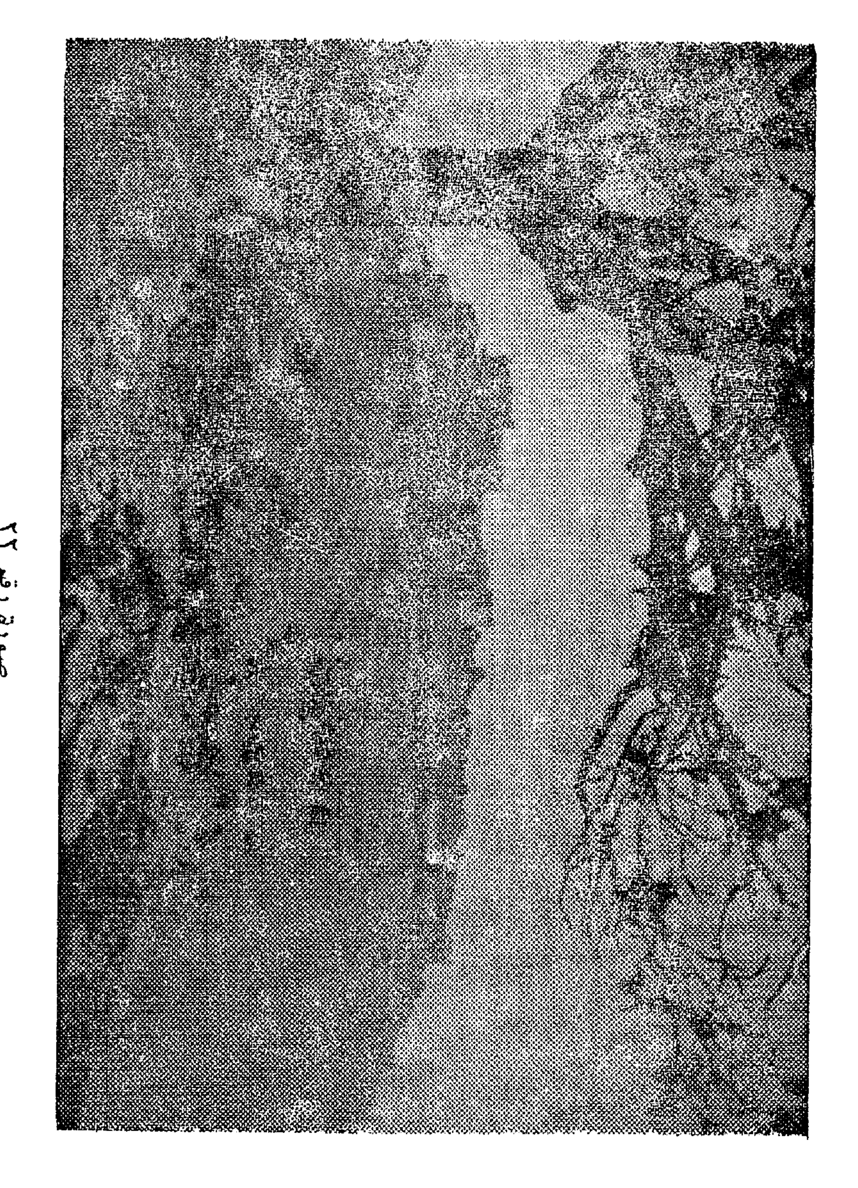
الحصون والقلاع الهامة فى المنطقة الساحلية :

بالاضافة الى القلاع التى لا تخلو منها مدينة من المدن القديمة فى سورية؛ كقلعتى دمشق وحلب اللتين تحدثنا عنهما ؛ نجد الكثير من الحصون والقلاع منتشرة فى طول البلاد وعرضها •

واذا استثنينا عدة قلاع بناها البيزنطيون قبل الاسلام أو التى شيدها الفرنج فى فترة الاحتلال الصليبى ، فان أغلب هذه القلاع بناها العرب وفق فنونهم فى التحصين والعمارة • وظهرت على مسرح الأحداث بشكل خاص في القرون الوسطى الاسلامية ، أيام الأيوبيين والمماليك • وشهدت الفترة العصيبة من تاريخ البلاد ؛ فترة الغزو الخارجى الذى دام طوال أربعة قرون، قام به الصليبيون من الغرب والتتار من الشرق •

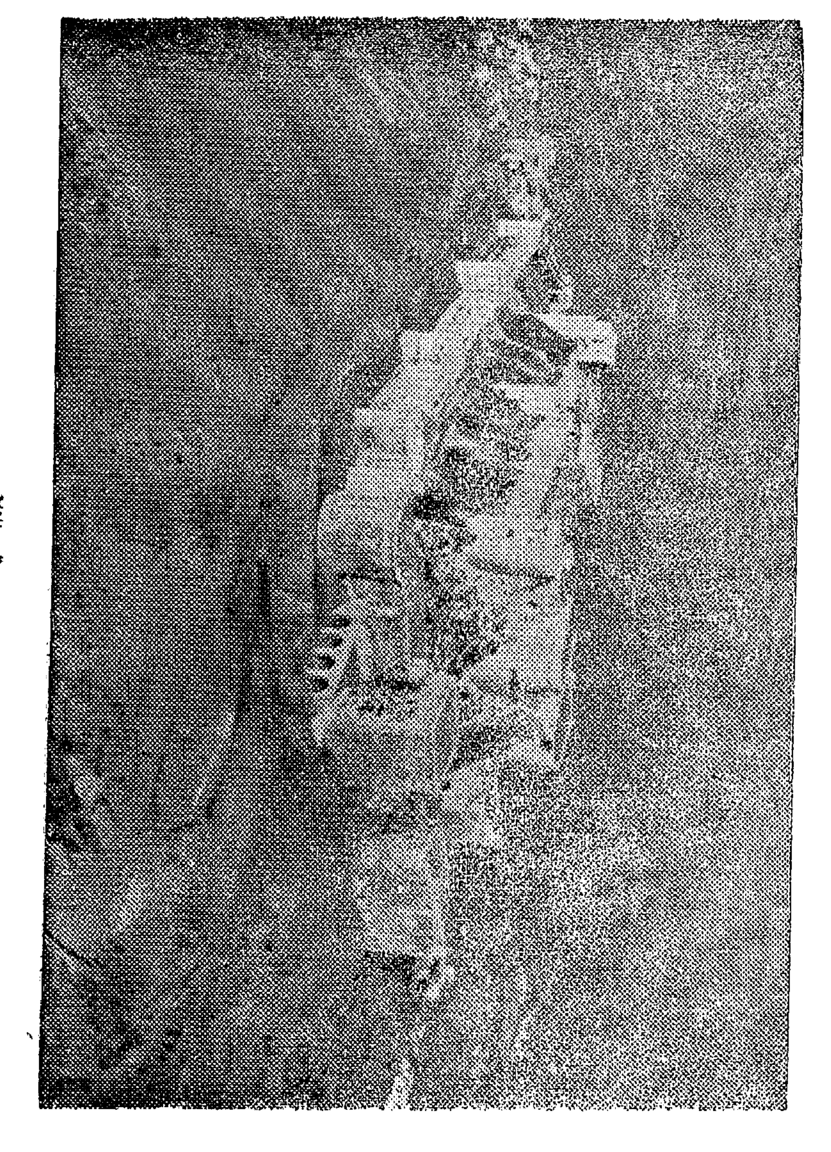


صورة رقم ٢١
بوابة مدينة اوغاريت (رأس الشمرة) القرن الخامس عشر قبل الميلاد



صورة رقم ٢٢

قلعة صلاح الدين (القرن الثاني عشر)



صورة رقم ٢٣

قلعة الحصن (القرن الثاني عشر)

وخاضت قلاعنا هذه معركة البقاء ،فدمر بعضها وتحول الى أطلال وخرائب؛ وبقى بعضها الآخر قائما بين ظهرانينا الى اليوم • نذكر من هذه القلاع ، ثلاثا على ضفاف الفرات هى قلعة الرحبة ؛ وقلعة جعبر وقلعة نجم ، وهى من عهد السلاجقة ولكن الأخيرة منها جددها بعد ذلك الظاهر غازى بن صلاح الدين ملك حلب •

وهناك فى الداخل ؛ على وادى العاصى ، توجد قلعة الضيق ، وقلعة شيزر ، حصنان قديمان فتحهما العرب المسلمون ؛ ولكن بناءهما الحالى يرجع الى العهد الأيوبى •

وفى الجنوب نجد سلسلة من القلاع تمتد من الشرق الى الغرب ؛ كقلعة صلخد وقلعة بصرى وقلعة الصبيبة (عند بانياس الجنوبية) ، وكلها يغلب عليها فن العمارة الأيوبية •

وفى الساحل السورى خط دفاعي يمتد من الشمال الى الجنوب يتألف من مجموعة من الحصون والقلاع المتناثرة على ذرا الجبال ، بعضها يطل على البحر مباشرة ؛ وبعضها يقوم في الداخل قليلا ومن أهمها قلعة صلاح الدين وقلعة المرقب ، وجزيرة أرواد ، وقلعة الحصن ؛ وقلعة مصياف وحصن صافيتا •

ومن غير الممكن في هذا العرض الموجز التحدث عن كل هذه القلاع ، بل سنكتفى بالحديث عن ثلاث منها ؛ هى : قلعة صلاح الدين ، وقلعة الحصن ؛ وقلعة المرقب ، لأنها أكبر القلاع جميعها ، وأكثرها شهرة سياحية ، وأهمية من الناحيتين المعمارية والتاريخية •

قلعة صلاح الدين :

تقع الى الشرق من اللاذقية على مسافة تقارب الخمسين كيلومترا • وقد نسبت حديثا الى البطل صلاح الدين ، بسبب ما كان له من فضل تحريرها ، أما اسمها القديم فهو «قلعة صهيون» وهذا الاسم لا صلة له بما للكلمة من معنى ظاهر • وأول ظهور هذه القلعة على مسرح الأحداث فى التاريخ العربى؛كان في منتصف القرن العاشر الميلادى ، حين وضع يده

عليها سيف الدولة الحمداني أمير حلب . وفي أواخر هذا القرن ؛ احتلها الروم البيزنطيون خلال غزو الأمبراطور – « نزيميكس » لسورية . وبعد سنوات من بدء الحملات الصليبية ، تمكن الفرنج من احتلالها . وكان ذلك في حوالي عام ١١١٥ م . وبقيت بأيدي الصليبيين الى أن حررها السلطان صلاح الدين .

ففي تموز من عام ١١٨٨ ؛ تمكن جيش صلاح الدين وابنه الظاهر غازي من احتلالها ؛ « بعد حصار جريء استخدمت فيه المنجنيقات ؛ التي ما تزال قذائفها من الكرات الحجرية البالغ وزن بعضها ثلاثمائة كيلو غراما ؛ تشاهد في أنحاء من القلعة .

وقد رممها الأيوبيون وأقاموا فيها حامية عسكرية . وعنى بها بعدهم أمراؤها في عهد دولة المماليك ؛ فزادوها تحصينا وعمرانا .

ويشاهد الزائر اليوم أسوارا و أبراجا وخنادق بعضها من صنع البيزنطيين وبعضها من بناء الفرنج ، وبعضها الآخر بناه العرب في العهدين الأيوبي والمملوكي . ومن منشآت هذين العهدين أبراج ضخمة وحمام جميل ومسجد بقيت منه مئذنته المربعة .

والشيء الذي تتميز به هذه القلعة ويجذب السياح اليها موقعها الحصين وبقعتها الغنية بالغدران والينابيع والنباتات الكثيفة . وقد شيدت على هضبة تحيط بها الوديان من جهات ثلاث ، ثم عزلها عما حولها خندق عميق نحت في الصخر . ومما يسترعي اعجاب الزوار في هذا الخندق المسلة الحجرية التي تركت في وسطه عند قطع صخور الخندق ، لتستخدم ركيزة قوية للجسر المتحرك الذي يصل القلعة بالهضبة المجاورة (الصورة – ٢٢ –) .

قلعة الحصن :

وهي أهم القلاع الصليبية وأشهرها ، تبعد عن مدينة حمص حوالي ستين كيلو مترا ، يشاهدها المسافر بين حمص وطرابلس متربعة على هضبة عالية ، سنة ١١٦٣ واشتبك مع الفرنج في مترا . ولموقعها هذا قيمة استراتيجية كبيرة ، لأنه يمكنها من مراقبة تحركات الجيوش بين الساحل السوري والبلاد الداخلية ، فمن أبراجها العليا يشاهد ميناء طرابلس ، وكذلك منطقة حمص .

وقلعة الحصن هى احدى القلاع التي شهدت الصراع الطويل بين الصليبية المعتدية وبين العروبة والاسلام كانت حصنا صغيرا للمراقبة حينما وصل الصليبيون لاحتلال المنطقة سنة ١١١٠م قادمين من الساحل بقيادة أمير انطاكية «تانكريد» فعمدوا الى بناء حصن جديد على شاكلة حصونهم في الغرب •

ومكث الفرنج في هذه القلعة مائة واثنين وستين عاما ، كانوا خلالها لا ينفكون عن توسعتها وتطوير قدرتها الدفاعية ، حتى غدت من أمنع قلاعهم وأكملها ، وأصبحت تتسع لحامية تعد أربعة آلاف من الفرسان • وكانوا ينتمون الى جماعة المستشفى (الاسبتالية) •

هاجم نور الدين قلعة الحصن سنة ١١٦٣ م واشتبك مع الفرنج فى معركة دامية في السهل المجاور حيث انقضت عليه جموعهم على حين غرة وقبل أن يتمكن من فرض الحصار على القلعة •

ثم جاء صلاح الدين وتمكن من ضرب الحصار على القلعة فى عام ١١٨٣م ولكنه آثر عدم اضاعة الوقت ، وانصرف عنها ليحرر مدن الساحل السورى بما فيها اللاذقية، وتمكن فى هذه الحملة من فتح قلعة صلاح الدين المار ذكرها •

وأخيرا قدم الظاهر بيبرس سلطان المماليك فى شتاء عام ١٢٧١ م بجيش الشام ومصر فحاصر القلعة وتمكن من نصب المنجنيقات على المرتفعات المجاورة لها من جهة الجنوب ، ذلك أن الوديان السحيقة تحيط بالقلعة من الجهات الأخرى • وتمكن جيش الظاهر ، بعد أيام من القصف المتواصل ، من التسلل الى القلعة ؛ وأخذ يحتل أسوارها وأبوابها ، بابا فى اثر باب وبرجا بعد برج ، الى أن يئس الفرنج من المقاومة ، فاستسلموا ، وسمح لهم الملك الظاهر بالجلاء سالمين مؤمنين باتجاه الساحل ؛ وعاملهم برحمة وكرم كما فعل سلفه صلاح الدين عند فتح القدس •

ثم أمر بترميم ما تهدم ، وشيد فى مكان الأجزاء المهدومة أبراجا أكثر قوة وضخامة تشاهدها فى الجهة الجنوبية من القلعة التى تلقت ضربات المنجنيق ، وطبع القلعة بطابع العروبة والاسلام ؛ بما نقشه على جدرانها وأبراجها من كتابات وآيات قرآنية •

ولقلعة الحصن اليوم ميزات فريدة لا نجدها في غيرها من القلاع ، من حيث ابنيتها ومناعة موقعها ، فهي مثل كامل للتحصينات العسكرية التي سادت في القرون الوسطى ، انها حصن داخل حصن بينهما خندق يمتلىء بالمياه ، سورها الخارجي حصن قائم بذاته ، مزود بعدة أبواب وثلاثة عشر برجا ، تضم قاعات واصطبلات وغرف للحراس (المخطط — ٥ —) .

والحصن الداخلي ، قلعة شبه مستقلة ، لها ثلاثة أبواب مفتوحة على الخندق المحيط بهذا الحصن واحد منها فقط متصل بالسور الخارجي بواسطة ممر طويل ملتو مسقوف ويمتاز الحصن الداخلي هذا بأبراجه العالية ذات الطوابق العديدة وبأسواره السميكة المدعومة من الخارج بالجدران المائلة الملساء .

وفي داخله باحة سماوية تحيط بها في الطابق الأرضي العنابر وقاعة الاجتماعات والمعبد ، والمطعم والفرن ومعاصر الزيت ، وفي الطابق العلوي مهاجع وثكنات تتخللها أسطحة بعضها فوق بعض والقلعة كلها مبنية بعناية واتقان بأحجار جيدة النحت وفق فن معماري أصيل .

قلعة المرقب :

تقع قلعة المرقب بالقرب من ميناء بانياس وتشرف على البحر من أحد مرتفعات سلسلة جبال العلويين من بقعة تكثر فيها الصخور البركانية ويسلك السياح اليها طريقا جبليا يبدأ من بانياس ، طوله حوالى خمسة كيلومترات .

عرفت القلعة كحصن عربي في القرن الحادي عشر الميلادي ، احتله الفرنج في النصف الأول من القرن الثاني عشر . وغدت المرقب اقطاعا تابعا لامارة انطاكية الصليبية . وحينما استولى الظاهر بيبرس على قلعة الحصن وضعفت شوكة الفرنج في المنطقة أعلنت حاميتها من فرسان المستشفى (الاستبالية) الخضوع ورضيت بدفع الجزية لسلطان مصر والشام وظلت كذلك الى أن قاد السلطان قلاوون آخر حملة من حملات التحرير ضد الصليبيين ، ولم يكن قد بقي بأيديهم من المدن والمعاقل سوى عكا وطرابلس والمرقب ، فأخرجهم منها جميعها .



(صورة رقم ٢٤)
قلعة المرقب (القرن الثاني عشر)

وصل السلطان قلاوون الى قلعة المرقب سنة ١٢٨٥ للميلاد ، لمحاصرة القلعة ، فقصفها بالمنجنيقات الضخمة أياما ، فاستسلمت القلعة وأنزلت منها أعلام الصليبيين الذين انسحبوا نهائيا ؛ وركبوا البحر ليعودوا من حيث أتوا منذ قرنين على التقريب .

تمتاز قلعة المرقب بموقعها الحصين الذى تحيط به الوديان الطبيعية وباتساعها الفائق وتعتبر أكبر قلاع الصليبيين جميعها ، فهى أشبه بمدينة حصينة ، يحيط بها سوران تتخللهما أبراج مستديرة أو نصف دائرية ، استخدمت فى بنائها أحجار البازلت السوداء ، وهى على شكل مثلث ، فرضه على القلعة شكل الهضبة وحدودها (الصورة — ٢٤ —).

وهى اليوم قلعة مهجورة ، تهدمت جوانب منها ، لكن أعمال الترميم التى تجريها السلطات الأثرية فيها باستمرار أعادت اليها بعض أهميتها . يؤمها السياح اليوم ليتأملوا أطلالها وضخامة أبنيتها وليمتعوا أنظارهم بالمشاهد الخلابة التى تطل عليها ، فالهضاب الخضر تتدرج منها حتى البحر الذى يمتد أمام أعينهم واسعا خضما بمياهه الزرقاء ، تروح وتغدو فيه ناقلات البترول .

افامية وقلعة المضيق

تقع خرائب أفامية شمالى غربى مدينة حماه ، وتبعد عنها مسافة خمسين كيلو مترا ، وتطل على وادى العاصى وسهل الغاب الشهير ، بناها اليونان قبل الميلاد بثلاثة قرون وسميت وقتئذ « أبامى — APAMEE » على شرف الزوجة الفارسية لبانيها «سلوقس» الأول أحد خلفاء الاسكندر المكدونى .

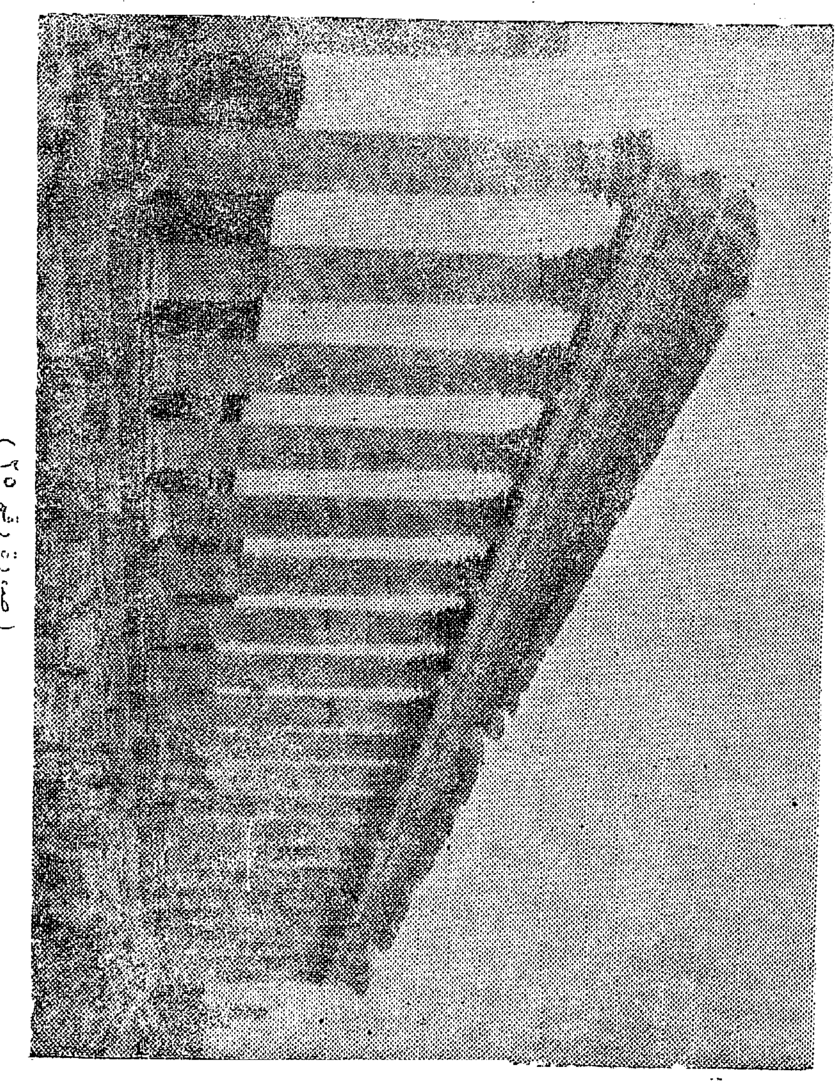
وغدت من أهم مراكز الحضارة الهلنستية فى سورية ، ومركزا هاما من مراكز الجيش السلوقى ثم الرومانى بسبب كثرة المراعى المحيطة بها ، والتى تساعد على تربية أعداد ضخمة من الفيلة والخيل .

وحافظت المدينة على مكانتها فى العهد الرومانى وجرى تجديد بنائها . والى هذا العهد يرجع تاريخ المبانى وأعمدة الشوارع التى نشاهد آثارها بين

الأطلال والخرائب ثم بنيت فيها كنائس مسيحية فى العهد البيزنطى الا أنها تهدمت في أواخر هذا العهد نتيجة لهجمات الفرس ، وكثرة الزلازل وهدمت المدينة شيئا فشيئا • وبقيت قلعتها القائمة على تل مشرف واقع فى الجهة الغربية من المدينة ، الى أن فتحها العرب المسلمون بقيادة أبى عبيدة في مطلع القرن السابع الميلادى وأطلق عليها العرب اسم « حصن أفامية » ثم دعيت حديثا بقلعة المضيق بسبب الممر الضيق الذى تمر منه القوافل بازائها بين البحيرة والجبل •

وفي القرون الوسطى كانت موضع نزاع الفاطميين والحمدانيين والروم ولما بدأت الحروب الصليبية ، احتلها الفرنج سنة ١١٠٦ للميلاد ، وبقيت بأيديهم كحصن أمامى لامارة انطاكية الى أن حررها الملك العادل نور الدين الزنكى سنة ١١٤٩م ثم هدمتها الزلازل العنيفة التى حدثت فى الشام ، في منتصف القرن الثانى عشر فجددها ملك حلب الأيوبى الظاهر غازى ونشاهدها اليوم كمدينة حصينة تكتظ بالسكان ، وماتزال أسوارها وأبراجها العالية بحالة جيدة •

أما مدينة أفامية فقد كانت قبل سنوات قليلة خرائب وأكواما من الحجارة والأعمدة المتناثرة فوق بعضها البعض • كما تركتها الزلازل منذ قرون ، ثم بدأت أعمال التنقيب التى قامت بها بعثة من علماء الآثار البلجيكيين وتولت السلطات الأثرية السورية ترميم أبنيتها وتعزيل شوارعها وتمكنت من نصب ما يقرب من مائة وعشرين عمودا هى عشر ماكان فى شارعها الكبير من الأعمدة ولكنها أضفت على منطقة الأطلال منظراً جذابا لا يقل سحرا عن شارع أذينة وزنوبيا فى تدمر • وكان طول شارعها المستقيم هذا ألف وثمانمائة متر ، يخترقها من الشمال الى الجنوب ويتألف كعادة شوارع المدن الرومانية من طريق مكشوف مبلط يحده من الجانبين رواقات على أعمدة كورانتية تعلوها الجسور والكرانيش المزخرفة وتتخللها المبانى الهامة من معابد وسقايات وتفرعات للطرق وتزينها التماثيل والنقوش • نفذت كلها وفق العمارة الكلاسيكية الأصيلة ، واستخدمت فى نحتها الصخور الكلسية • ويمتاز شارع أفامية هذا بأعمدته المتنوعة الأشكال بينها ذو الأخاديد والحلزونى أو الصقيل (الصورة — ٢٥ —)



(صورة رقم ٢٥)

جانب من أطلال أفامية (القرن الثاني عشر)

فی رکن قصی من هذ الشارع يقع مدرج المدينة الضخم المبنى على سفح جبل ما تزال أكثر مدرجاته ظاهرة للعيان ، والقد عثر لدى التنقيب في بعض المبانى والكنائس على الوحات أرضية من الفسيفساء الرائعة الحافلة بالمشاهد الأسطورية والصور المتنوعة ، كما عثر على رسوم جدارية من نوع الفريسك كانت تزين جدران شارعها الكبير .

النواعير وأقنية الرى فى حماه :

اذا ذكرت مدينة حماه ذكرت نواعيرها . وتكاد تكون المدينة الوحيدة فى العالم التى ما تزال تحتفظ بهذه الوسيلة القديمة من وسائل الرى ، التى تعبر عن جهد الانسان المبذول منذ الأزل ، لاخضاع موارد الطبيعة واستغلالها لمنفعته .

وأهمية النواعير اليوم ، هى فى كونها تحفة فنية ، وعجيبة من العجائب السياحية ، أكثر منها جهازا للرى يؤدى وظيفة حيوية .

فضجيج دورانها المزمجر موسيقى رتيبة محببة ، ومنظر المياه المتساقطة من خلال دورانها كالمطر أو المنسكبة في الأقنية كالشلالات ، مما ترتاح له النفس وتتأمله بمتعة .

هذا ويتصل بكل ناعورة قناة معلقة — Aqueduc — تحمل مياه النهر وتتوغل بها في أزقة المدينة وبساتينها ، على هيئة قناطر متصلة وعضائد ضخمة ، بنيت من الحجر المنحوت .

فالناعورة عبارة عن دولاب خشبى يبلغ قطره من النواعير الكبيرة عشرين مترا ، ويضم اطاره خزانات صغيرة للماء ويجتاز الدولاب من وسطه محور من الحديد يحمل الناعورة ويستند طرفاه على برجين مشيدين بالحجارة المنحوتة . وتسير الناعورة بقوة تيار مياه النهر ، حيث ينغمس جانب منها فى الماء ، ويساعد على ادارة الدولاب وملء خزاناته في الوقت نفسه . وتدور الناعورة فيرتفع هذا الجانب المغموس بالماء الى الأعلى ليفرغ ما حملته الخزانات من المياه في القناة القائمة فى قمة البرج ، بينما تهبط الأقسام الفارغة لتمتلىء بدورها وهكذا .

وتجرى المياه فى قنوات معلقة على قناطر تزيد أو تنقص بحسب المسافة التى يراد نقل المياه اليها •

ولقد كان في مدينة حماه من النواعير بقدر ما فيها من مشاريع للرى والخدمات • فلكل بستان ناعورته، ولكل حى فى المدينة ناعورته ، وللجوامع والمدارس والبيمارستانات نواعيرها الخاصة • وجاء وقت أحصيت فيه هذه النواعير فنافت على المائة ، ولكن هذا العدد تضاءل فى أيامنا هذه بسبب طغيان مشاريع الرى الحديثة واستخدام المضخات والسدود وشبكات المياه المصفاة • ومع ذلك فاننا نشاهد على ضفاف نهر العاصى الذى يجتاز مدينة حماه ما يزيد على عشرة نواعير بعضها فى قلب المدينة وبعضها في بساتينها ، ما تزال تدور ليل نهار •

وأكثر النواعير وأقنيتها وقناطرها التى نشاهدها اليوم ، انما ترجع بتاريخ بنائها الى العهد المملوكى وتحمل تاريخ بنائها أوتجديدها واسم نائب السلطنة الذي شيدت فى عهده وبعضها مجدد في العهد العثمانى •

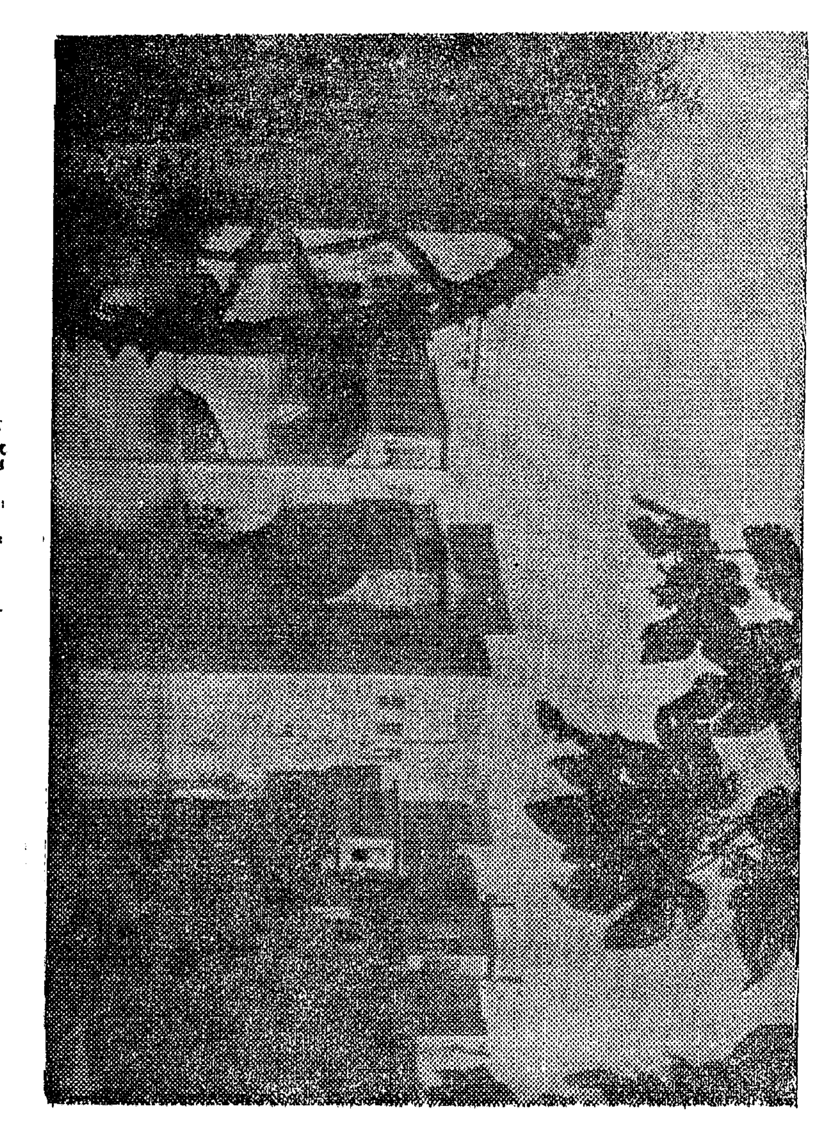
نذكر منها النواعير التالية : المحمدية ، المأمورية ، الجعبرية ، الكيلانية، العثمانية ناعورتا البشريات (عند مقصف المدينة) ، الجسرية (في قلب المدينة)، وغيرها (الصورة ـ ٣٦ ـ) •

قبر أبى العلاء المعرى

المعرة بلدة قديمة صغيرة فى الشمال السورى تقع على الطريق بين حماه وحلب،آثار المعرة التاريخية عديدة ولكن شهرة المعرة الحقيقية تستمدها من شهرة شاعرها الكبير أبى العلاء بن سليمان المعرى ، أحد فلاسفة الحضارة العربية الاسلامية الكبار •

وما تزال معرة النعمان تضم قبر رهين المحبسين هذا ، وهو ضريح منحوت من الحجر عليه شاهدة كتب عليها اسمه بخط كوفى مشجر يرجع الى عهد وفاة أبى العلاء فى القرن الحادى عشر (الميلادى) •

وقد هدم البناء القديم الذى كان عليه سنة ١٩٣٨ وشيد فى مكانه بناء



(صورة رقم ٢٦)

احدى النواعير القائمة على نهر العاصي في مدينة حماه

حديث اتخذ دارا للكتب ومركزا ثقافيا وقد دشن خلال الاحتفال بالمهرجان الألفى الذى أقيم لأبى العلاء في عام ١٩٤٤ وقد أسهم فيه كبار الأدباء في البلدان العربية وفى طليعتهم عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين وعدد من المستشرقين • وفى المعرة أيضا آثار تاريخية عديدة من أهمها جامعها الكبير الذى بنى فى القرن الثانى عشر للميلاد بأمر السلطان نور الدين محمود بن زنكى ، ويشتهر الجامع بمئذنته المبنية على شاكلة مئذنة جامع حلب الأموى • وفيها خانات كبيرة بنيت فى العهد العثمانى لتستقبل قوافل التجار والمسافرين الذين ينزلون المعرة في طريقهم بين حلب ودمشق •

تدمر

تقع فى واحة خصبة في وسط بادية الشام يرويها نبع دافىء وهى محطة هامة ومركز الاتصال على الطريق التجارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام الى الساحل •

سكن الواحة الآراميون (١) فى الألف الأول ق•م • ثم توضع عرب الجزيرة فيها فى القرون السابقة للميلاد، وظلت الموجات العربية تغذى البادية باستمرار ومنطقة تدمر • كانت تدمر حتى القرن الأول ق•م قرية صغيرة ثم أخذت تبدو أهميتها بتشكل طبقة حاكمة عربية واعية عرفت كيف تستفيد من الطريق التجارية ، وعرفت دورها بين الدولتين المتنازعتين (الفرس والرومان) فأخذت المدينة تزدهر بسرعة • وكان أهم دور فى حياتها القرنان الثانى والثالث ب•م والى هذه الفترة تعود الآثار الهامة فيها •

من دراسة الآثار التدمرية نستطيع التعرف على أحوال التدمريين : مستواهم المالى ألبستهم ؛ وعاداتهم وتقاليدهم ، كتاباتهم وثقافتهم وفنهم ••• ويهمنا بصورة

---

(١) ورد اسم تدمر باللفظ نفسه فى النصوص التى وجدت فى مدينة مارى وتعود الى القرن العشرين ق•م وفى نص حثى يعود الى القرن ١٩ ق•م وفى نص آشورى يعود الى القرن ١١ ق•م ويظن أن كلمة (تدمر) لهجة قديمة لكلمة (تمر) وذلك لوجود النخيل فيها بكثرة ، حتى ان الرومان أطلقوا عليها اسم PALMYRA وهو ترجمة لكلمة (التمر)

خاصة هذا الفن الذى يعتمد على أصول الفن الهلنستى الرومانى المتأثر بالروح العربية الشرقية ؛ وربما كان هذا الفن أبرز ما وجد فى بلاد الشام من الفنون المطبوعة بالبيئة المحلية • ويبدو هذا بالتماثيل الجنازية التى وجدت في مدافن تدمر •

اغننت هذه المدينة بسبب سيطرتها على الطريق التجارية التى تمر منها البضائع الشرقية الى الساحل • وبدت آثار هذا الغنى فى عمرانها ومستوى معيشتها • وصار لها نفوذ سياسى الى جانب نفوذها الاقتصادى حتى لقب أميرها الموالى (١) الى الرومان بلقب (متروبول) وهو يعادل لقب (ملك) • (انظر مخطط المدينة) •

أهم الأبنية فى تدمر :

معبد بل : وهو مربع الشكل ضلعه ٢٠٠ م محاط بسور ، ويليه الى الداخل رواق له صفان من الأعمدة التى كانت تحمل رواق المعبد • يتوسط الهيكل (٢) الباحة ، ويرقى اليه بدرجات عريضة مائلة ، ويدخل اليه من بوابة فخمة عالية تطيف به أعمدة عظام (الصورة ٢٨) • يرى فى الهيكل معزبان غنيان بالزخارف الدينية المتأثرة من مواضيع شرقية وغربية •

معبد بعل شمين : كشف (٣) المعبد منذ سنة ١٩٥٤ وكان هيكله ماثلا من قبل وهو بحالة جيدة •

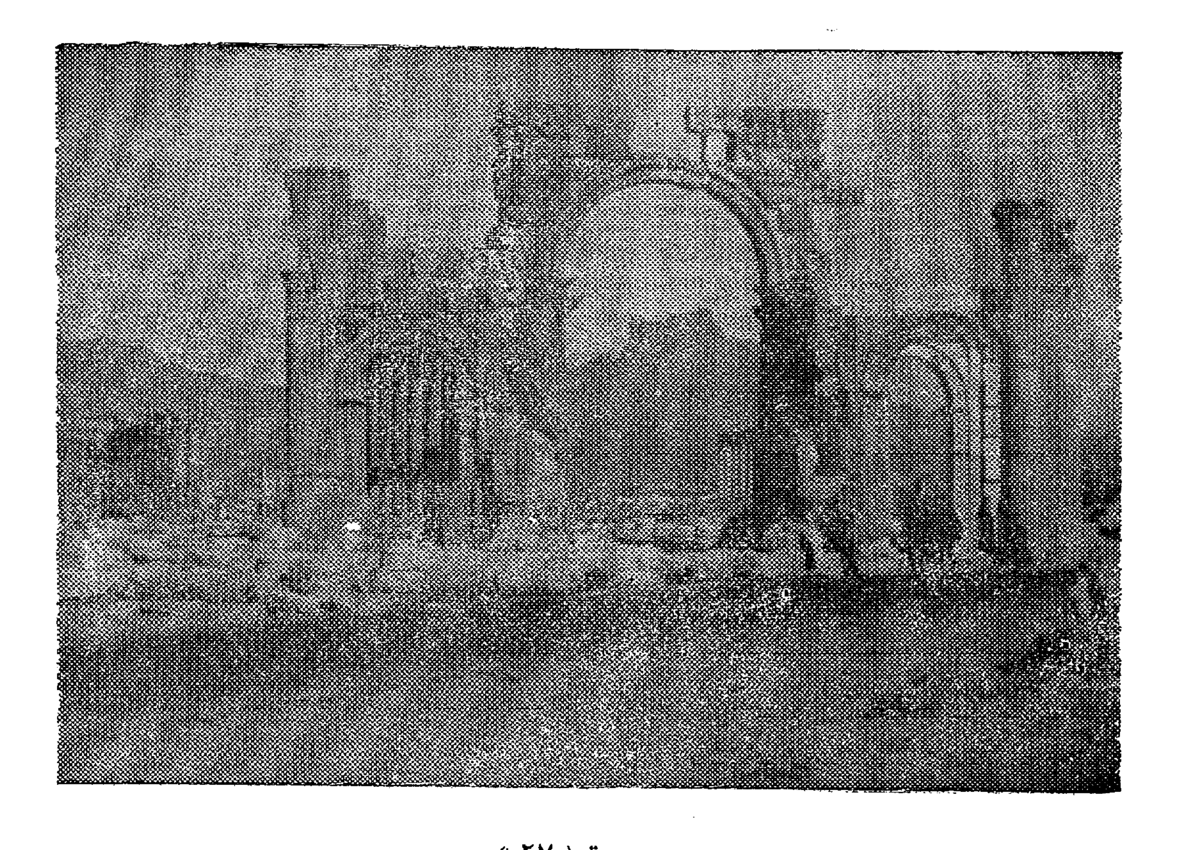
الشارعان الرئيسيان : وهما محفوفان بصفين من العمد السامقة التى كانت تحمل الرواقين الجانبيين ، يتقاطعان فى مفرق حيث كان يقوم العقد المربع (الترابيل)

---

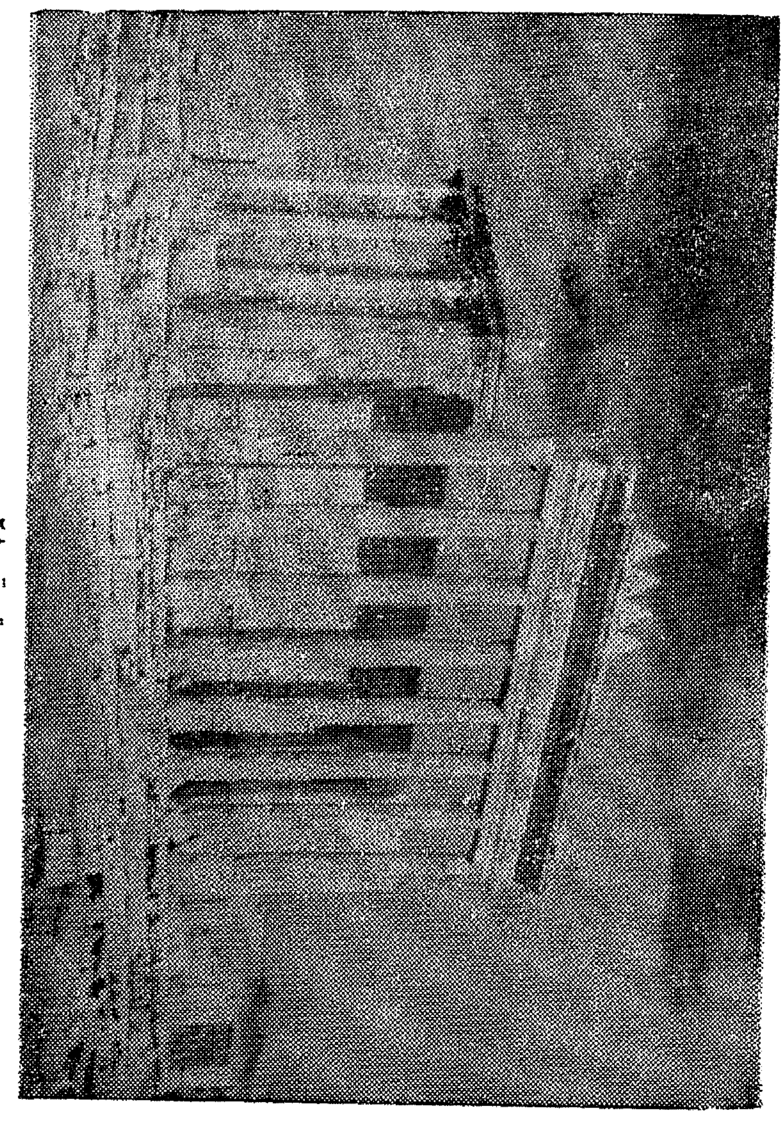
(١) لم يبق الملك مواليا للرومان فقد انقلب (أذينة) عليهم واراد الاستقلال بسورية ، وخلفته امرأته الزباء (زنوبيا) فى اتجاهاته الاستقلالية وذلك فى النصف الثانى من القرن الثالث ب•م •

(٢) الهيكل مكان العبادة فى المعبد

(٣) قامت بعثة سويسرية برئاسة الأستاذ بول كولار بالتنقيب والكشف فى عدة مواسم •



صورة (٢٧)
تدمر : الشارع المستقيم ويبدو (قوس النصر) ومن خلاله
قلعة بن معن قائمة على الجبل



صورة رقم ٢٨

تدمر : معبد بل — الهيكل

التي تظهر أركانه الآن . تتوسط أقواس الظفر هذين الشارعين في نقط انحراف الشارع عن استقامته (الصورة — ٢٧) .

المسرح المدرج : وهو مسرح صغير نسبيا ، الا أن مكان التمثيل واضح المعالم وهو بحالة حسنة جدا . كشف سنة ١٩٥١ .

الميدان (الأغورا) : هو مربع الشكل تقريبا محاط بسور وأروقة من جميع الجوانب . أكثر الأعمدة ذات ركائب (١) Console كان بعضها يحمل تماثيل عظماء تدمر . في هذه الساحة كان يجتمع رجال الشعب ويتباحثون في أمورهم السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ويوجد الى جانبه مجلس الشيوخ حيث تتخذ القرارات الناضجة لصالح الشعب .

القبور الأبراج : تقوم أبراج عالية مربعة الشكل ذات طبقات متعددة كانت مخصصة لدفن الموتى وهي طريقة الشكل .

المدافن تحت الأرض : ينزل اليه بدرجات مخططها على شكل *T* مقلوبة أو صليب ذي عارضتين (كصليب الدورين) أو أكثر من عارضتين . في هذه المدافن معازب كالأواوين ، يتصدرها سرير جنازي من الحجر ، يمثل عليه فراش مزركش يبدو وكأنه وثير . يمثل عليه المتوفى جالسا ، ومعه بعض أفراد أسرة المتوفى وامرأته وأولاده يتناولون طعام الوليمة الجنازية . قد يكون في المعزب ثلاثة أسرة يمثل عليها الأشخاص المذكورون ، وعلى جنبي المعزب صفوف منتظمة من القبور التي هي على شكل دروج ، كانت توضع الجثة داخل القبر ثم تغلق بلوحة تمثل تمثالا نصفيا Buste للمتوفى بألبسته الكاملة ، ويوضع اسمه واسم أبيه وأسرته بالكتابة التدمرية على جانب اللوحة .

---

(١) ركائب جمع ركاب : كلمة تستعمل في المغرب للتعبير عن Console وهي أفضل كلمة عربية .

قصر الحير الغربي

انشاؤه :

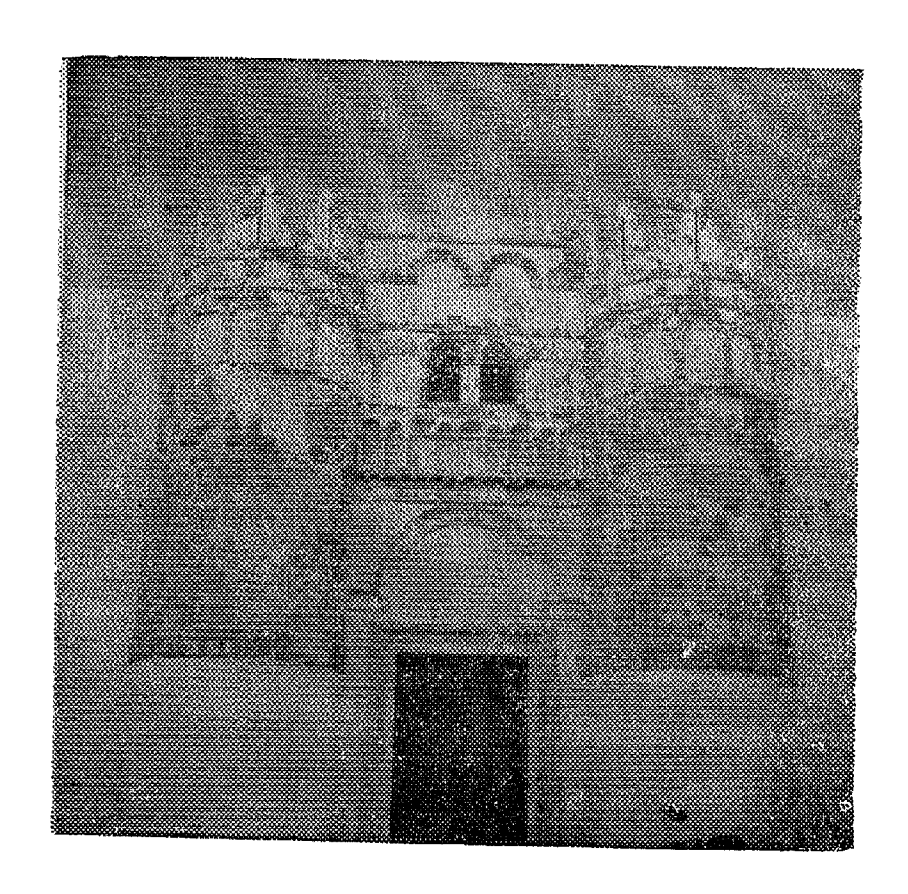
يقع قصر الحير الغربي في وسط بادية الشام ، في الجنوب الغربي من تدمر على بعد نحو من ٨٠ كم ، أنشىء في واحة خصبة ترتوي من واد يغذيها في موسم الأمطار . وقد أقيم في العهد الروماني على هذا الوادي سد يبعد ١٧ كم عن الواحة لخزن الماء وتنظيم جريانه اليها ، سكنت هذه الواحة قبل الاسلام ، ونجد من آثار العهد البيزنطي بقية برج عال ، تركه العرب في الزاوية الشمالية الغربية من القصر عند تشييده .

تمتاز هذه الواحة بموقعها الجغرافي فهي تقع على ملتقى طريقين هامتين تعبران البادية فتصلان بين جناحي الهلال الخصيب.ترتادها القبائل العربية وتقيم فيها بعض الوقت .

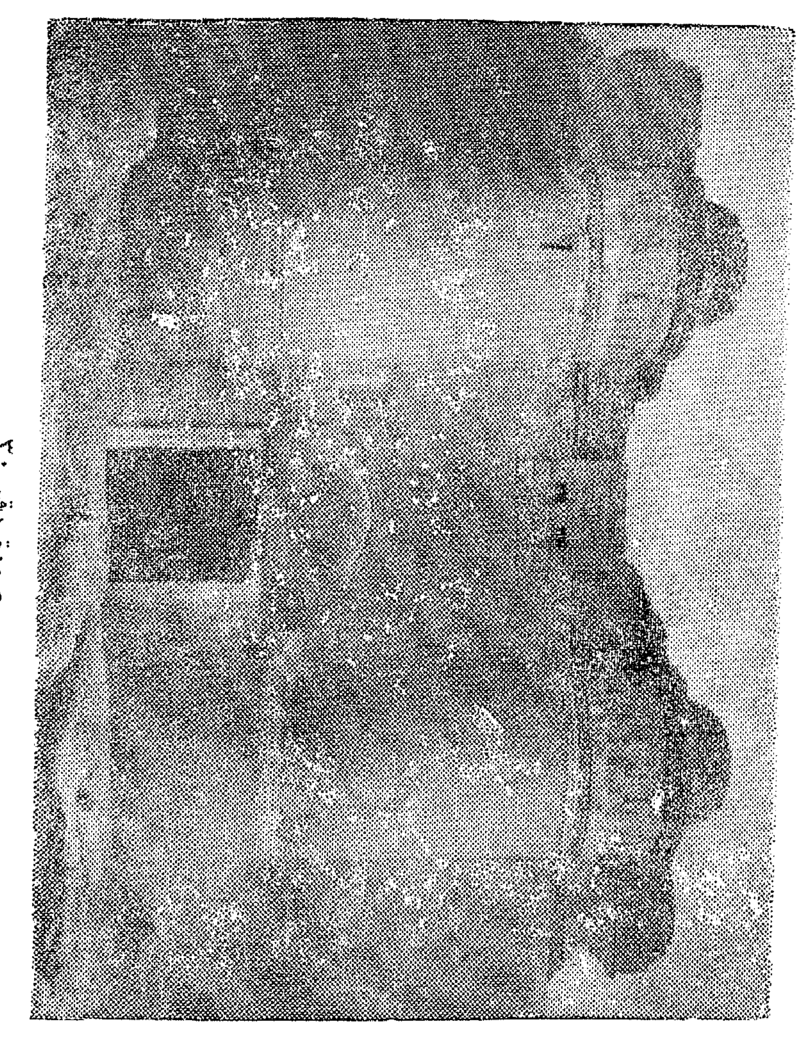
كان الخلفاء والأمراء الأمويون يرتادون البادية ، ويمكثون مع شيوخ القبائل ، حتى أنهم صاهروهم وارتبطوا معهم بوشائج متينة . لذا أنشأوا قصورا عديدة في بادية الشام وشرقي الأردن لتكون لهم مستراحا وملاذا في تجوالهم وصيدهم وقنصهم. وكان قصر الحير الغربي أحد القصور الهامة .

مخطط القصر مربع ضلعه ٧٠ مترا تقريبا ، في كل من زواياه برج أسطواني ، وفي أوسط كل من أضلاعه برج نصف أسطواني . يقع الباب الكبير في الجهة الشرقية وهو محاط ببرجين نصف أسطوانيين ، يؤلفان مع الباب واجهة القصر .

بني أساس القصر حتى ارتفاع مترين من الحجر وأكمل بالآجر واللبن (الطوب) والخشب . وغشيت الجدران بالملاط ، وزينت بالدهان الملون . صنعت الدرابزونات وتيجان الأعمدة والنوافذ والمناور من الجص المنحوت .



صورة رقم ٢٩
قصر الحير الغربى : الواجهة الرئيسية كما أعيد
انشاؤها فى المتحف الوطنى بدمشق



صورة رقم ٣٠
قصر الحير الشرقي – القصر الصغير

الواجهة مزينة بزخارف جصية متنوعة : هندسية ، نباتية حيوانية وانسانية ؛ انتظمت جميعا في مناطق ونطاقات متناظرة ، تعتبر من أجمل ما خلف الفن العربى فى العهد الأموى (الصورة رقم ٢٩) •

يتألف القصر من طبقتين ، الطبقة الأرضية مؤلفة من دهليز يؤدى الى باحة متوسطة سماوية محفوفة من جميع الجهات برواق محمول على أعمدة وركائز في الزوايا • وهى مقسمة الى ست دور ، يختلف عدد غرفها من دار الى أخرى • (انظر المخطط المرفق) •

نجهل مخطط الطبقة العلوية لأن ليس لها وجود حالياً ، ولكن استدلالنا على وجودها من العناصر الساقطة الى أرض الطبقة الأرضية ومن السلم المؤدى اليها •

يوجد لصق القصر مباشرة الحمام الملحق بالقصر • كما يوجد الى جوار القصر بستان أبعاده : ١٠٥٠ × ٤٤٢م، كان له سور من اللبن (الطوب) يرتكز على قاعدة حجرية • وجد في البستان آثار القنوات ومقاسم توزيع المياه •

وجد على بعد عشرة كيلومترات من القصر قصر صغير أو خان كتب على بوابته أنه بنى في عهد هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى على يدى ثابت بن أبى ثابت سنة ١٠٩ هـ ومن هذه الكتابة استدللنا على عصر قصر الحير الغربى •

قامت بعثة افرنسية سورية برئاسة الأستاذ شلومبرجة في سنة ١٩٣٦ بالتنقيب وكشف القصر • ونقلت العناصر الزخرفية الى متحف دمشق ، وأعيد فيه انشاء القسم الأوسط من الواجهة الشرقية •

قصر الحير الشرقى

يقع هذا القصر على بعد ١١٠ كم شرقى تدمر ، وقد كان هذا الموقع منزلا بين تدمر والرصافة من جهة ، وبين تدمر ووادى الفرات من جهة أخرى • استدللنا على تاريخه من كتابة وجدها القنصل الفرنسى لوى جالك

روسو في حلب فى القرن التاسع عشر، فعرفنا أن القصر بنى بأمر من الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك سنة ١١٠ هـ من عمل أهل حمص على يد سليمان بن عبيد .

يرى بالموقع قصر ومدينة مسورة . أبعاد القصر ٧٠ × ٧٠ م ، وهو لا يزال ماثلا بسوره وأبراجه وزخارفه . بنى سوره من الخارج بالحجر ، وبنى الداخل بالآجر واللبن (الطوب) والخشب يرى الى جانبى الباب برجان نصف أسطوانيين ، وفى كل زاوية برج أسطوانى . بنى القسم الأعلى من القصر بالآجر وغشى بالزخارف الجصية المنحوتة على شكل محاريب صغيرة . (الصورة — ٣٠) .

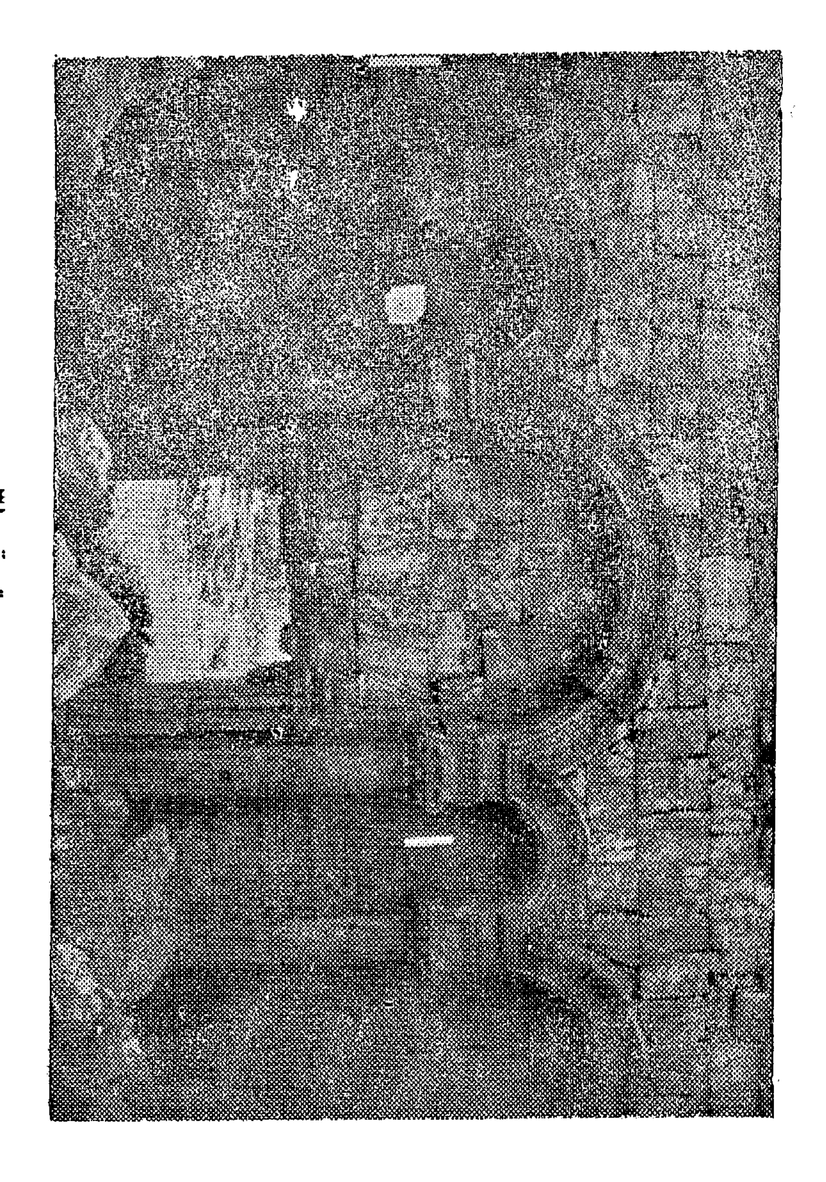
أما المدينة المسورة، فان أطلالها تنبىء عن وجود قصر كبير ومسجد ودور وسوق .... ننتظر نتائج التنقيب التى تقوم بها بعثة أثرية أمريكية برئاسة الدكتور أوليغ غرابار منذ سنة ١٩٦٣ لنقف على تقسيمات المدينة وهندستها .

أطلال الرصافة :

الرصافة مدينة مهجورة فى قلب البادية تحيط بها الرمال ، ولكن ما أن يقترب الزائر منها حتى تبدو أسوارها — المبنية بأحجار الجبس المتبلورة — وهى تتلألأ فى ضوء الشمس .

ولزيارة الرصافة من مدينة حلب ، يقطع المسافر مئة وخمسين كيلومترا باتجاه مدينة الرقة ، وفى موقع قريب من موقع سد الطبقة يسلك طريقا صحراويا باتجاه الجنوب فيصل الرصافة بعد حوالى ثلاثين كيلو مترا .

والرصافة مدينة قديمة جدد بناؤها فى العهد البيزنطى ، فى مطلع القرن السادس الميلادى وأطلق عليها اسم " مدينة سيرجيوس " (سيرجيو بوليس) بدلا من الرصافة اسمها القديم . وسيرجيوس هو أحد شهداء



صورة رقم ٣١
الرصافة : المدخل من الشرق

المسيحية الذى قتله الرومان فى عام ٣٠٥ فى عهــد الامبراطور « ديوكلسيان » فدفن بالرصــافة ، وغــدا قبره محجــة للمسيحيين فى ذلك العصر • ممــا دعا الدولة البيزنطية الى العناية بالرصافة وبناء الكنائس الضخمة فيها واحاطة المدينة بسور حصين يحميها من الغزاة . وبنيت فيها تحت الأرض صــهاريج واســعة وعميقة تمتلىء بمياه الأمطار لتسد حاجة سكانها فى حالات الحصار •

وفعلا فقد حاصرها الفرس مرتين الأولى فى عهد خسرو الأول سنة ٥٤٢م والثانية في عهد خسرو الثانى سنة ٦١٦ حيث دمرت المدينة •

ثم جاء الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك واتخذها منتجعا له وأعاد اليها شأنها بما بناه فيها من قصــور عربية • وأصــبحت تدعى منــذ ذلك التــاريخ « رصافة هشام » •

وكان هشام يؤثر الاقامة فيها على الاقامة في دمشق • وقد وافته المنيــة وهو فى الرصافة فدفن فيها •

وبدأ شأن المدينة يضعف شــيئا فشيئا الى أن لقيت التدمير على يد التتار الذين اجتاحوا الشرق العربى خــلال القرنــين الثــانى عشر والثــالث عشر وهجرت الرصافة نهائيا •

وأول ما يشــاهده الزائر اليوم ســورها المستطيل الشــكل المــزود بالابراج المختلفة الاشــكال ويدخل اليها من بابهــا الشمالى ، وهــو أهم أبوابهــا وأجملها ، غنى بهندســته ، رائع بزخرفتــه ، قــد نقشت قناطره وتيجان أعمدته وأطاريفــه الحجرية نقشا دقيقا (الصورة - ٣١) • وللسور ممر مسقوف فى داخله يتصل بمرامى النبال والأبراج ، وفى أنحاء منه أدراج مزدوجة لتسلق طابقه العلوى من داخل المدينة •

ويتصل ببوابة السور الشــمالية طريق مستقيم يخترق المدينة على جانبيه أروقة تمتد وراءها الحوانيت والمبانى الهامة •

وأول ما يلفت النظر من هذه الأبنية كنيسة على شكل مثمن تدعى كنيسة الاستشهاد « المارتيريوم » بنيت بالحجارة والعمد وفق فن العمارة البيزنطية واستخدمت فى أعمدتها وبلاطها الحجر الأحمر الجميل •

ويلى هذه الكنيسة باتجاه الجنوب الصهاريج المشهورة المبنية بالحجارة والآجر ثم الكنيسة الكبرى كنيسة القديس سرجيوس وهى من أشهر الكنائس البيزنطية ، تتألف من ثلاثة أروقة ، الأوسط كبير وبالغ الارتفاع يتوجه صفان من النوافذ تحف بها العمد الصغيرة لانارة الكنيسة ؛ ورواقان جانبيان أقل ارتفاعا ؛ وكانت الكنيسة مغطاة بسقوف سنامية (جمالونات) •

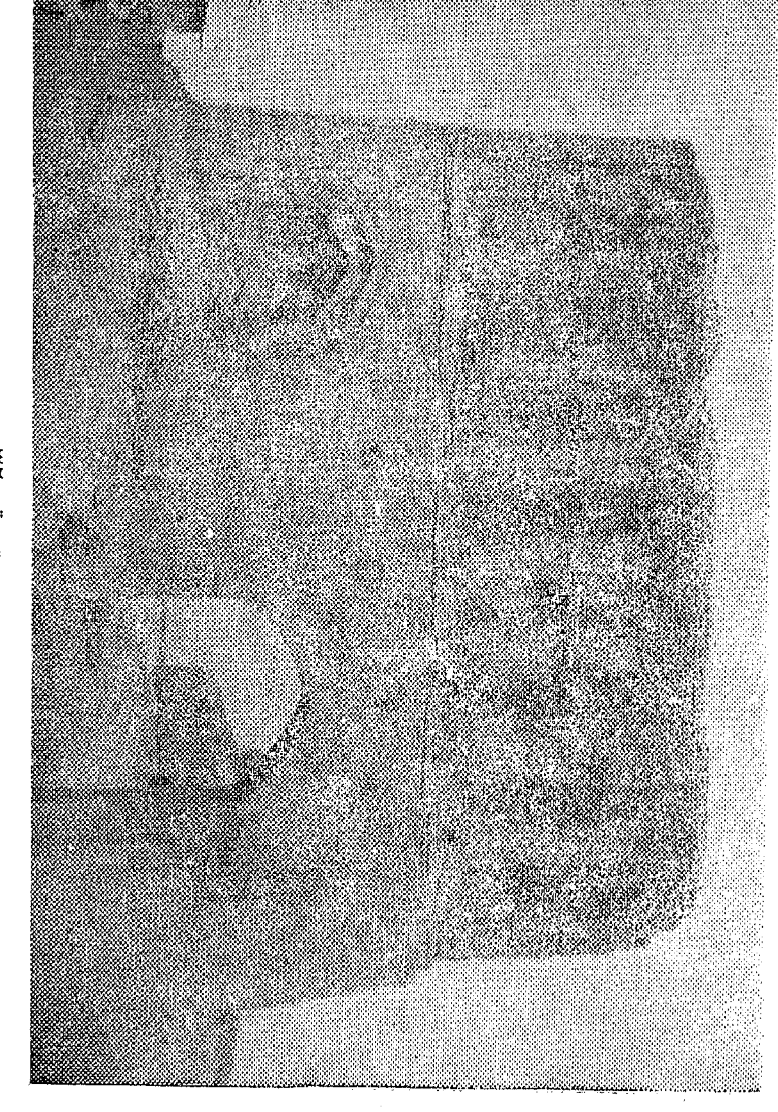
وقد أحيطت الكنيسة فى عهد متأخر بكتل ضخمة من الدعائم الخارجية لحمايتها من السقوط ، غيرت شكلها القديم •

الرقة - الرافقة -

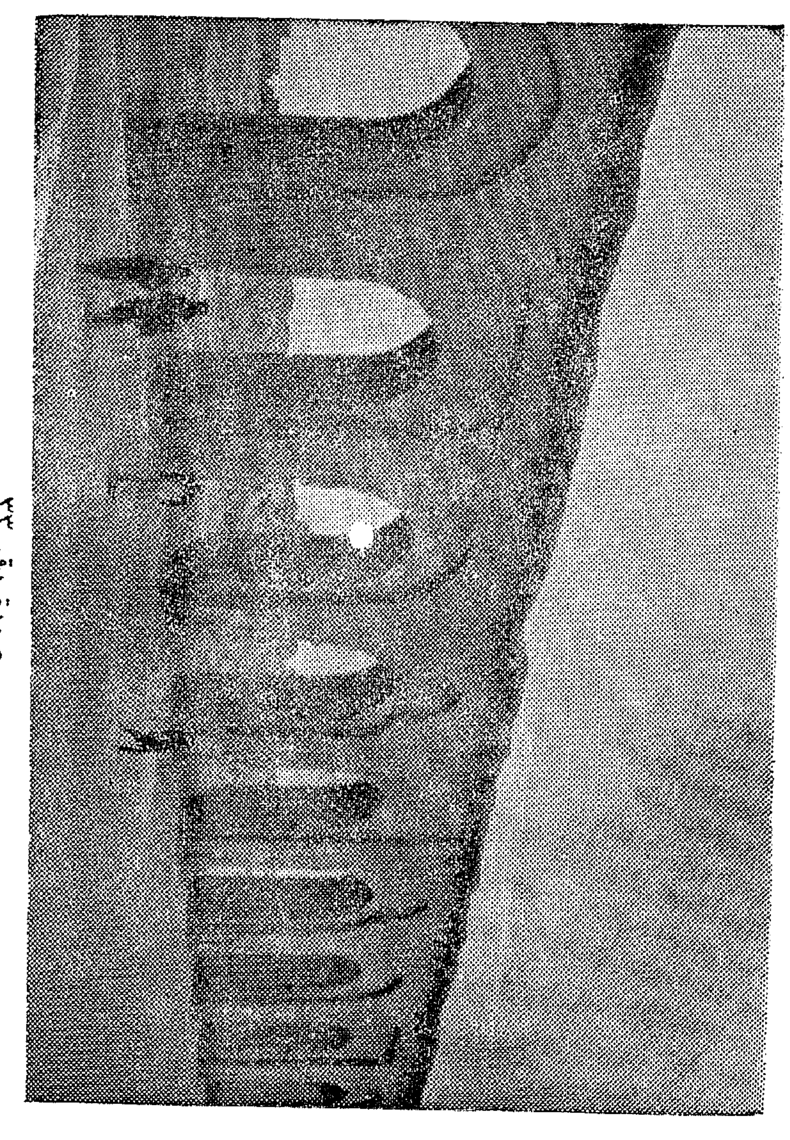
تقع مدينة الرقة على الضفة الشرقية من نهر الفرات عند مصب رافد البليخ • كان يسكنها عند الفتح العربى الاسلامى عرب من مضر ، أطلقوا عليها هذا الاسم ، لأن أرضها تكون رطبة بسبب وقوعها بين نهرين؛ ينبسط الماء عليها أيام الفيض ثم يجف•

كان هذا المكان مسكونا فى العصور الحجرية القديمه ، واستمر مسكونا فى العصور التاريخية القديمة • يوجد الآن فى المنطقة عدة تلال أثرية قديمة أهمها تل البيعة ؛ يوجد فيها آثار من الألفين الثالث والثانى ق•م •

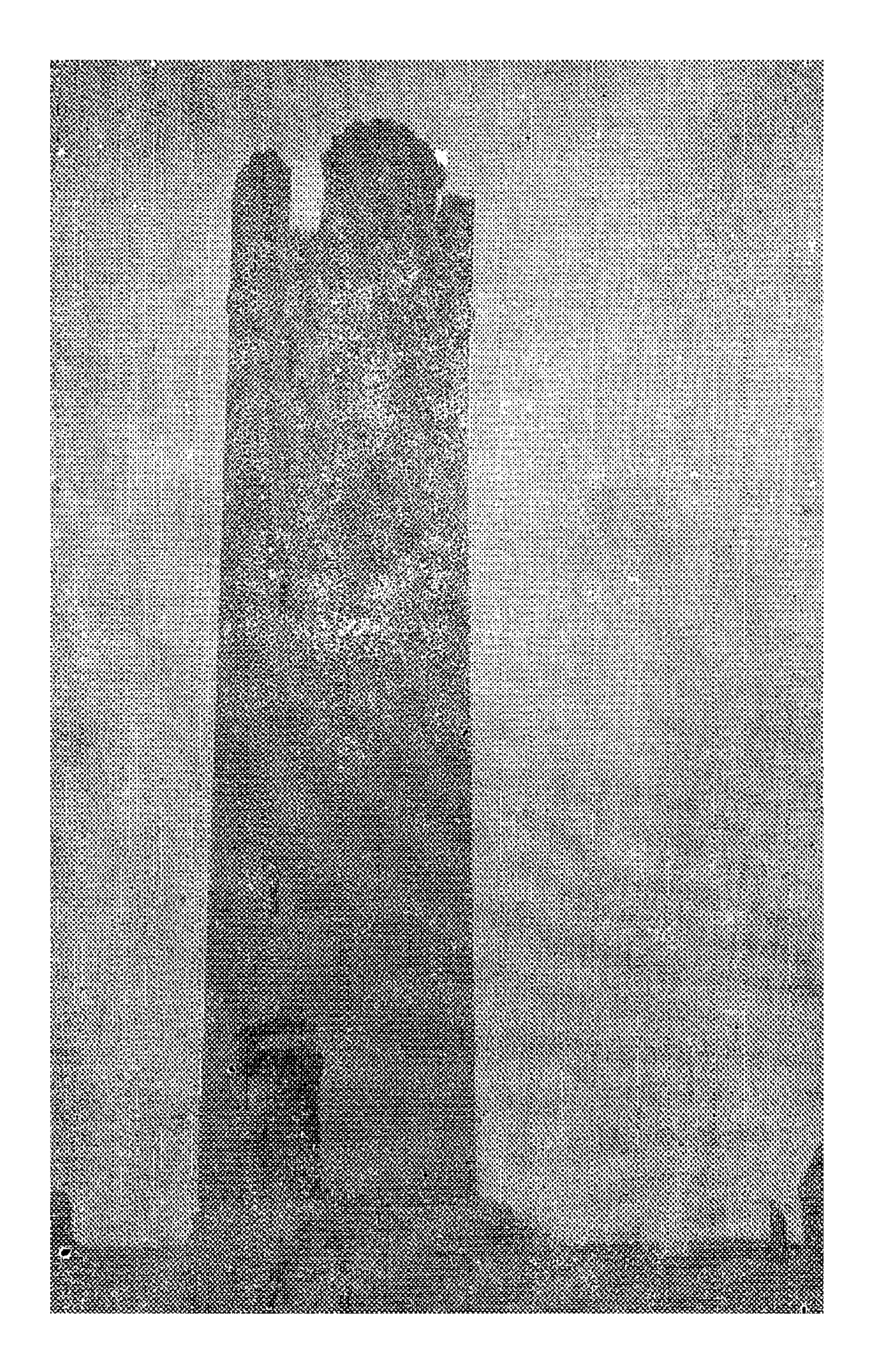
بنى فى هذا الموقع بالذات سلوقس الأول (فى العهد الهلنستى) مدينة سماها نيكيفوريوم Nikoforium ، ثم بنيت على أنقاضها مدينة أخرى في العهد الرومانى عاشت بين القرنين الأول والثالث ب•م• ثم خلفتها المدينة



صورة رقم ٣٢
الرقة — الرافقة : باب بغداد في الشرق من السور



صورة رقم ٣٢
الرافقة : أطلال المسجد الجامع



صورة رقم ٣٣
الرافقة : مئذنة الجـامع

البيزنطيـة كالينيكيوم التى أطلق عليهـا فيما بعد اسم ليونتوبوليس Leontopolis نسـبة الى الامبراطـور ليـون الثانى ٤٧٣ - ٤٧٤ ب٠م ٠

كانت الرقـة تقـع مرة بأيدى الايرانيين ؛ ومرة بأيدى البيزنطيـين ؛ وأخيرا فتحها العرب المسلمون سنة ١٧أو ١٨ هـ - ٦٣٨ أو ٦٣٩ م على يـد القائد العربى عياض بن غنم ٠ وعاشت الرقة تتمتع بميزات موقعها الطبيعى من حيث الخصب والمواصلات التجارية ٠

يبدو - حسب ماذكره المؤرخون العرب - ان الرقـة لم تكن مدينة واحدة بل كانت عدة مدن ؛ الرقـة البيضاء ، الرقة السوداء (أو السمراء)، ربض الرقة (وهو سوقها) ، وقد عمر هشام بن عبد الملك على الضـفة المقابلة قصراً أسماه واسط الرقة ٠

تجلى للخليفة العباسى أبى جعفر المنصور أهمية الرقة من حيث موقعهـا الاسـتراتيجى والأقتصـادى ومناخها اللطيف ، فأمر بانشاء مدينة الرافقة الى قربهـا سنة ١٥٥ هـ - ٧٧١ م لتكـون مقراً للجيش الخراسـانى (١) ومركزا لفـرق الجيش الصـوائف ؛ وذلك من أجل الاشراف على التخوم الشماليـة ومراقبة تحركات الجيش البيزنطى ٠

أحاط المنصـور مدينـة الرافقـة بسور مستدير على غرار سور بغـداد لكن مرور النهر فى الجهة الجنوبية جعل السور على شكل نعل الفرس ؛ وكان أطول قطر للمدينة الجديدة ١٥٠٠ م٠ جعل للمدينة سوران : داخـلى بسمك ٨ر٥ م وخـارجى بسـمك ٥٠ر٤ م ، وجعل بينهما فصيل عرضه ٨٠ر٢٠ م ، وأحيط السور الخارجى بخندق عرضه ٩٠ر١٥ م ٠ بنى السـور على أسـاس من الحجارة الكلسية أو الجصية الطبيعية، وأكمل باللبن (الطوب) والآجر ٠ جعل للسور باب شرقى (هو باب بغداد) (الصورة ٣٢) وباب غربى ربما كان

---

(١) ربما كان الخليفة المنصـــور يقصد ابعاد الجيش الخرسانى عن بغداد.

اسمه باب الجنان الذى ذكره ياقوت (ج أ ، ص ٤٤٣ ؛ ج ٢ ، ص ١٢٥).
أزيل هذا الباب منذ عهد بعيد .

يوجد ضمن السور بقايا جامع لا تزال ماثلة منها : واجهة أبواب ذات عقود (الصورة - ٣٣) ومئذنة أسطوانية الشكل مبنية بالآجر . أما أحياء وقصور الرافقة القديمة فانها لا تزال راقدة تحت الأطلال . لا يبدو منها الا أجزاء بسيطة مبنية بالآجر تدل على تقدم فى فن البناء والزخرفة.

توسعت الرافقة فى عهد الرشيد وخلفائه من بعده . وبعد فحص الصورة الجوية الملتقطة للمنطقة تبين أن الرافقة اتصلت بالرقة وضواحيها وربضها ، وشكلت مدينة كبيرة يبلغ قطرها ١٠ كم ، عاشت المدينة المندمجة طويلا ، وازدهرت في العهد الأيوبى ازدهارا عظيما ، ثم أصابها الخراب بسبب الغزو المغولى سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م .

مدينة ماري (تل الحريرى)

تقع هذه المدينة القديمة المندثرة على الشاطىء الأيمن لنهر الفرات قرب مدينه البوكمال الواقعة على الحدود السورية العراقية . تقوم على تل اثرى ، شكله بيضى ؛ تبلغ أبعاده ٠٠٠ × ٨٠٠ م ، يبدو فى وسط آثار برج ذى طبقات يرتبط بعضها ببعض بواسطة ممر خارجى حلزونى يعرف هذا البرج بالزقورة . تبلغ أبعاد قاعدة الزقورة ٤١ × ٢٥ م وهو يضيق كلما ارتفع الى الأعلى . عرف أمثال هذا البرج فى المدن القديمة فى بلاد الرافدين يعتبر هذا البرج العالى مأوى للرب ، يوضع له فى قمته سرير من الذهب ليحل فيه ؛ ولا يسمح بدخول البرج الا للكهان . وكان هؤلاء الكهان يستفيدون من ارتفاع البرج لرصد النجوم ، لذا برع سكان بلاد الرافدين فى الألف الثالث ق.م بالفلك ، وأورثوا الانسانية شيئا من عملهم فى هذا الميدان

كشف عن هذه المدينة الميتة بعثة أثرية فرنسية برئاسة الأستاذ اندريه بارو منذ سنة ١٩٣٣ ، ولا زالت تتابع العمل حتى الآن ، واستطاعت أن

تكشف عن القصر الملكى الكبير ، وهو يقع الى غربى الزقورة ؛ ويعود الى أوائل الألف الثانى ق٠م مساحته ثلاثةهيكتارات وهو مؤلف من عدة دارات ، تربطها شوارع وممرات كل دارةمؤلفة من باحة تكتنفها أجنحة السكن من كل جانب • كشف من القصر حتى الآن حوالى ٣٠٠ مقسم بين باحة وقاعة وممر ، ولا زال العمل مستمرا •

اكتشف حى المعابد ، كل واحدخاص برب أو بربة كمعبد عشتارات، ومعبد داغن ؛ ومعبد نينهور ساغ ؛ ومعبد شمش ٠٠٠٠ كل معبد يتألف على الأغلب من باحة فى وسطها المذبح، يجتمع فيها المتعبدون ، ويقدمون أضاحيهم • أما الهيكل فلا يدخله الاالكهان • أما الطبقة الراقية من المتعبدين كالملك والأمراء ومغنية المعبد والمتعبدات النبيلات ٠٠٠ فانهم جميعا يقدمون الى الهيكل تماثيلهم • الملك يقدم تمثالاً بالحجم الطبيعى ، أما الآخرون فكل يقدم تمثالا بحجم يتناسب مع مكانتهالاجتماعية (انظر ما كتب عن تماثيل مارى فى متحف دمشق) •

ذكر اسم مارى فى الرقم الفخاريةالتى وجدت فى نيبور وكيش منذ العصر السارغونى (حوالى منتصف الألفالثالث ق٠م)• سكن المنطقة الأكاديون (وهم من الجزيرة العربية) قبل أن يتساحوا فى بلاد الرافدين الجنوبية ، واستطاع ملوك مارى الأكاديون أن ينتصروا على ملوك دويلات العراق الأسفل ، لكن بعض ملوك مارىانكسروا أيضا « ووقعت مارى فريسة بين أيديهم •

استطاع العموريون (وهم أيضا من عرب الجزيرة الذين نزحوا عنها فى منتصف الألف الثالث ق٠م) أن يتواضعوا فى وادى الفرات ، وكونوا دولة فى مارى فى آخر الألف الثالثق٠م أو أوائل الألف الثانى • استولى على مارى الآشوريون فى القرن١٩ ق٠م ثم انحسر ظلهم عنها• ساءت علاقات مارى العمورية مع الدولة البابلية الأولى، لأنها كانت تشكل سدا فى طريق توسعهم نحو الشمال • لذاهاجم حمورابى (الشهير بقوانينه)

(١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق٠م) مدينة ماري، ودمرها بعد أن سلبها ، وكان ذلك في السنة ٣٣ من حكمه ٠

سكنت ماري من قبل الآشوريين في ١٣ ق٠م ، وسكنت أيضا من قبل السلوقيين (القرن ٤ - ٣ ق٠م) ثم من قبل البارثيين ثم الساسانيين ٠ لكن آثارها الهامة تعود الى الألفين الثالث والثاني ق٠م ٠

الآثار المكتشفة في ماري موزعة بين متحف حلب ومتحف دمشق ومتحف اللوفر في باريس ٠

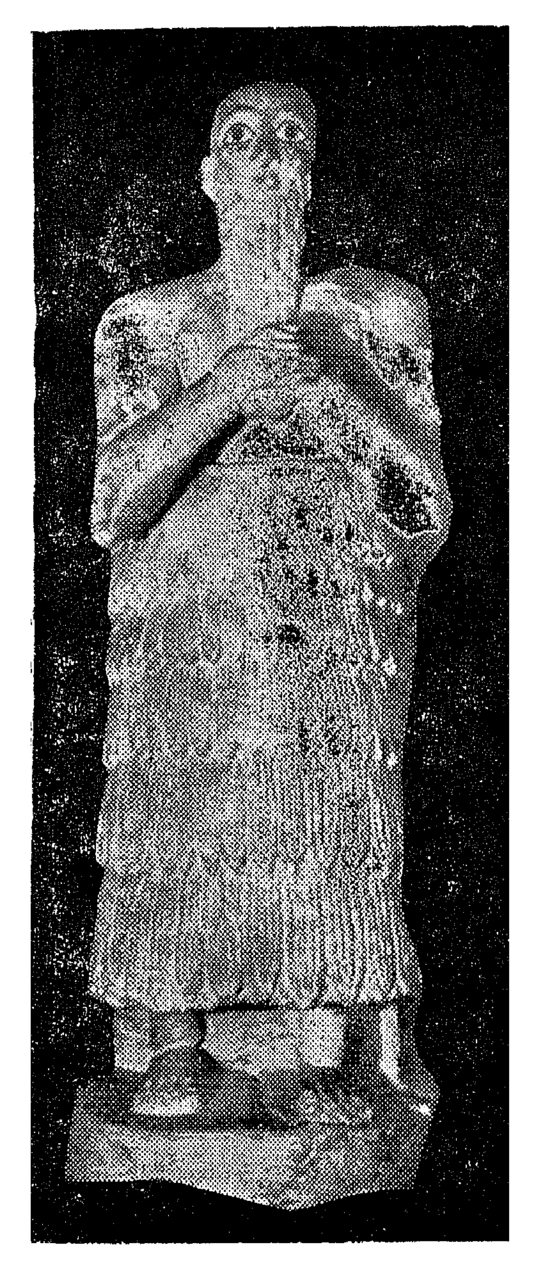
مدينة دورا أوروبوس (صالحية الفرات)

تقع مدينة دورا أوروبوس بين مدينتي الميادين والبوكمال على الفرات، شيدها الملك السلوقي في العهد الهلنستي سلوقس نيكاتور وسماها على اسم المدينة التي ولد فيها وهي (أوروبوس) في مقاطعة مكدونيا ٠ وقعت المدينة في أيدي حكام ايران البارثيين في القرن الثاني ق٠م ٠ عندما استولى الرومان على سورية سنة ٦٤ ق٠م لم تصل حدودهم آنذاك الى الفرات وظلت في أيدي حكام ايران حتى سنة ١١٦ م، عندما تقدم الرومان واستولوا على الفرات ٠

اوكل الامبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨ م) حكم مدينة دورا أوروبوس الى ملكة تدمر ؛ لذا نجد في دورا تأثيرات يونانية - بارثية - رومانية - تدمرية ، كما نجد كتابات لهذه المدنيات بلغاتهم ٠

وقعت المدينة في أيدي الساسانيين (حكام ايران) سنة ٢٥٦م، وخربت المدينة منذ ذلك الوقت ٠

مخطط المدينة يشبه رقعة الشطرنج، وهي محاطة بسور ما زالت أطلاله موجودة ٠ لا تختلف تقسيمات المدينة وأوابدها عن المدن المعروفة في العهد



صورة رقم ٣٥
المتحف الوطني بدمشق ـ فرع
الآثار السورية القديمة ـ قاعة ماري
تمثال الملك (ايكو شاماغان)

الروماني ، هنالك شارعان رئيسيان متصالبان ودروب فرعية ، وهنالك القصور والمعابد والدور الخاصة والأسواق لم يكشف عن جميع الأطلال بعد .

اكتشفت المدينة الأثرية في أثناء الحرب العالمية الأولى . ثم بدأت التنقيب بعثة فرنسية سنة ١٩٢٢ . ثم تشكلت بعثة أثرية أمريكية سنة ١٩٣٣ ، فكشفت عن أجزاء هامة من المدينة .ونقل بناءان هامان : الكنيسة الى جامعة « ييل » الأمريكية ، والكنيس الى متحف دمشق . ونقلت التحف الأثرية ووزعت أيضا بين متحف جامعة « ييل » ومتحف دمشق (انظر متحف دمشق).

٣ - المتاحف العربية السورية

المتحف الوطني بدمشق

لمحة تاريخية : ولد المتحف الوطني بدمشق مع استقلال سورية سنة ١٩١٩، وأقر مع المجمع العلمي العربي في المدرسة العادلية بباب البريد . ضاق البناء الأثري عن استيعاب التحف المتزايدة ، فأنشىء البناء الجديد سنة ١٩٣٦ ؛ بحيث جعل مخططه قابلا للتوسع على مراحل . وقد أخذ يتوسع بالتدريج ؛ فبنى قسم من قصر الحير الغربي بدمشق ، ثم بنى الجناح الغربي سنة ١٩٥٣ ، ثم بنى امتداد هذا الجناح سنة ١٩٦١ ووصل المتحف في توسعه الى غايته . (الصورة رقم ١٤ ملون مدخل المتحف) .

يتألف المتحف الوطني من أربعة فروع مصنفة حسب التسلسل التاريخي:

١ - فرع الآثار السورية القديمة : تحفظ فيه الآثار من الألف الرابع حتى القرن الرابع ق.م.

٢ - فرع الآثار السورية من العهود الكلاسيكية (اليونانية والرومانية والبيزنطية) .

٣ - فرع الآثار العربية الاسلامية .

٤ - فرع الفن الحديث .

اتبع في تصنيف المتحف مبادىء الفن المتحفي : التسلسل الزمني ، الموقع الأثري المادة، الموضوع ....وأعيد في المتحف انشاء أمثلة من المباني الأثرية مثل كنيس دوراأوروبوس ، مدفن يرجاي التدمري ، قصر الحير الغربي ، قاعة شامية .

١ — فرع الآثار السورية القديمة :

يضم هذا الفرع آثار ماري (تل حريري) ، تل الحويرة ، أوغاريت (رأس الشمرة) ، تل الكزل ؛عمريت ..... وغيرها من المواقع الأثرية .

قاعة ماري : أهم المعروضات تماثيل من الألباستر تمثل ملك ماري « ايكوشاماغان » بالحجم الطبيعي (الصورة ٣٥) وأمراء المدينة (مقياس ١/٣) ومغنية المعبد « أورنينا » تبدو تماثيل الرجال في وضع المتعبد (اليدان مضمومتان الى الأمام) الرأس حاسر ، القسم الأعلى من الجذع عار ، يأتزرا بازار من الصوف الطبيعي (الكوناكس)، نزلت العيون والحواجب في الحجر ، واستعمل لابراز السواد « اللازورد » ولابراز البياض العظم وما شابهه . بعض الأشخاص حليقون وبعضهم لهم لحية مرجلة منظمة ، الرأس حليق دائما ، تبدو على الشفاه ابتسامة صوفية هادئة .

عرض في هذه القاعة بعض الرقم الفخارية ، رقمت بالكتابة المسمارية الأكادية . وعرض أنواع من الحلي والفخار والأواني الحجرية .

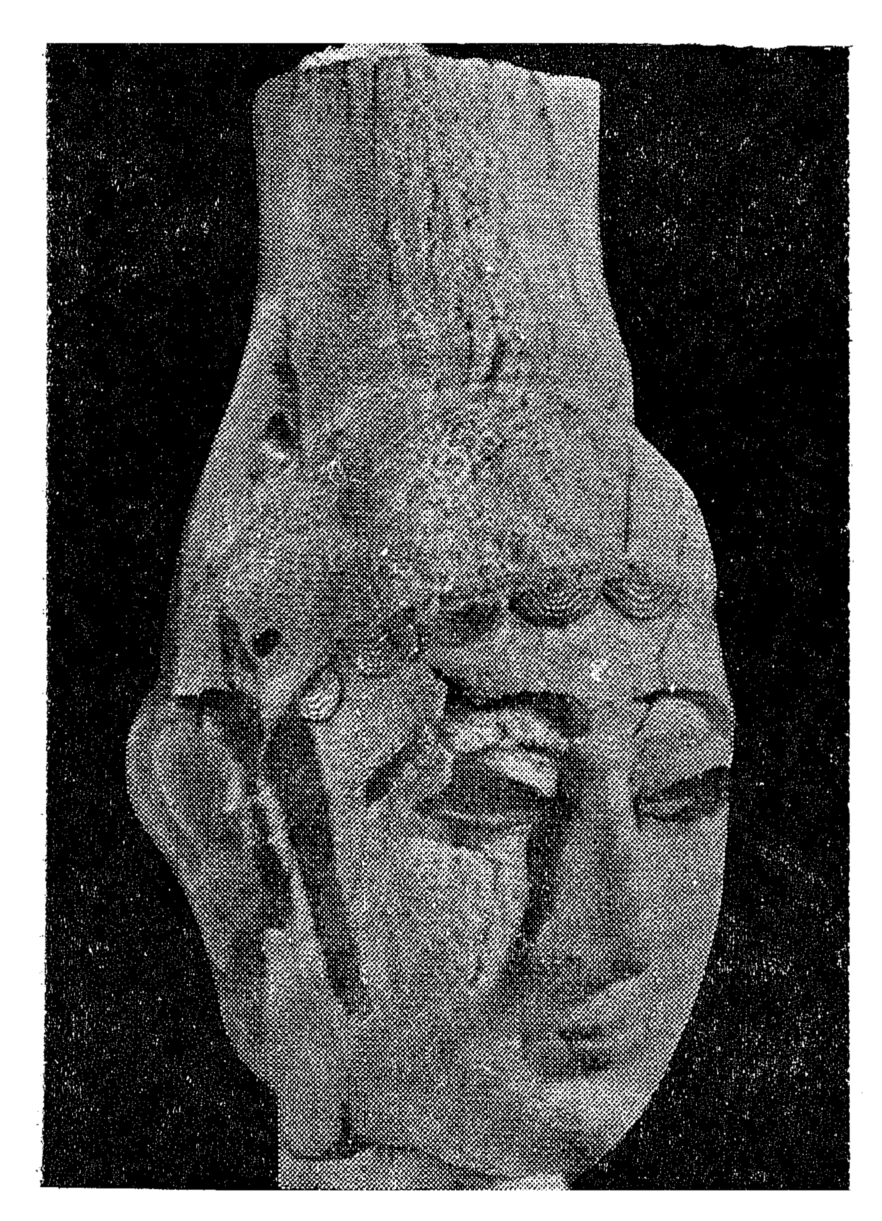
قاعة حضارة سورية الساحلية :وجدت أكثر المعروضات في تل سوكاس وتل الكزل وعمريت . الآثار الواردة من عمريت على الأكثر أجزاء تماثيل تعود الى القرن ٥ ق.م وآثار فخارية مستوردة من اليونان ، وعرض فيها أختام مسطحة ونصال سكاكين برونزية ورؤوس سهام آتية من المواقع الأخرى .

قاعة حضارة سوريا الداخلية : وجدت هذه الآثار في تل رفعت



صورة رقم ٣٦

المتحف الوطنى بدمشق – فرع الآثار السورية القديمة – قاعة أوغاريت (رأس الشمرة) رقيم يحمل أبجدية أوغاريت وهى مؤلفة من ثلاثين حرفا صوتيا (أقدم أبجدية فى العالم)



صورة رقم ٣٧
المتحف الوطنى بدمشق - فرع الآثار السورية القديمة - قاعة أوغاريت (رأس الشمرة) راس من العاج محلى بالذهب لمعبود قديم .

(أرفاد) فى شمالى مدينة حلب وتسل الحويرة فى شمالى الجزيرة ، وعين دارا (شمالى غربى مدينة حلب) وسفيرة (شرقى جنوبى حلب) ودمشق .

تضم هذه القاعة آثارا قيمة من تماثيل تل الحويرة الحجرية التى تعود الى الألف الثالث ق.م وتعتبر أقدم تماثيل مارى . عرض فيها تماثيل من البرونز وأختام أسطوانية ومسطحة وأمثلة من الفخار والأدوات البرونزية .

عرض فيها نصب سفيره الآرامى ، وقد نقش عليه معاهدات بين الملوك الآراميين فى شمالى سورية ، كما عرضت لوحة حجرية يبدو عليها بالنحت البارز سفنكس متأثر بالفن المصرى ، وجد فى معبد حدود بدمشق (مكان الجامع الأموى الحالى) .

قاعتا أوغاريت (رأس الشمرة): أهم المعروضات الرقم الفخارية وهى تحوى مراسلات ملكية ، رقم بعضها بالخط المسمارى وبعضها بالكتابة الأوغاريتية الأبجدية . من بينها رقيم صغير يحمل الحروف الأبجدية الأوغاريتية (الصورة ٣٦) .

عرض فى هاتين القاعتين : رأس عاجى محلى بالذهب (الصورة ٣٧) ، كنز من الأوانى الذهبيه وآخر من الأوانى الفضية ، وتماثيل صغيرة برونزية ملبسة بالذهب يمثل الرب « بعل » ، وكثير من الحلى والأوانى الفخارية والحجرية المستوردة من مصر ....

٢ - فرع الآثار السورية من العهود الكلاسيكية :

يضم هذا الفرع رواقين وقاعة تدمر وقاعة دورا أوروبوس وقاعة السويداء وقاعة حوران وقاعة حمص وقاعة الحلى وقاعة النقود وجناح الآثار البيزنطية .

عرض فى كل قاعة الآثار المكتشفة من تماثيل وفسيفساء ونحائت وآثار فخارية وزجاجية وبرونزية .

الرواق الأول : أهم المعروضات فى الخزائن تماثيل صغيرة لاسبازيا (الصورة ٦) وفينوس (الصورة ٧) وايروس ؛ بعضها من البرونز وبعضها من الرخام ومجموعات من الدمى الفخارية والآثار العاجية والأدوات الطبية •

الرواق الثانى : مجموعات من الفخار والخزف والزجاج • يميز منها قطع فنية هامة أشهرها :

اناء من الخزف المتعدد الألوان على شكل تمثال نصفى لحسناء ربما قصد الفنان الى تمثيل ربة النبات (كورة) •

الزجاج الفينيقى من القرن الأول ق•م حتى القرن الثالث ق•م ومنه ثلاثة أنواع :

١ - الزجاج القاتم المعتم المزين بخطوط زجاجية غاطسة فى الوسط الزجاجى (الصورة ٣٨) •

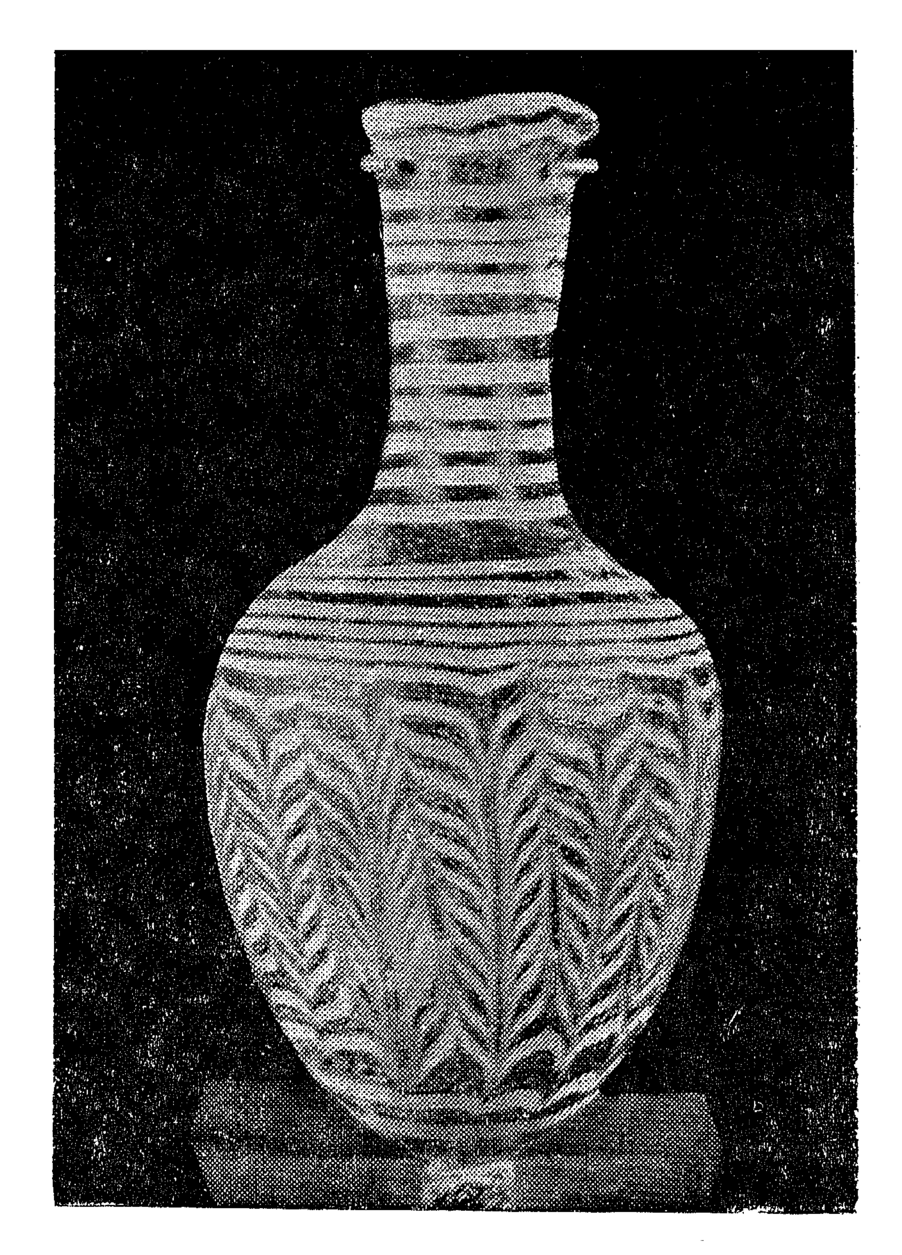
٢ - الزجاج الميليفيورى المزين بعديد من الحبيبات ذات الألوان المختلفة وهى غارقة فى الوسط الزجاجى •

٣ - الزجاج الفسيفسائى المزين بأشكال عفوية وزهرات غاطسة فى الوسط الزجاجى •

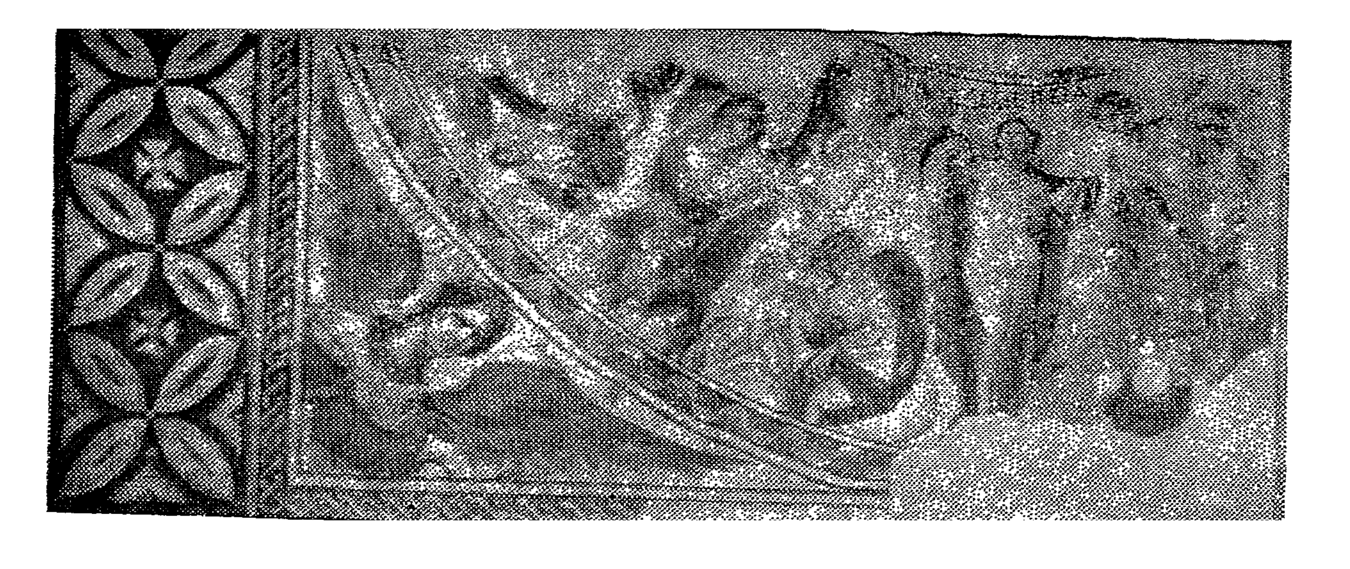
قاعة حوران : تضم على الأكثر مكتشفات تنقيبات أم حوران وهى تضم آثارا من الزجاج والفخار والخزف ، والأسلحة والبرونز ••••• أهم المكتشفات خوذتان مثل على كل منهما مشاهد حربية وميثولوجية •

قاعة السويداء : تضم آثار مكتشفة فى جبل الدروز أهمها :

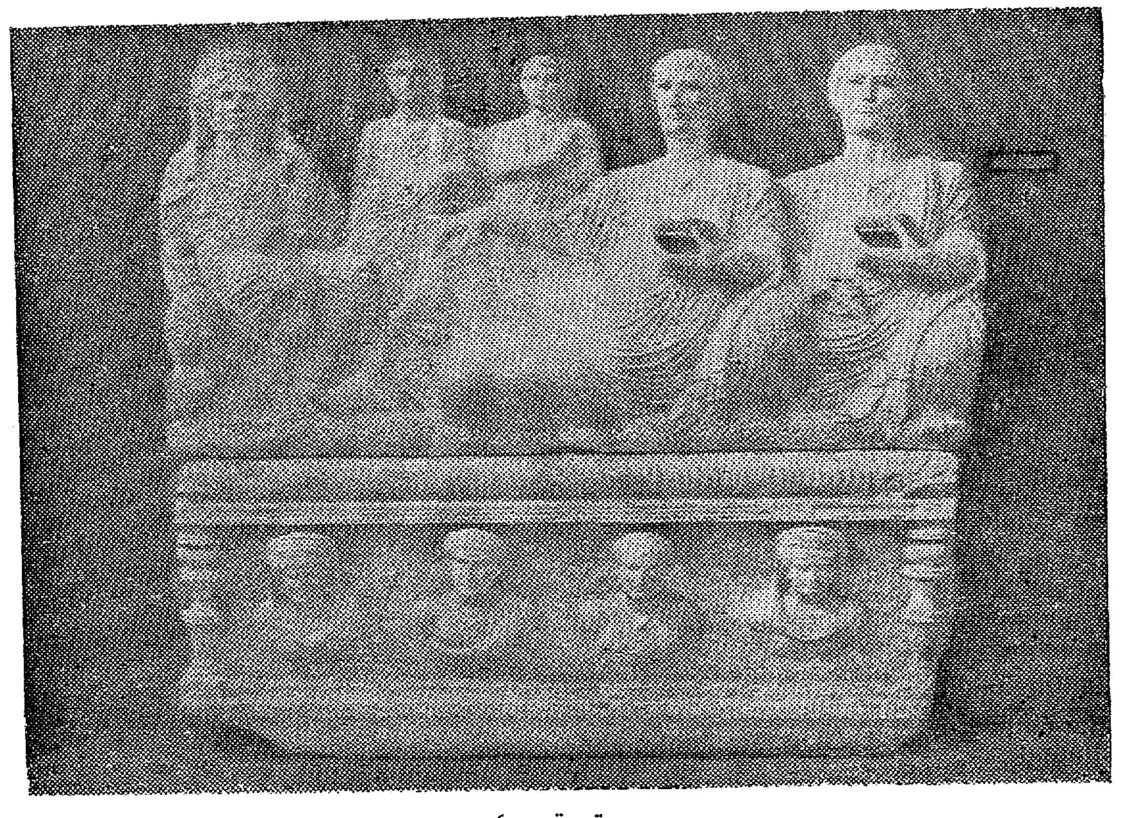
فسيفساء (تمجيد الأرض) وجدت فى شهبا ، مثل فيها خلق الانسان وعوامل الطبيعة واختلاف الفصول •••



صورة رقم ٣٨
المتحف الوطنى بدمشـق - فرع الآثار الكلاسيكية - الـرواق الثانى - الزجاج الفينيقى المزين بخيوط غاطسة فى الوسط الزجاجى



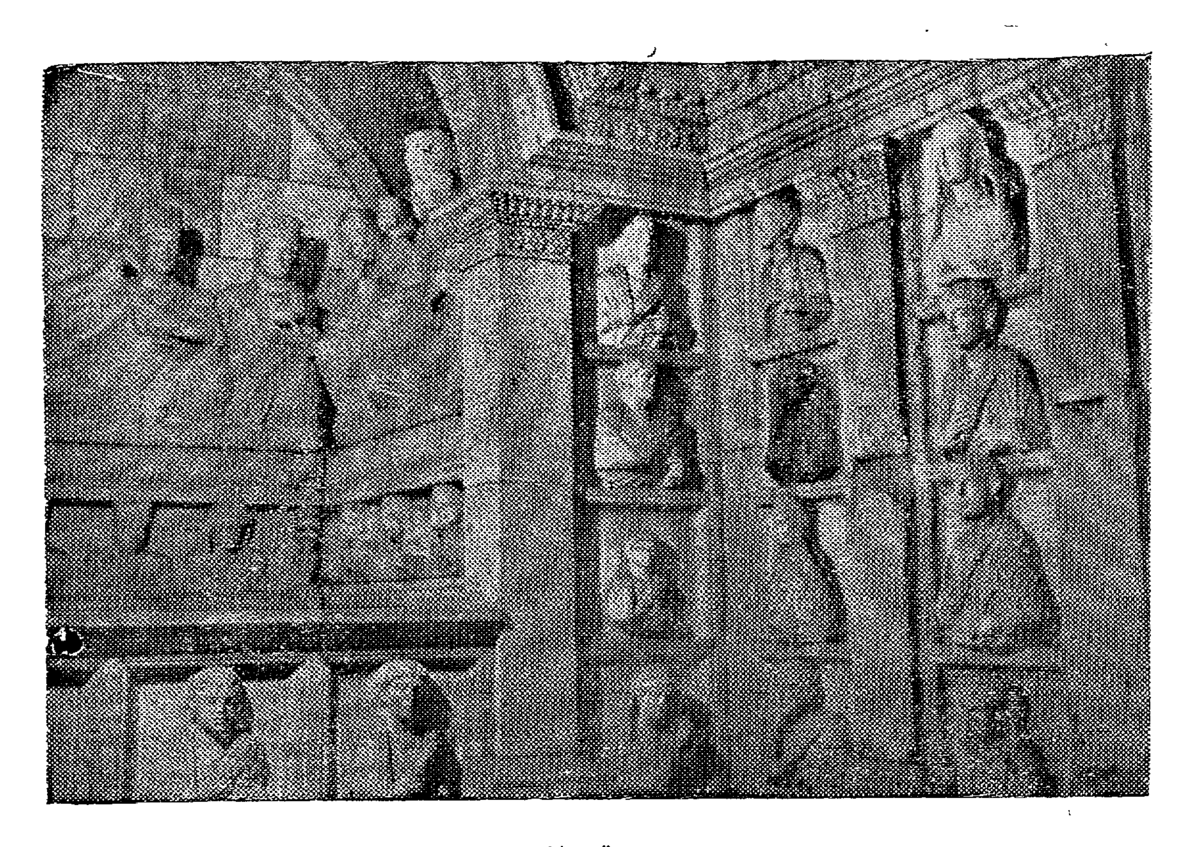
صورة رقم ٣٩
المتحف الوطنى بدمشق - فرع الآثار الكلاسيكية - قاعة تدمر
فسيفساء تمثل أسطورة (كاسيوبه)



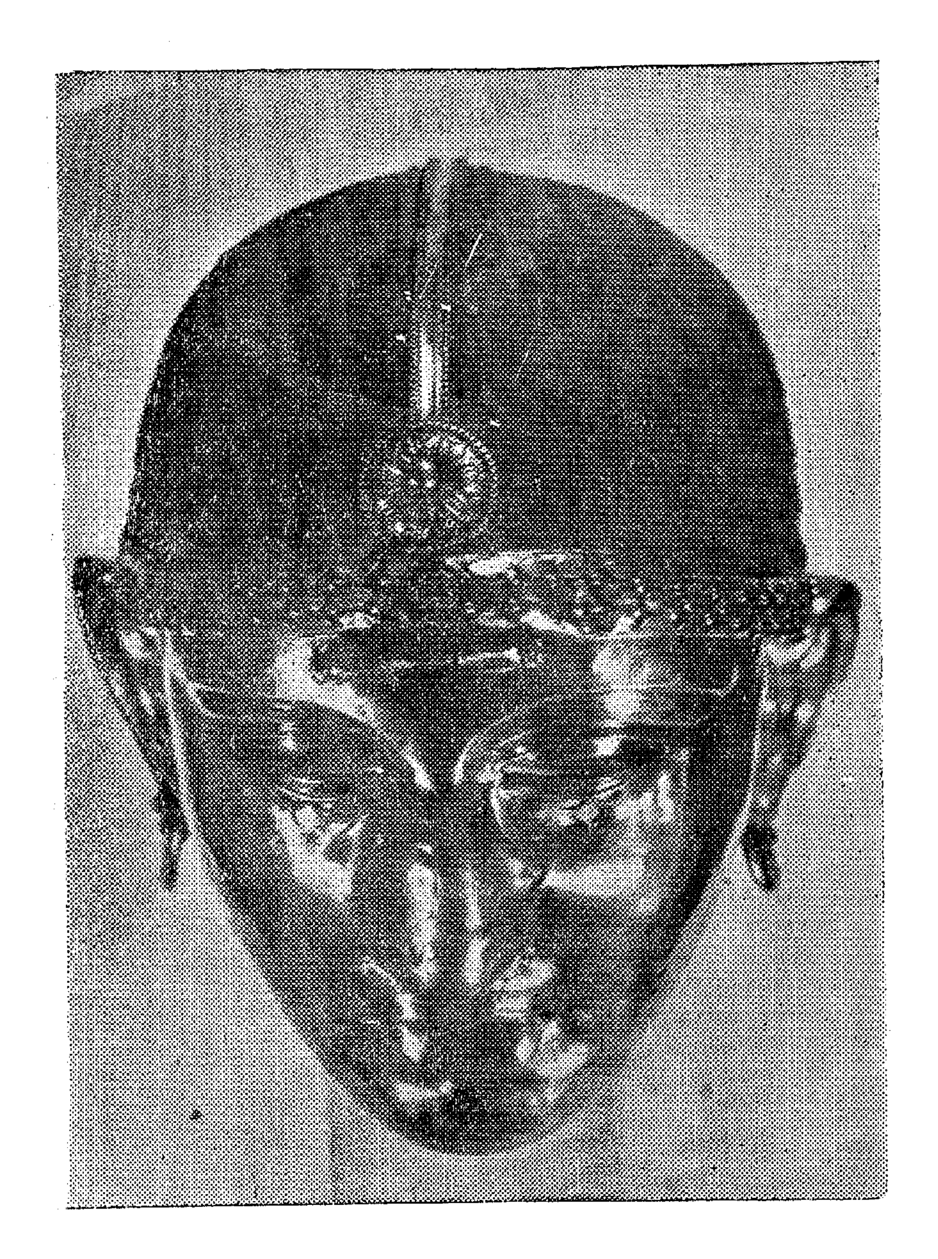
صورة رقم ٤٠

المتحف الوطنى بدمشق - فرع الآثار الكلاسيكية - قاعة تدمر

سرير جنازى مثلث عليه وليمة دينية



صورة رقم ٤١
المتحف الوطني بدمشق — فرع الآثار الكلاسيكية — مدفن يرحاي التدمري



صورة رقم ٤٢
المتحف الوطنى بدمشق — فرع الآثار الكلاسيكية — خوذة ذات قناع فضى لأحد أمراء الاسرة المالكة فى حمص (اوائل القرن ٣ م) .

ربة النصر (مينرفا) من الحجر البازلتى •

قاعة تدمر : فيها آثار مكتشفة فى الموقع الأثرى أهمها :

فسيفساء تمثل أسطورة كاسيوبة(الصورة ٣٩) •

سرر وشواهد جنازية ومحاريب ونحائت وتماثيل وبعض أجزاء الأبنية (الصورة - ٤٠) •

يتبع هذه القاعة مدفن يرحاى التدمرى (الصورة - ٤١) •

قاعة دورا أوروبوس : أهم ما فيها ألواح جدارية مرسومة بالألوان تمثل الاعتقادات السائدة فى العهد الرومانى ، درع حصان مؤلف من رقائق نحاسية ، أوان خزفية وحلى ذهبية فى غاية من الأهمية •

قاعة حمص : تضم كنزا عظيماً من الحلى الذهبية والرقائق الذهبية الزخرفية التى كانت تزين توابيت الموتى • وأهم ما فيها خوذة استعراض بيضتها من الفولاذ محلاة باكليل من الذهب وقناع فضى (الصورة ٤٢) • تعود هذه الآثار الى الأسرة المالكة السورية فى حمص التى نشأ فيها الأمبراطور الرومانى (كاراكالا) ••

قاعة الحلى : تضم مجموعة نفيسة من الحلى المتنوعة من العهد الرومانى •

قاعة النقود : صنفت فيها النقود على مختلف أنواعها من العهد الهلنستى والعهد الرومانى والعهد البيزنطى •

الجناح البيزنطى : مؤلف من أربع قاعات صنفت فيها الآثار التالية :

(١) الزجاج بأنواعه المعروفة •

(٢) الفخار والخزف •

(٤) المخطوطات السريانية •

(٥) المنسوجات •

(٦) عناصر تزيينية من أبنية أهمها درابزونات وقطع فسيفساء •

٣ — فرع الآثار العربية الاسلامية :

يتالف هذا الفرع من قصر الحير الغربى وقاعة الرقة ، الرواقان الأول والثانى ، القاعة الشامية ، قاعة الخشب ؛ المخطوطات ؛ قاعة حماة ؛ الفخار ، الخزف ، الحجر ، المعدن قاعتا الزجاج .

قصر الحير الغربى : قصر من العهد الأموى بنى سنة ١٠٩ هـ فى عهد هشام بن عبد الملك . أكتشف سنة ١٩٣٦ فى بادية الشام ، ونقل بعض أجزائه الزخرفية الى متحف دمشق ، وأعيد فيه انشاء القسم الأوسط من واجهته الشرقية بما فى ذلك البوابة الكبرى مع برجيها والدهليز والرواق وجزء من الباحة والدارين المجاورتين للدهليز .

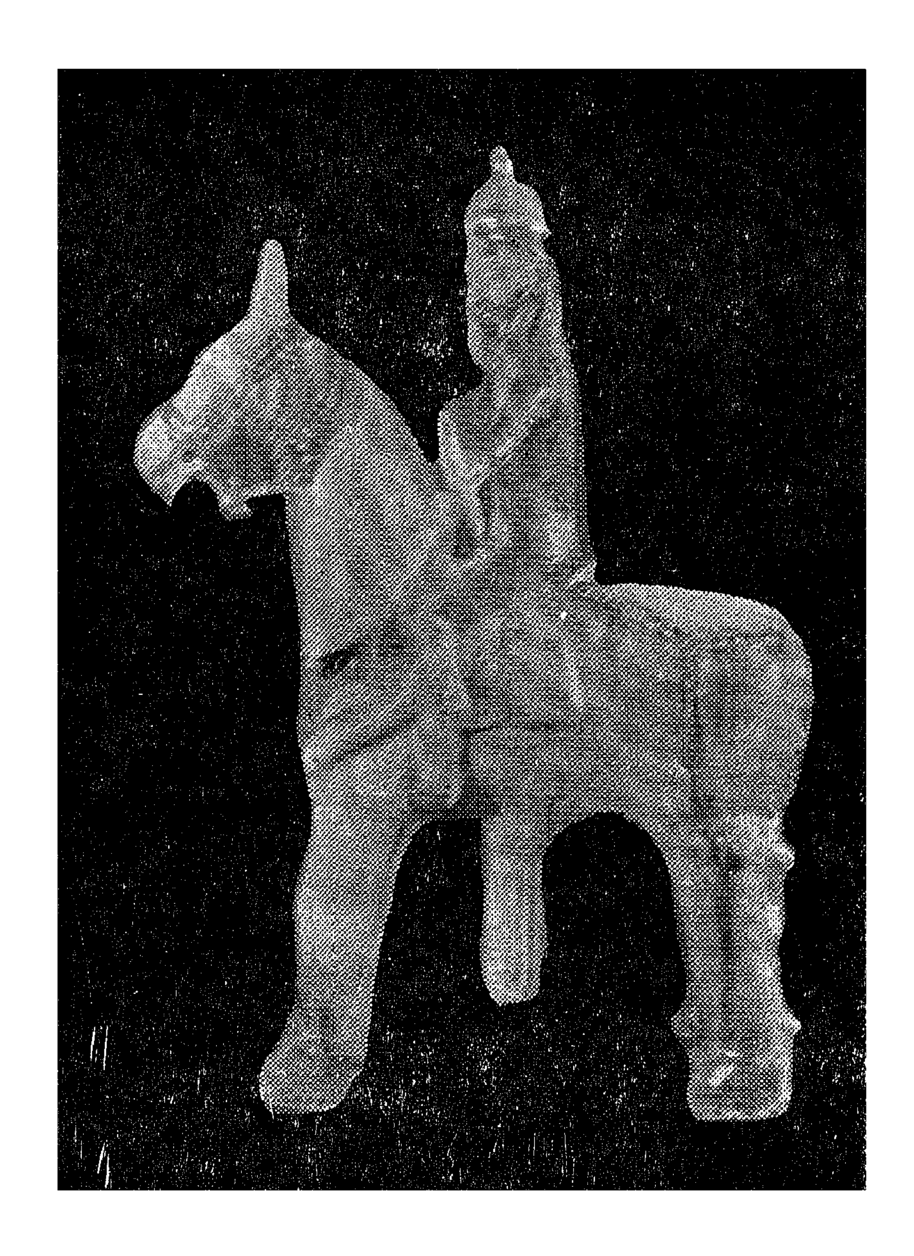
عرض فى القصر أمثلة من عناصره الزخرفية : المناور والنوافذ والداربزونات والرسوم الجدارية الملونة ، والرسوم الأرضية الملونة وتيجان الأعمدة .... وبعض اللقى من الأوانى الفخارية والزجاجية والأجزاء الخشبية ورقائق من الحجر والملاط استعملت لتكون رسائل ، كتبت بعضها بالعربية وبعضها بالفهلوية .

أهم المعروضات : لوحان كبيران فى الطبقة العلوية عليها رسوم ملونة . على أحدها مثل صياد فارس يطارد الغزلان وموسيقيان (الصورة ٢ ملون) . وعلى الثانى مثلت امرأة تحمل بن يديها فواكه (ربما كان الفنان يريد تقليد ربة الأرض « جى » من الميثولوجيا اليونانية) .

تمثال من الجص المنحوت ربما كان يمثل بانى القصر الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك الصورة (٣ ملون) .

---

(١) انظر البحث الخاص بقصر الحير الغربى .
(٢) هذه الرقائق من الرخام والملاط يطلق عليها (اللخاف) .



صورة رقم ٤٣
المتحف الوطني بدمشـق - فرع الآثار العربية الاسلامية - قاعة الرقة
تحفة هامة من الخزف المتعدد الألوان وجدت في الرقة القرن ٦هـ = ١٢م

قاعة الرقة (١) : تقع المدينة على الجانب الأيسر لنهر الفرات. جرت فى المنطقة تنقيبات اكتشف على أثرها أربعة قصور ، عرف بانى أحدها وهو الخليفة العباسى الثامن « المعتصم » .

صنفت الآثار فى خزائن وحوامل :

١ ـ الأجزاء التزيينية : أطر أبواب ورسوم جدارية ملونة ...

٢ ـ الآثار الخزفية : من القرن ٣ الى ٧ هـ = ٩ ـ ١٣ م

٣ ـ الآثار الخشبية : وهى تضم أجزاء وكسورا من جميع الأنماط والعصور العباسية .

٤ ـ كنز نحاسى كبير : يعود أكثره الى القرن ٦ هـ = ١٢ م ، وهو يحوى نقودا عربية وبيزنطية .

٥ ـ الآثار المعدنية : أهمها ابريق من القرن ٣ = ٩ م .

٦ ـ الآثار الفخارية : أهمها جزء اناء من القرن ٢ هـ = ٨ م عليه اسم صاحبه وصانعه .

٧ ـ الآثار الزجاجية : وأهمها الأكواب ذات البريق المعدنى أحدها عليه كتابة « عمل دمشق » .

٨ ـ دن كبير من الخزف الأخضر مزين بزخارف محزوزة عليه كتابة تشير الى صاحبه . (من القرن ٢ هـ = ٨ م) .

٩ ـ تحفة هامة تمثل فارسا آسيويا ، نشب عليه ثعبان مخيف ، فصده بمجنته ، وهم بقتله بسيفه المسلول (الصورة ـ ٤٣ ـ) . القرن ٦ هـ = ١٢ م .

---

(١) انظر البحث الخاص بالرقة .

الـرواق الأول : عـرضت فى خزائنه الست النقود العربية الاسلامية مصنفة حسب الدول العربية الاسلامية المتتابعة : الأموية ، العباسـية ، نقـود الدويلات التابعـة للدول العباسـية ، الفاطمية ، النقود الاتابكية ، والأيوبية والأرتقيـة • نقـود المماليك ، النقود العثمانية •

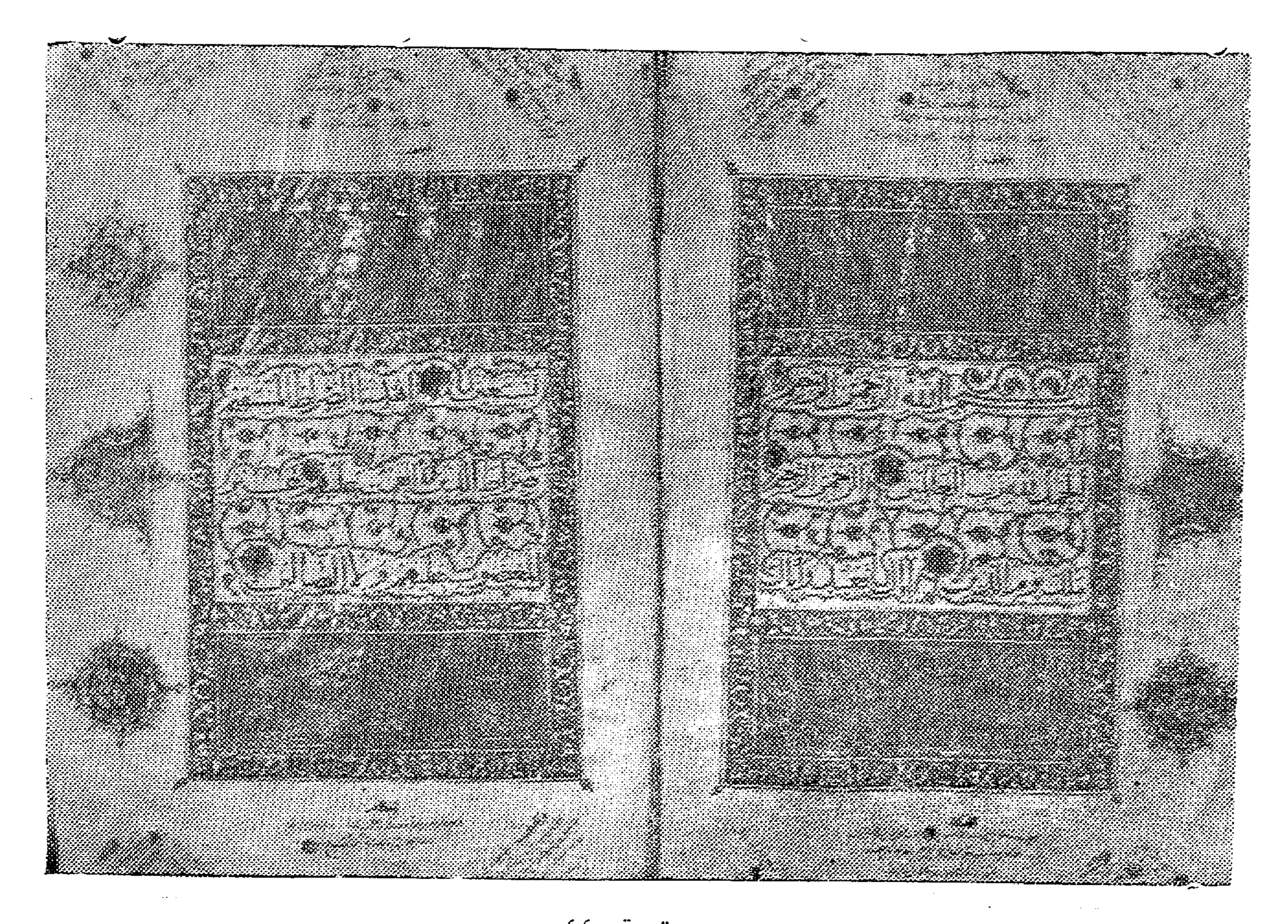
وعـرض خارج الخـزائن قطعا أثرية معدنية : شمعدانات وثريات ••
الرواق الثانى : عرض بثلاث خزائن الحلى وبثلاث أخرى الأسلحة والدروع أهمها درع من العهد المملوكى ، رقمت رقائقه بكتابات مذهبة •

القاعة الشامية : تمثل فن العمارة العربيـة فى القـرن ١٢ هـ = ١٨ م أحلت فيها العناصر الزخرفيـة العائدة الى قاعة المرحـوم جميـل مردم بك ، وهى مؤرخـة من سـنة ١١٥٠ هـ = ١٧٣٧ م • كانت هذه العناصر لا تغطى المساحة الكبـيرة للقاعـة فأكملت على النسق نفسه • وجاءت عملا معجبا فيه خلاصة الأعمـال الفنيـة فى النجـارة والتبليط الرخامى والتدهين والتذهيب (الصورة ـ ١٤ ملونة) •

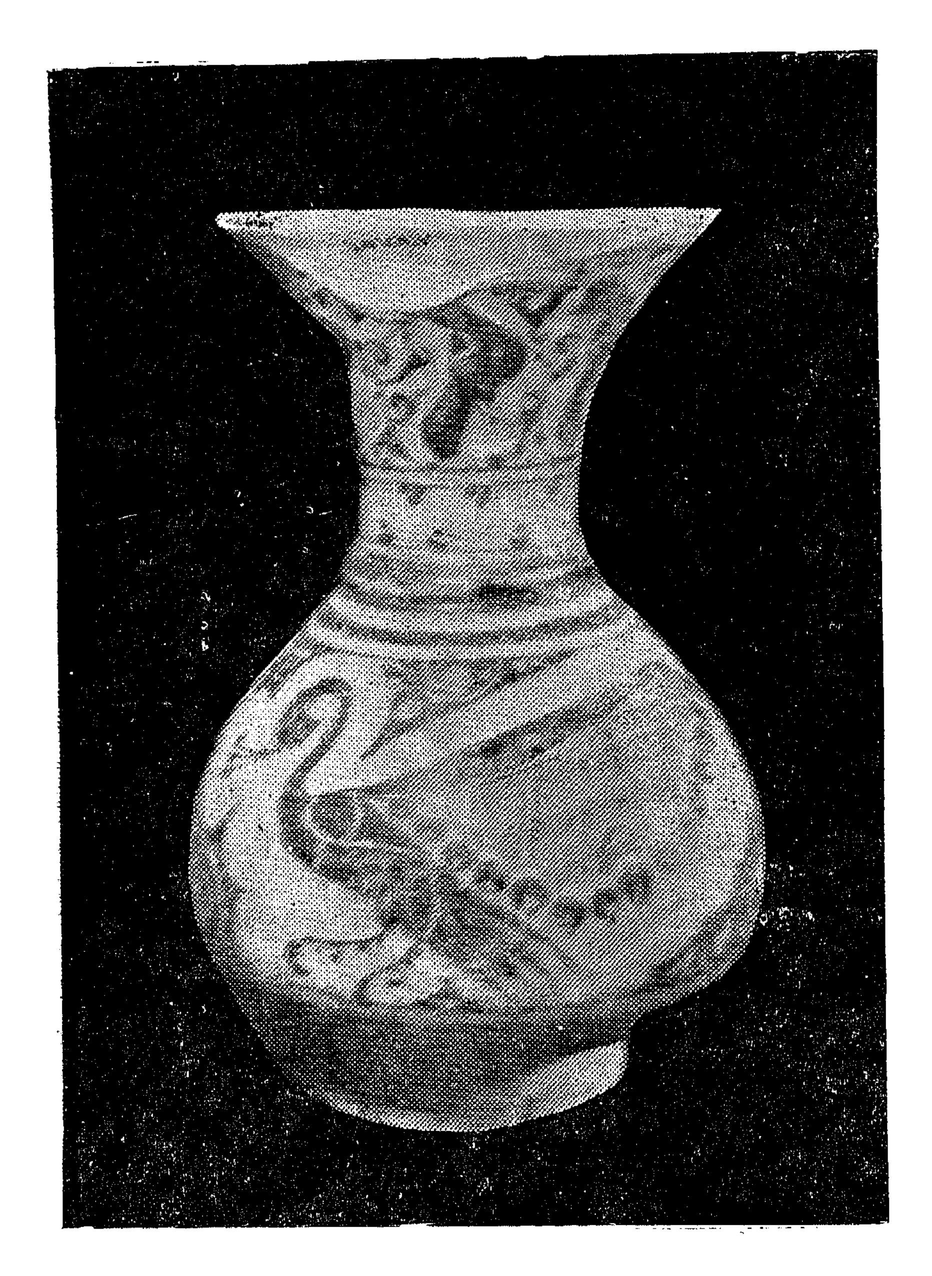
قاعـة الآثار الخشبية : عـرض فيها جزء من حاجز سدة خشبية واردة من جامع مصلى العيدين بدمشق مؤرخة من سـنة ٤٩٧ هـ ، وضريح الأمـيرة السلجوقيـة بختى خـاتون مؤرخ من سنة ٦٤٨ هـ وضريح خالد بن الوليـد أمر بصنعه الملك الظاهر بيبرس سـنة ٦٦٤ هـ ؛ (الصورة ـ ٥ ملون) ولوحات مكتوبة وأجزاء من دور دمشق القديمة وصناديق •••

قاعـة المخطوطات : عرض فيها أمثلة من المخطوطات من القرن الأول الهجـرى حتى القـرن الثـانى عشر الهجرى = ١٩ م • كتب على اللخاف (رقائق الرخام والملاط) والعظام والرق حتى كتب على الورق بمختلف أنواعه •

من دراسة المخطوطات المعروضة يستطيع المطلع أن يقف على تطور الخط العربى منذ كان بسيطا حتى أصبح معقدا يخضع لقواعد دقيقـة لا يمكن الحيـاد عنها •



صورة رقم ٤٤
المتحف الوطنى بدمشق – فرع الآثار العربية الاسلامية – قاعة المخطوطات مصحف نفيس من القرن ٨ هـ = ١٤ م يخص حاكم دمشق الأمير منجك (القرن ٩ هـ = ١٥ م)



صورة رقم ٤٥
المتحف الوطنى بدمشق - فرع الآثار العربية الاسلامية - قاعة الخزف - تحفة من الخزف الدمشقى المتعدد الألوان (القرن ٧ هـ = ١٣ م)

أهم المعروضات أمثلة من الرقوق القديمة والوثائق والمصاحف المنمقة بالألوان والذهب من العهد المملوكي (الصورة — ٤٤ —) ثم من العهد العثماني ، والكتب المصورة العربية والفارسية ٠

عرض في هذه القاعة الآثار الفلكية : أرباع فلكية ، اصطرلابات ، كتاب الصور للفلكي عبد الرحمن الصوفي ، الساعة الرملية ؛ القبة السماوية ٠٠٠٠٠

قاعة حماة : تضم الآثار المكتشفة في حماة على أثر التنقيبات التي قامت بها البعثة الأثرية الدانماركية برئاسة الأستاذ انهولت بين عامي ١٩٣٢ — ١٩٣٨ وهي مجموعات من الفخار المتنوع والخزف والأواني المعدنية والزجاجية ٠

قاعة الفخار : عرض فيها أمثلة عن الفخار من أقدم العهود العربية حتى العهد العثماني ، فهي تمثل بحق تطور صناعة الفخار العربي في جميع مراحله وجميع اتجاهاته وأساليب صناعته ٠

قاعة الخزف : عرضت أنواع الخزف العربي : كل نوع في خزانة: الخزف الوحيد اللون، الخزف المحزوز والمطلي المسمى (الجيري) ، الخزف المتعدد الألوان (الصورة — ٤٥) ، الخزف المزين بزخارف ذات بريق معدني ؛ الخزف المزين بزخارف سوداء تحت ميناء زرقاء زنجارية شفافة الخزف المزين بزخارف زرقاء أوسوداء تحت ميناء شفافة غير ملونة ، الخزف المتأخر في العهد العثماني ٠

قاعة الآثار الحجرية : تضم عناصر معمارية أو ألواح مكتوبة ، وضريح الشهيد بلك بن بهرام مؤرخ من سنة ٥١٨ هـ ، وواجهة مسجد من مسكنه من القرن ٥ هـ = ١١ م ، ونحائت من العهد السلجوقي والارتقي ٠٠٠٠

قاعة الآثار المعدنية : عرض فيها أوان وأدوات متنوعة من النحاس الأحمر والنحاس الأصفر والنحاس المبيض والنحاس المكفت بالفضة والميناء؛ وأدوات من الفولاذ والحديد .. تمثل هذه المعروضات جميعا تطور الصناعة المعدنية العربية من العهد المملوكي الى القرن ١٢ هـ = ١٨ م .

قاعتا الزجاج : صنف الزجاج حسب تسلسله الزمني وحسب صنعته : الزجاج البسيط ، الزجاج المزين بالخيوط والأقراص والحبيبات الزجاجية؛ الزجاج المزين بالخيوط الغاطسة في الوسط الزجاجي ؛ الزجاج المنفوخ بقالب ؛ الزجاج المحكوك والمقصوص والمحزوز ؛ الزجاج المموه بالميناء والذهب .....

عرض في احدى الخزائن الوزنات والصنجات الزجاجية وهي تحمل كتابات من العهد الأموي حتى آخر العهد الفاطمي .

٤ — فرع الفن الحديث :

يحتل الطبقة الأولى من الجناح الغربي وهو مؤلف من ست قاعات صنفت فيها اللوحات الفنية والتماثيل والنحائت حسب المدارس الفنية الحديثة من المدرسة الأكاديمية حتى آخر ما وصل اليه الفن التجريدي من اتجاهات ....

أهم المعروضات التي لها صلة بتاريخ البلاد : معركة حطين (الصورة — ١٧ —) من أثر الأستاذ سعيد تحسين ، أبو عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة من أثر الأستاذ توفيق طارق ، تمثل هذه الآثار الفنية مناظر طبيعية وأثرية من سورية كما تجسم العادات والتقاليد المحلية والمعتقدات الجديدة ، وتسجل أهم أحداث البلاد القومية .

هذه الكلمة السريعة لا تفي بالحاجة أبدا للتعرف على آثار المتحف الوطني بدمشق نرجو أن يراجع الكتاب الذي وضعه محافظو المتحف الوطني .

متحف التقاليد الشعبية والصناعات الدقيقة بدمشق

أنشيء هذا المتحف سنة ١٩٥٣ وأقر فى قصر العظم بدمشق . مثلت فيه التقاليد والعادات الشعبيةالمعروفةفى سورية العربية ؛ كما مثلت الصناعات اليدوية الدقيقة التى انقرض بعضها وعرضت فيه أمثلة من المصنوعات المختلفة .

احتل القسم الأول تسع قاعات من جناح الحريم (الحرملك) ، واحتل القسم الثانى أربع قاعات أخرى من جناح استقبال الرجال (السلاملك) . أتى العرض مشوقا لأنه وضع فى اطار جميل ، يذكر بالماضى القريب.

فرشت القاعة الأولى بأثاث من الخشب مرصع بالصدف ومنزل بالقصدير ؛ وفرشت القاعة الثانية المخصصة للاستقبال بأثاث شرقى من الخشب المحفور والأرائك المريحة والقماش الدمشقى الفاخر والسجاد وقد عرض فى القاعة أنواع الأوانى المنزلية من خزف وزجاج ونحاس ومصابيح وطرف ؛ تعطى فكرة عن مدخرات الأسر الدمشقية العريقة .

أما القاعة الثالثة المخصصة للجلوس فقد فرشت بالسجاد والأرائك ومثل فيها سيدتان يلعبن (البرجيس)وزائرة رفعت خمارها وأسلمته الى الخادم .

أما القاعة الرابعة فقد فرشت بأثاث من خشب الجوز المطعم بخشب أبيض دقيق الصنع .

خصصت القاعة الخامسة لتمثيل الحج الى الديار المقدسة : المحمل الشريف ، الحاج وأدواته ، المصاحف الصغيرة المحفوظة بعلب ذهبية كانت تحمل المحمل ....

مُثل فى القاعة السادسة المقهى الشعبى وفيه (الحكواتى) والخيال المتحرك (قره جوز) والألعاب الشعبية ....

عرض فى القاعة السابعة أمثلة من الأسلحة البيضاء والأسلحة النارية وتوابعها • بعد زيارة هذه القاعة يدخل الى حمام القصر ، ففيه قسم بارد وقسم أوسط وقسم داخلى حار • هندسة الحمام وطريقة تدفئته تمثل الحمام الشرقى بصورة عامة •

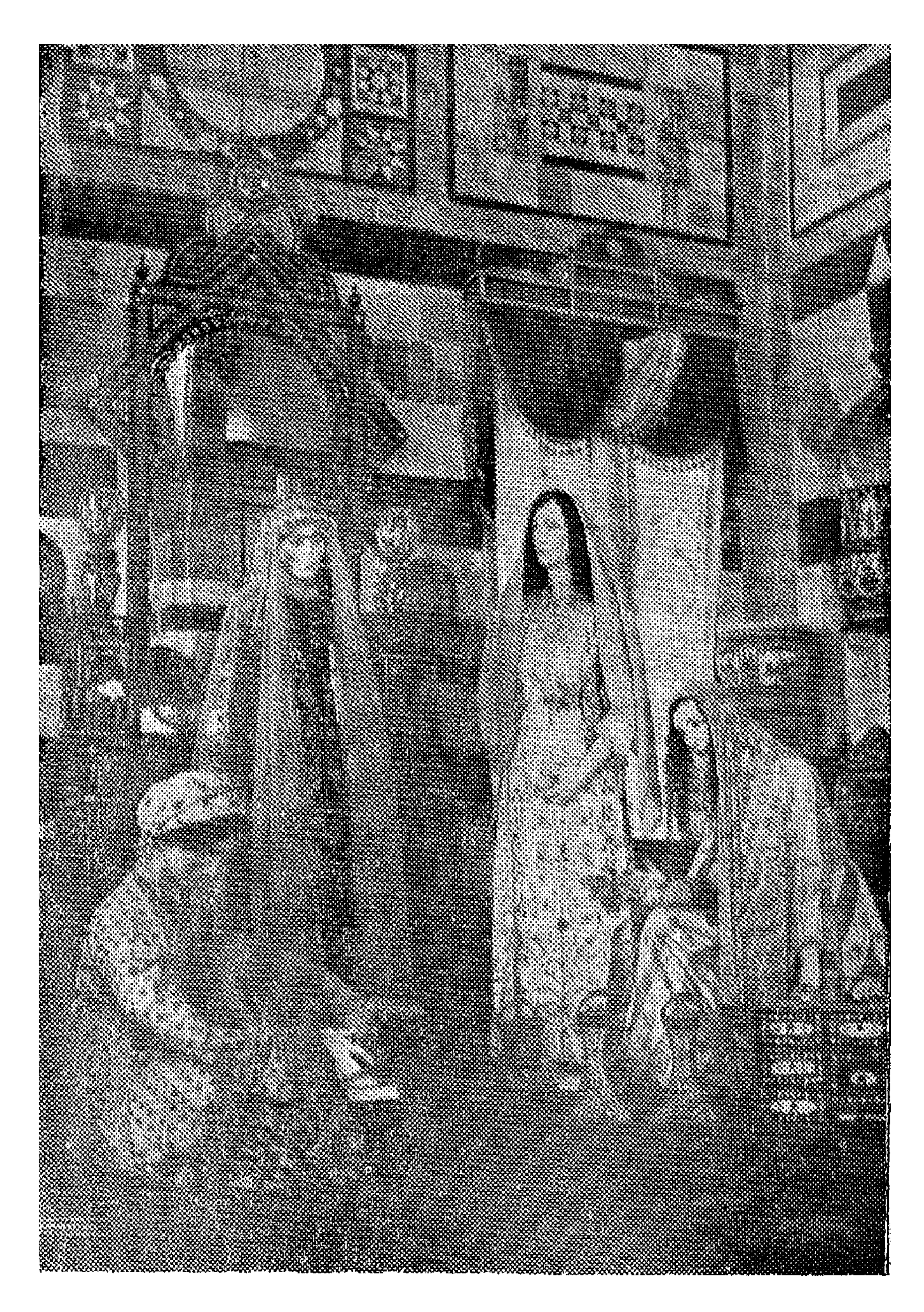
بعد الخروج من الحمام يمكن للزائر أن يلقى نظرة على الحديقة الداخلية ، والخيمة العربية ثم يعرّج على قاعة الاستقبال الكبرى •

تتألف قاعة الاستقبال من عتبة وثلاثة طزرات وغرفتين جانبيتين • فرشت القاعة بالأثاث العربى الفاخر ، ومثل فى الطرز الأوسط الباشا ومحاسبه ووكيله (الصورة - ٤٧) كما مثلت فى الطرز الأيسر العروس والماشطة والمزينة وأدوات الزينة (الصورة - ٤٦) وعرض فى الطرز الأيمن عدد كبير من التحف الخزفية والزجاجية والنحاسية • احدى الغرفتين الملحقتين بالقاعة الكبرى فرشت حسب النمط الحورانى (حوران منطقة فى جنوبى دمشق محافظة على عاداتها العربية شبه البدوية) ، وفرشت الثانية حسب النمط الدرزى (جبل الدروز يقع أيضا فى جنوبى سورية وهو محافظ على التقاليد المحلية) • وعُرض فى كل منها أنواع الأثاث والثياب وما يمتّ الى عادات المنطقتين •

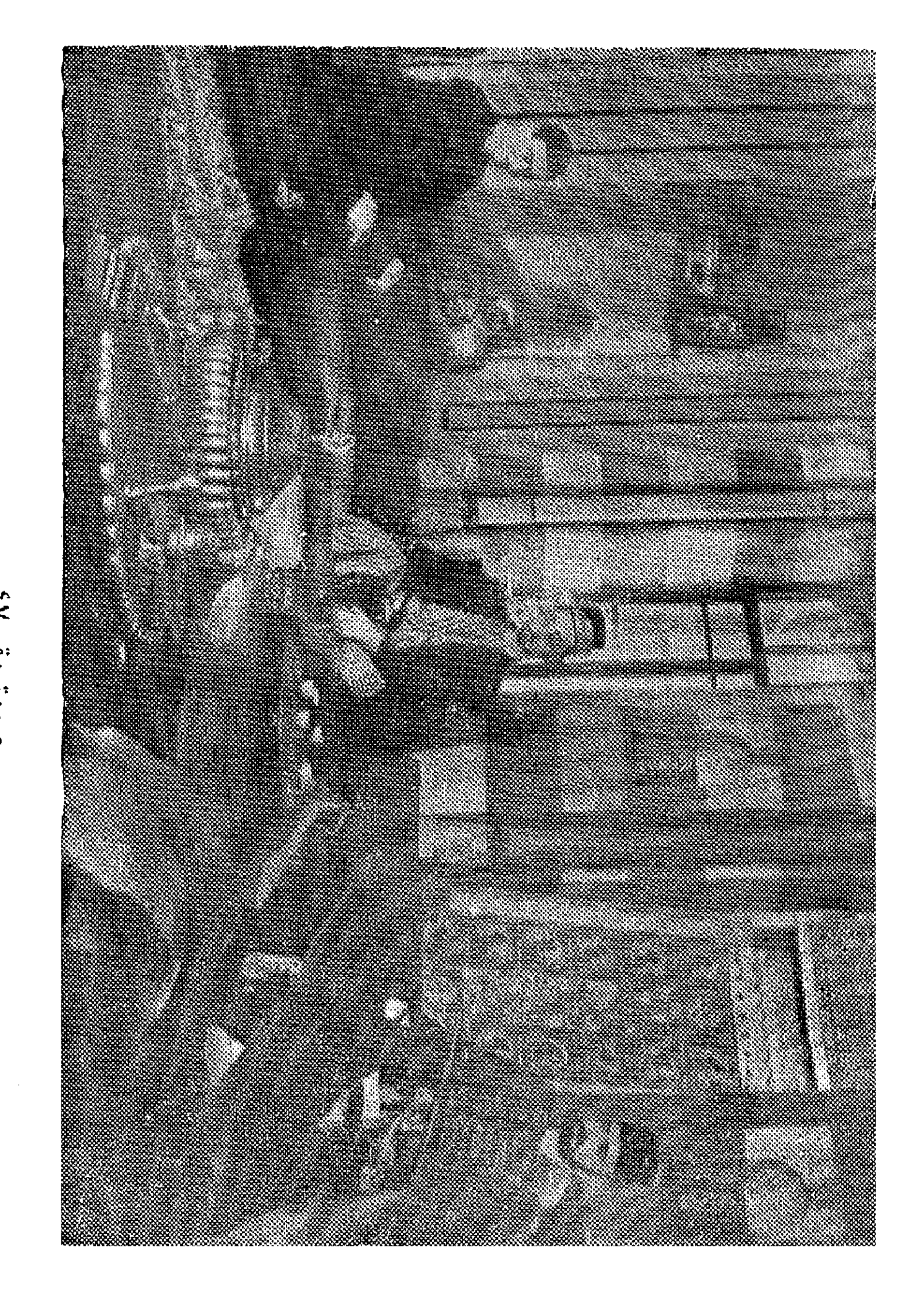
نتخلص من القسم الأول الى القسم الثانى حيث عرضت مشاهد من الصناعات اليدوية الدقيقة :

مثّلت فى القاعة الأولى الصناعات الريفية اليدوية المعروفة فى المحافظات السورية كصناعة القش والنسيج والسجاد ••••

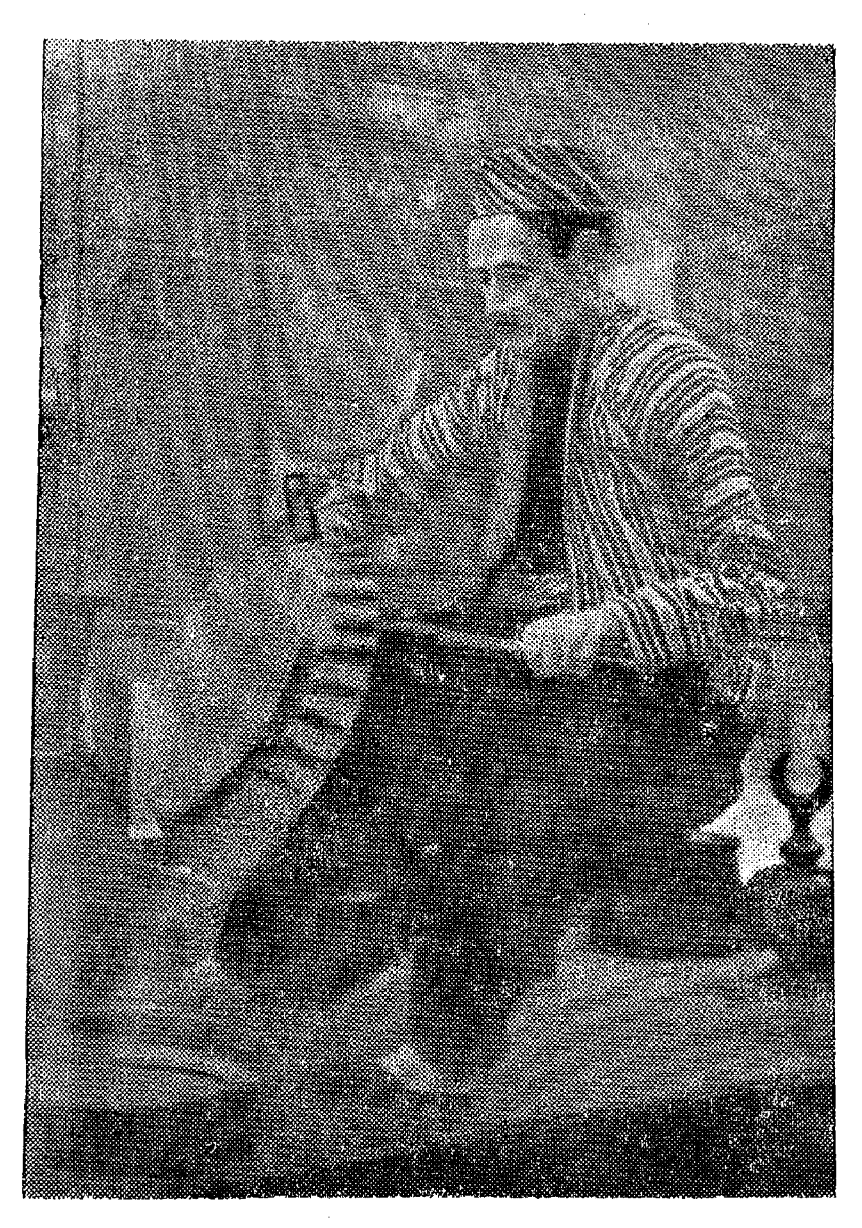
خُصصت القاعة الثانية للصناعات الجلدية بجميع أنواعها ، وخاصة الأرائك المنفوخة والحقائب ومحافظ أدوات الصيد ••



صورة رقم ٤٦
متحف التقاليد الشعبية في قصر العظم بدمشق — جلوة العروس



صورة رقم ٤٧
متحف التقاليد الشعبية في قصر العظم بدمشق — مجلس الباشا .



صورة رقم ٤٨
متحف التقاليد الشعبية والصناعات اليدوية الدقيقة في قصر العظم
بدمشق - النحاس

أما القاعة الثالثة فقـــد خصصت لحيـاكة النسيج المحـلى : الغـالى منهـا والرخيص (كالألاجا والديما) والنسيج المطبوع وأدوات الطبع وطريقة تنفيذه. وألحق بذلك صناعة الزنانير .

أما القاعة الرابعة فقد مُثّل فيها النحاس (الصورة - ٤٨) ونقّـاش النحـاس مع جميـع أدواته ، وعرضت فيها أمثلة عـديدة عن أنواع النحـاس الأحمر والأصفر وطريقة نقشه وتجفيته (انزال قطع فضية فى الآنية النحاسية) وتكفيته (تنزيـل الخيـوط الفضية والذهبية لابراز العناصر الزخرفية) .

متحف حلب

لمحة تاريخية :

تأسس متحف حلب سنة ١٩٣١ وقد اقر في بناء بسيط من العهد العثماني. وفي سنة ١٩٥٦ وضع الحجر الأساسي لمتحف حلب الجديد . وانتهى هذا البناء في عام ١٩٦٦ . بني المتحف الجديد على أحدث الأساليب المتحفية فهو مكون من طبقة أرضية وطبقة علوية ، كل طبقة مكونة من أربعة أجنحة كبيرة . أما القبو فقد خصص للمستودعات والمعمل الفني والمرأب وما الى ذلك (الصورة ـ ٤٩) .

تقوم الآن لجنة لأعداد متحف حلب، وقد انتهت من تخطيط وتصنيف وتوزيع الآثار السورية القديمة على أجنحة الطبقة الأرضية .

الجناح الأول :

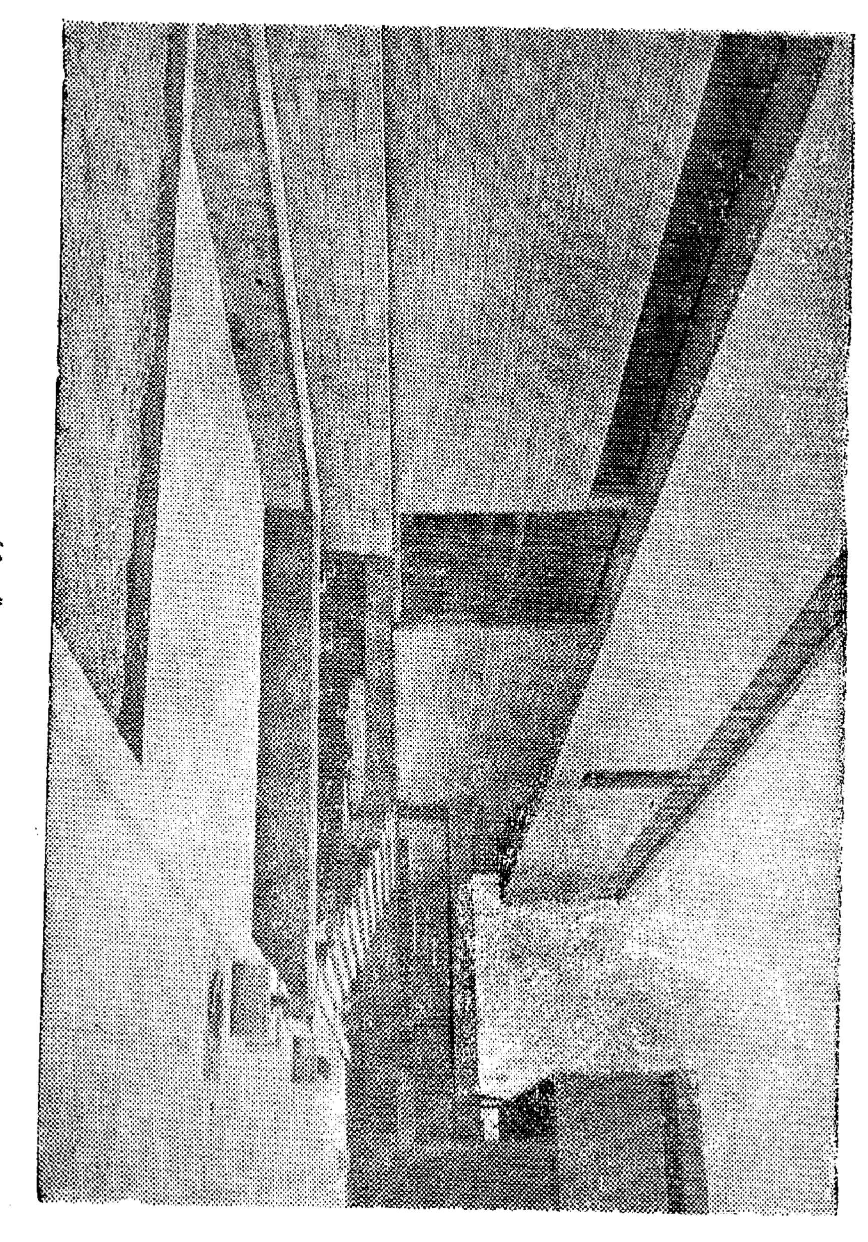
خصص لما قبل التاريخ وقد صنف حسب عصوره المتسلسلة : العصر الحجري القديم ، العصر الحجري المتوسط ، العصر الحجري الحديث ؛ العصر الكالكوليتي

سيمثل العصر الحجري القديم بغاريبدو فيه الانسان القديم يمارس أعماله من تهيىء سلاحه وصيده ومأكله . وسيعرض الى جانب الغار آثار من السيليكس (الأدوات الصوانية) مصنفة حسب تسلسلها التاريخي وحسب أنواعها . وسيمثل العصر الحجري المتوسط بتجمع الانسان الأول (القرية بدورها البدائية المستديرة) .

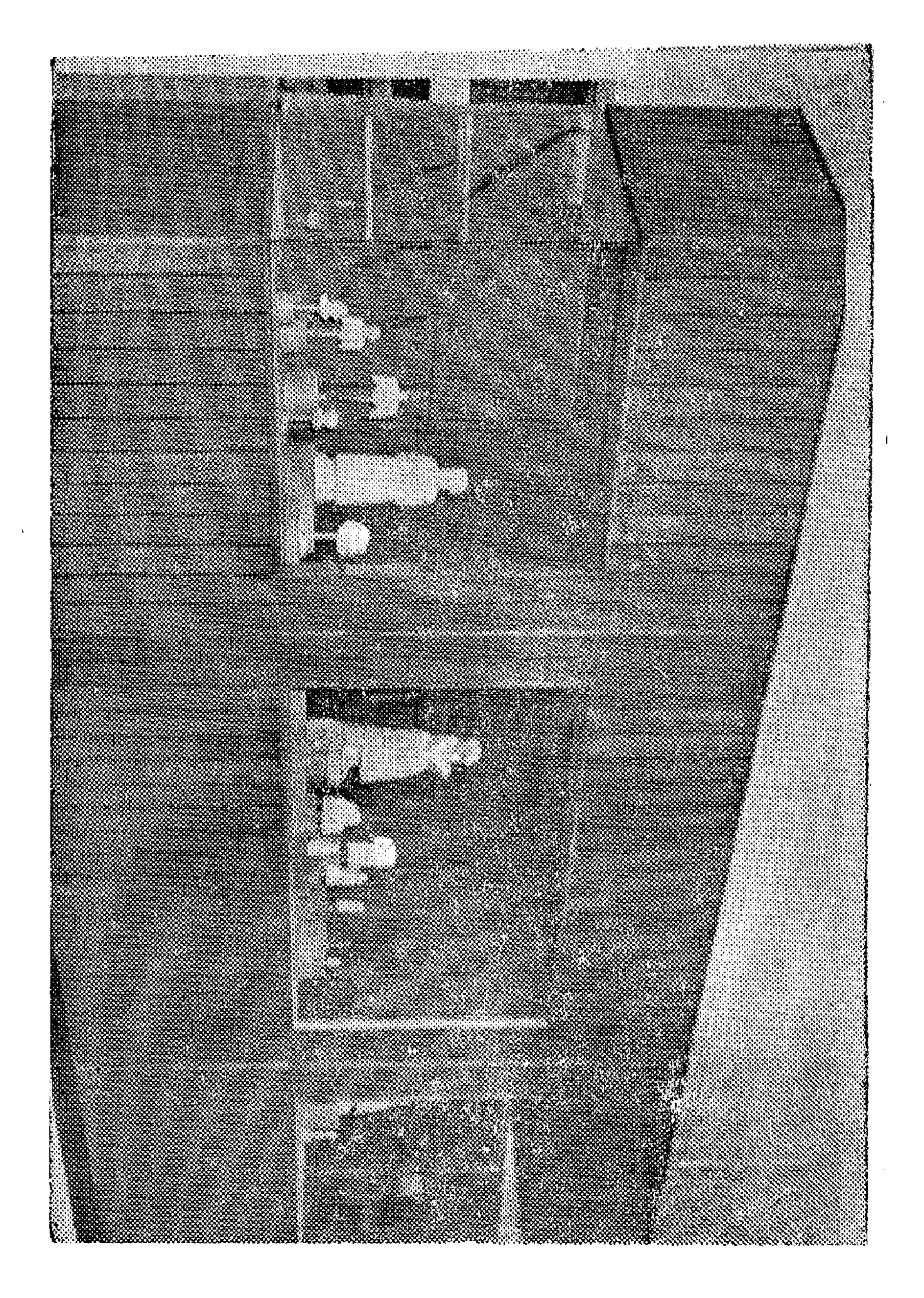
سيمثل العصرين الحجري الحديث والكالكوليتي بثلاثة مشاهد مجسمة تمثل التجمع (القرية) ، تأهيل النبات والحيوان ، الصناعة البدائية ؛ ومنها صناعة الحجر المجلو وصناعة الفخار الأول .

الجناح الثاني :

خصص للآثار السورية القديمة من الألف الرابع الى الألف الثاني ق.م. للمواقع الأثرية : تل براك ؛ شاكر بازار ؛ تل ميفس ؛ تل اسود ،



صورة رقم ٤٩
منظر جانبي للمدخل الرئيسي لمتحف حلب



صورة رقم ٥٠

متحف حلب – خزانة التماثيل في قاعة مارى .

مارى - (تل الحريرى) ؛ حمـاة ،أوغاريت (رأس الشمرة) وفيها تتمثل الحضارة الأكّادية والآمورية والكنعانيةوالفينيقية القديمة •

عرض من هـذه المواقع الأثريةالتى وزعت آثارهـا الى قاعات منفصـلة الأشياء التالية :

١ - الأوانى الحجرية المجلوة من الألباتر والستاتيت والديوريت •

٢ - الأوانى الفخـارية البسيطة والملونة والمزخرفة •

٣ - الدمى والتمـائم الفخـارية والحجرية •

٤ - الأوانى الخزفية المـموّهة بالميناء •

٥ - التماثيل الحجرية • ونخصّ منها بالذكر التماثيل الواردة من مارى : ايشتـوب ايـلوم (من الديوريت)(الصورة - ٥١) ربة الينبوع (من الألباتر) (الصورة - ٥٢) ، تماثيل متنوعـة للأمراء والمتعبـدين من مارى (من الألباتر) (الصورة - ٥٠ والصورة٥٣) لبوة مارى (من البرونز) •

٦ - النحائت والأنصاب •

٧ - الأختام الأسطوانية والمبسطة •

٨ - الرُقُم والأكباد الفخـارية المكتـوبة بالخـط المسمـارى والكتابة الاوغاريتية •

٩ - الأدوات والأسلحة البرونزية •

١٠- التماثيل الفضية والبرونزيةومنها ما هو مغطى بغشاء ذهبى •

١١- الحـلى الذهبيـة والحجـارةالكريمة والأوانىالذهبية(الصورة-٥٥)

١٢ - الآثار العاجيـة من حمـاة وأهمها كأس ثمروتها على شـكل تيس (الصورة - ٥٤) •

الجنـاح الثالث :

خصص لآثار الألفالأول ق•م الواردة منالمواقع الأثرية: تل حلف ارسلان طاش ، تل حاجب تل أحمر •

تتمثـل بهـذه الآثار الحضـارةالآرامية والآشورية والحثية • صنفت قاعات هذا الجناح حسب المواقع الأثريةوعُرض فيها الآثار التالية :

١ - التماثيل والأنصاب والنحائتأهمها : أجزاء من واجهة معبد تل حلف ، والانسان العقرب وتمثال حامل الصندوق من ارسلان طاش (الصورة - ٥٩) ، ونصبا تل أحمر الضخمين (أسار حادون) • (الصورة - ٦١) ، ونحيتة أفكيدو وغلجامش (الصورة - ٥٧) ، ونحيتة الأسد (الصورة - ٥٨) ، وتمثال الأسد الحارس (الصورة - ٦٠) •

٢ - أجزاء رسوم جدارية ملونة من تل أحمر •

٣ - أوان فخارية متنوعة من تل أحمر •

٤ - أجزاء من الزخارف العاجية من ارسلان طاش كانت تزين عرش ملك دمشق الآرامي ، استولى عليه الآشوريين ونقلوه الى عاصمتهم •

الجناح الرابع :

وهو يضم متنوعات من الآثار وردت من تل الخويرة وتل مرديخ وقطنة وعين دارا وسلنكحية وتل قناص والجبول ••••

صنفت هذه اللقى حسب المواقع الأثرية وحسب المادة والموضوع • اليكم بعض هذه المجموعات :

١ - التماثيل الحجرية والنحائت والأجران والأنصاب (أهمها نصب جكة) •

٢ - الأختام الأسطوانية والأختام المسطحة •

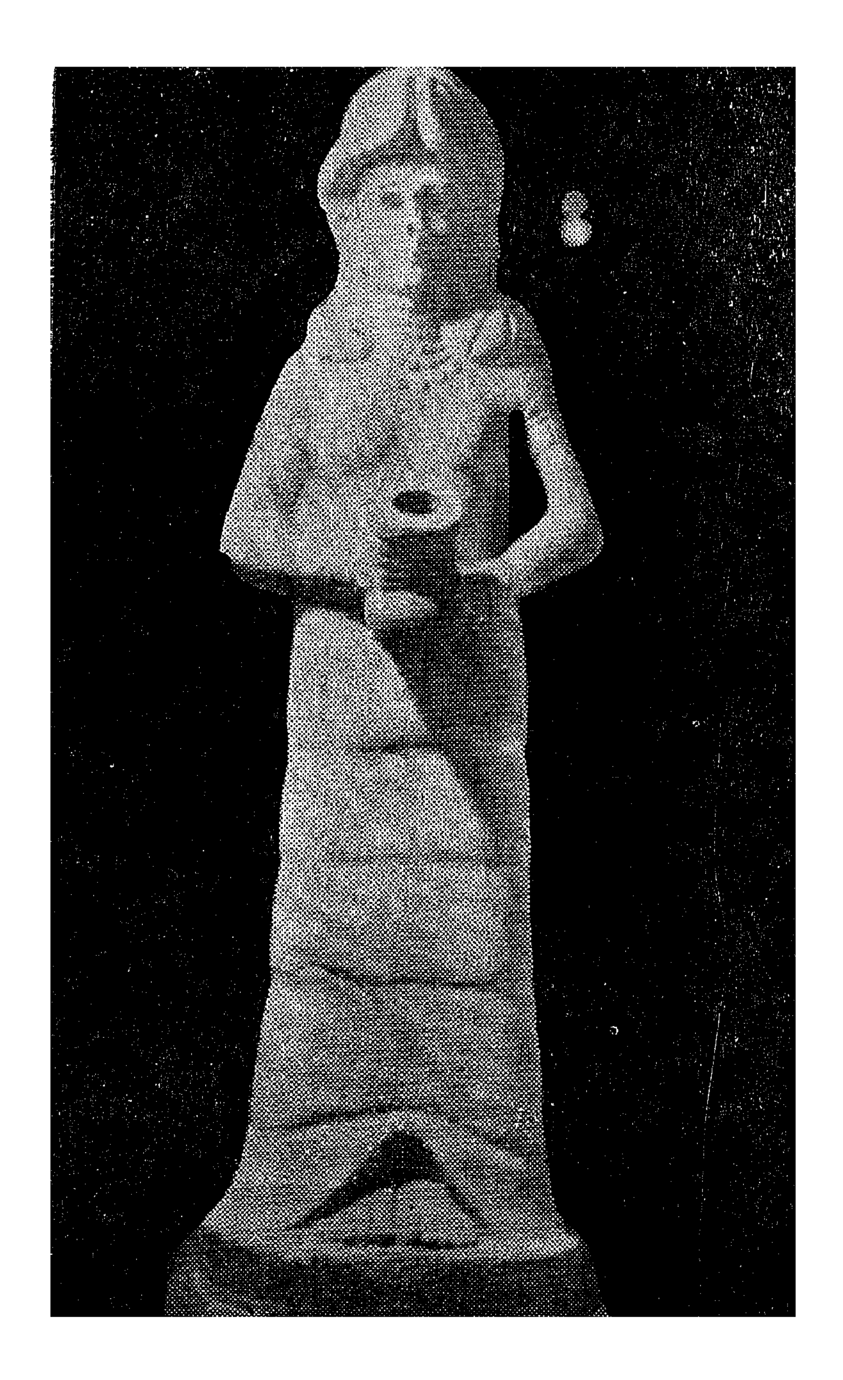
٣ - الأواني والدمى الفخارية •

٤ - التماثيل والأدوات والأسلحة البرونزية •

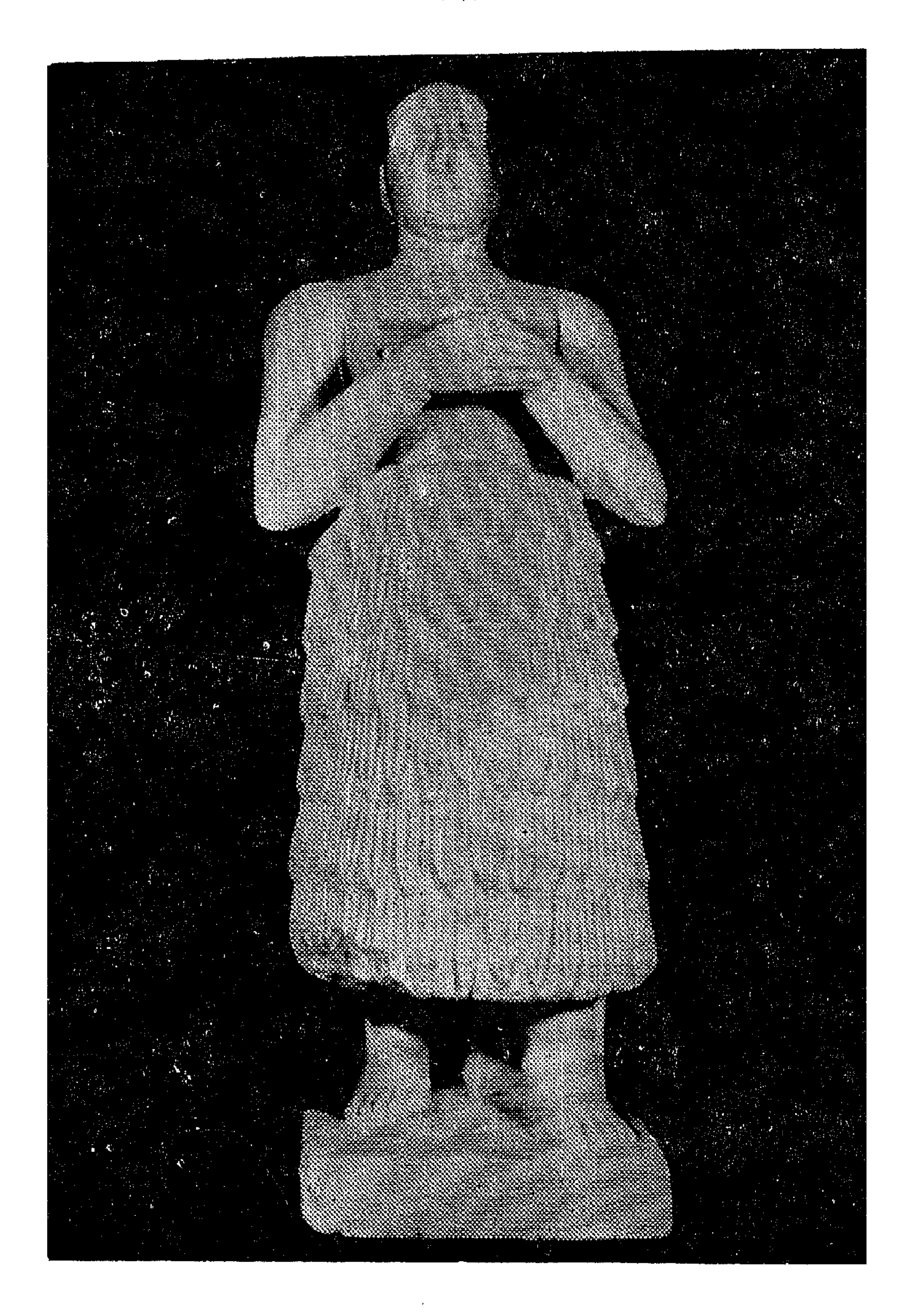
ستخصص الطبقة العليا للآثار السورية من العهود الكلاسيكية (اليونانية والرومانية والبيزنطية) والآثار العربية الأسلامية •



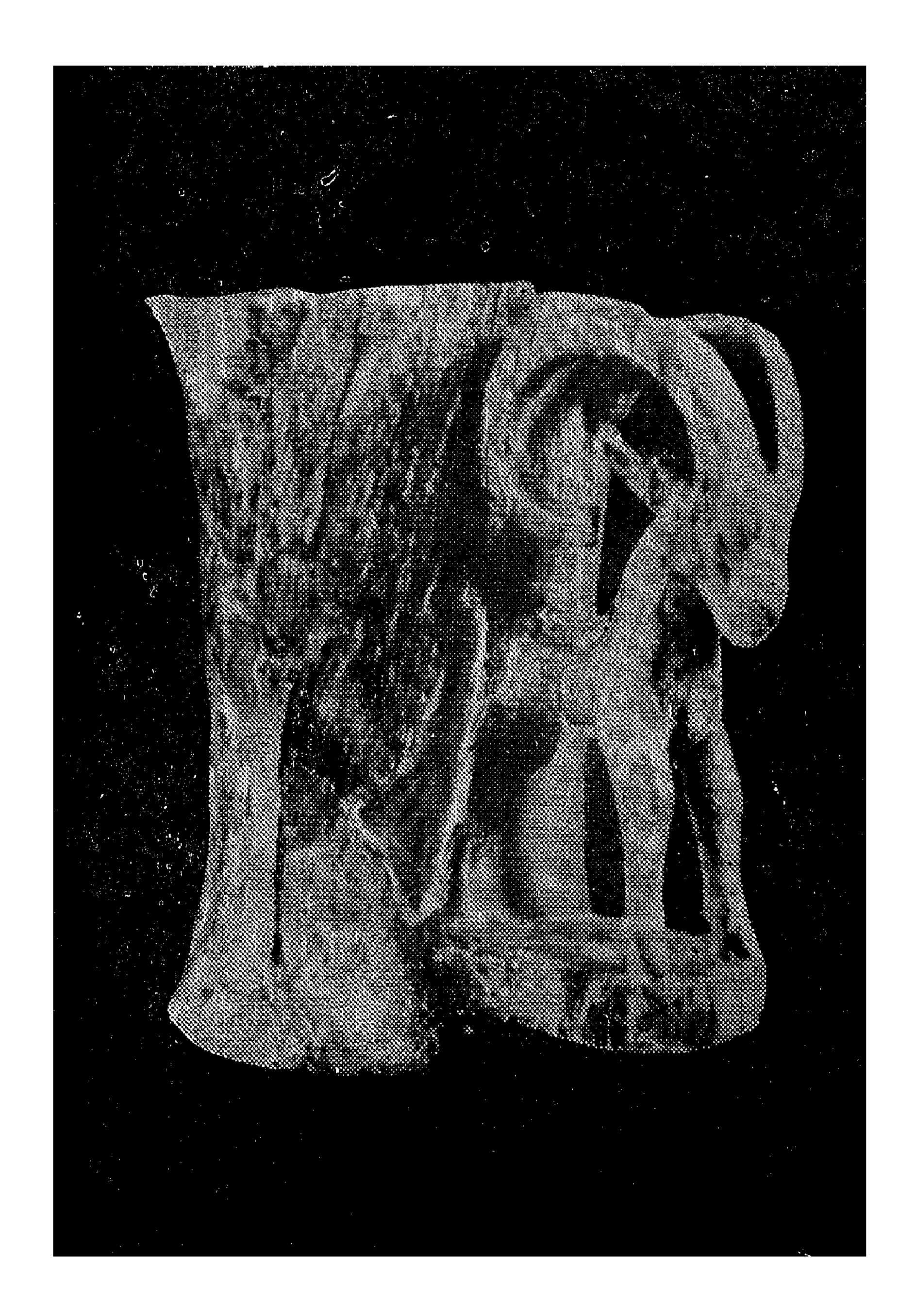
صورة رقم ٥١
متحف حلب - ايشتوب ايلوم
قاعة مارى



صورة رقم ٥٢
متحف حلب — ربة الخصب والينبوع
قاعـــة ماری



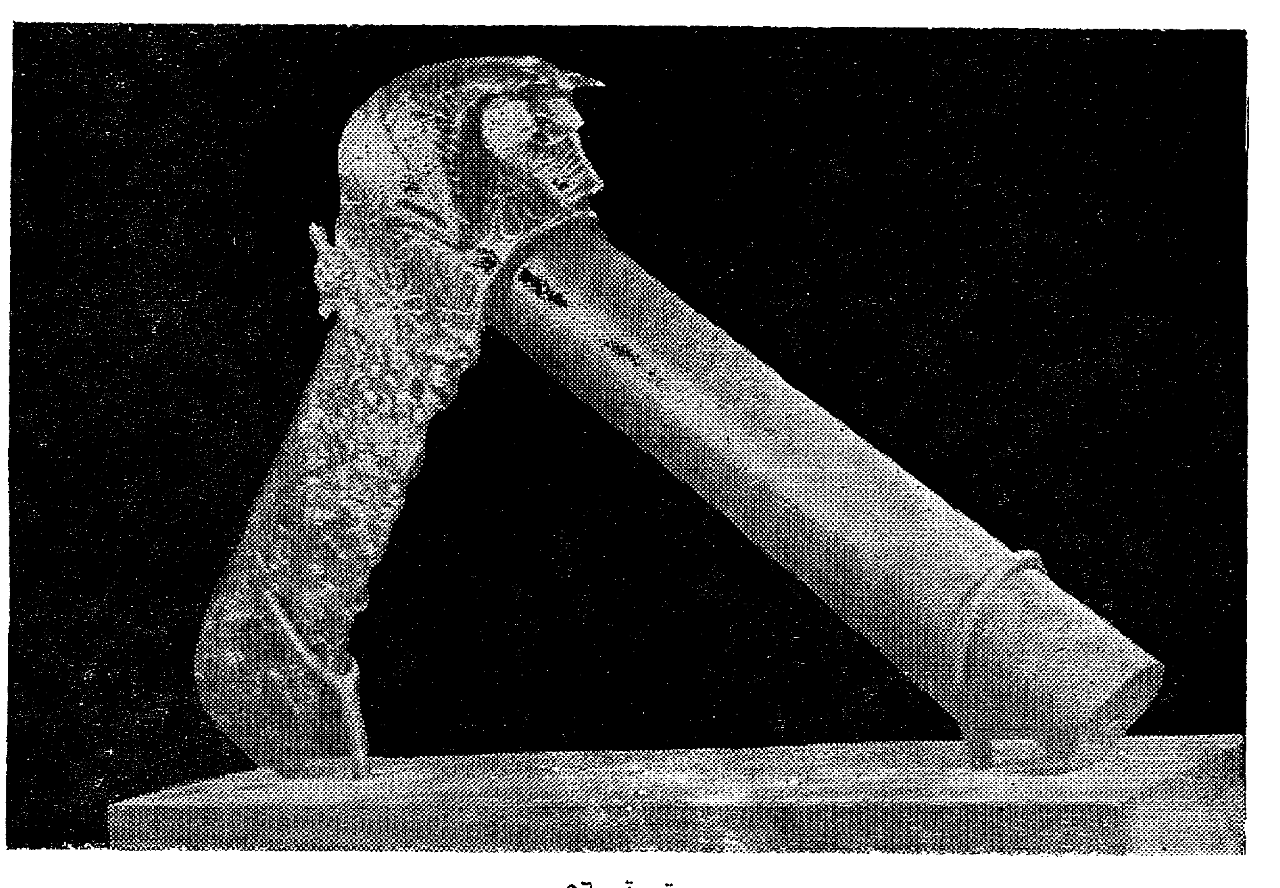
صورة رقم ٥٣
متحف حلب ـ تمثال الأمير
قاعـــة مارى



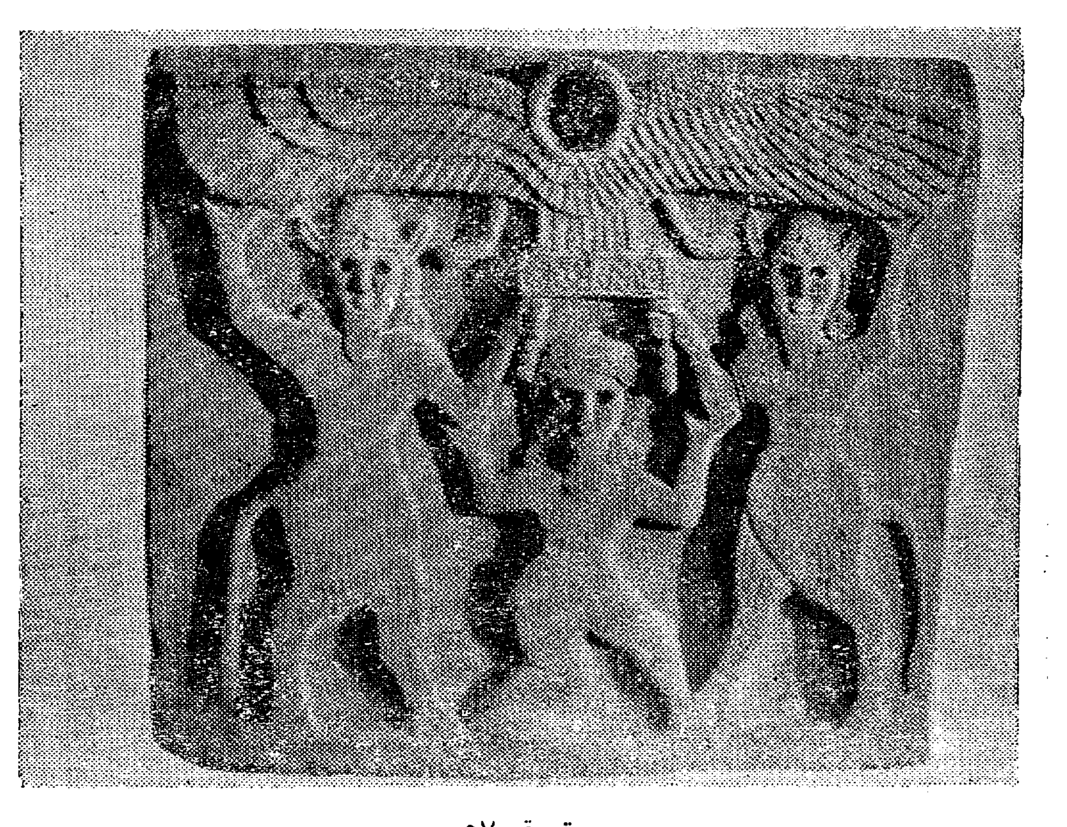
صورة رقم ٥٤
متحف حلب - الكأس العاجي
قاعـــة حماة



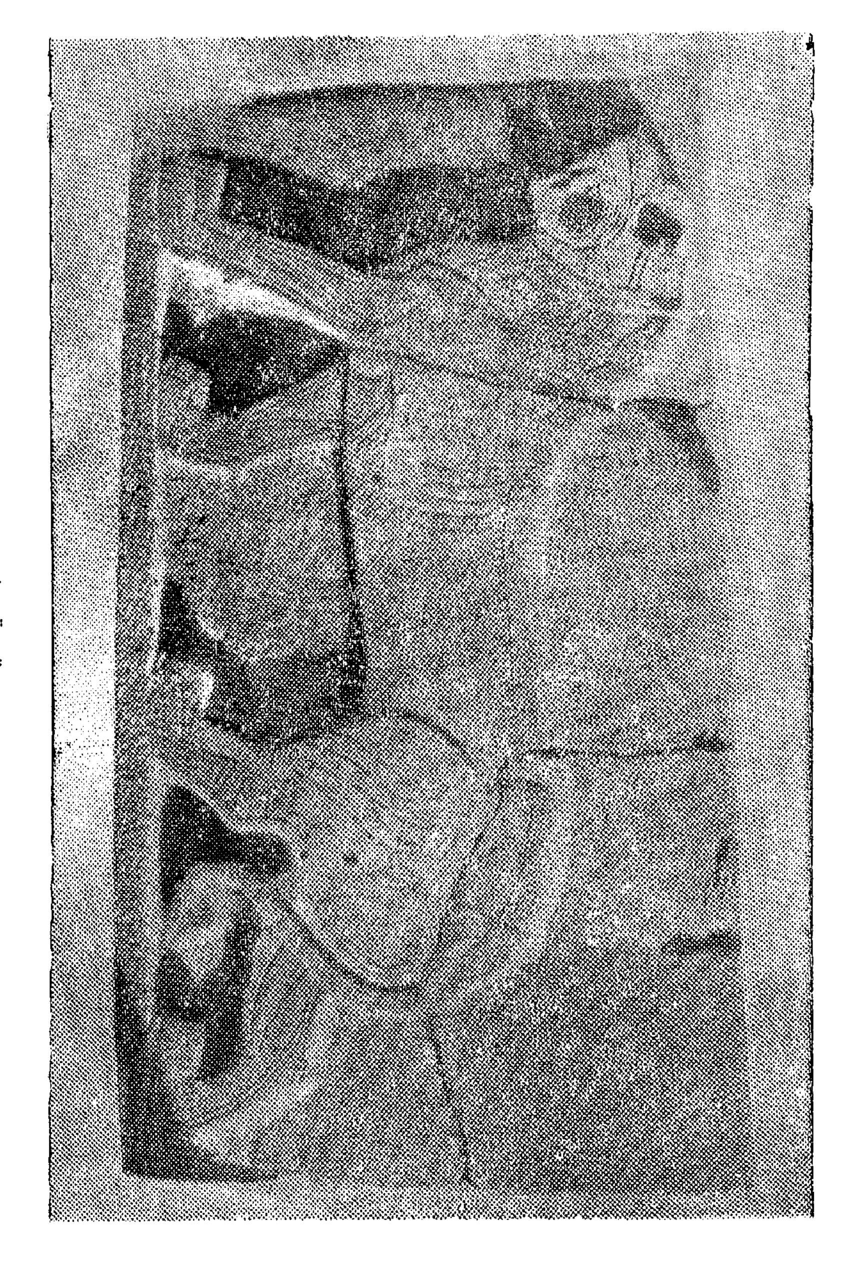
صورة رقم ٥٥
متحف حلب - الطاسة الذهبية
قاعة رأس الشمرة (اوغاريت)



صورة رقم ٥٦
متحف حلب - الفأس البرونزية المكفتة بالذهب
قاعة رأس الشمرة (أوغاريت)



صورة رقم ٥٧
نحيتة افكيدو وغلجامش — قاعة تل حلف

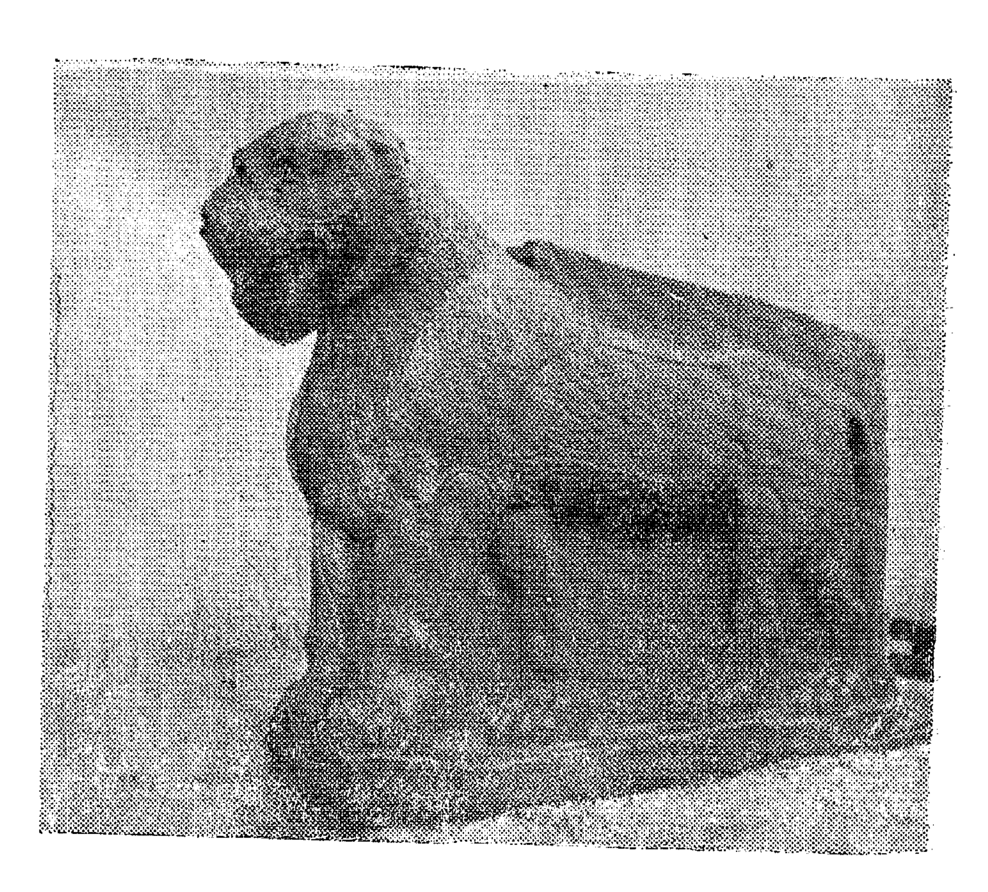


صورة رقم ٥٨

متحف حلب – نحتية الأسد قاعة تل حلف



صورة رقم ٥٩
حامل الصندوق - قاعة أرسلان طاش



صورة رقم ٦٠
الأسد الحارس فى مدخل الباب
قاعة أرســـلان طاش



صورة رقم ٦١
نصب أسر حدون — قاعة تل أحمر

قصر العظم بحمـــاة

متحف حمـــاة

القصر :

شرع أسعد باشا العظم ببنائه سنة١١٥٣ هـ = ١٧٤٠ م ، ثابر على اكمال بنائه من بعده ابن أخيه نصوح باشا العظم بين سنتى ١١٩٤ — ١١٩٥ هـ = ١٧٨٠ م ، ثم أتمّه أحمد مؤيد باشاالعظم ابن الأخير بين عامى ١٢٤١ — ١٢٤٦ هـ = ١٨٢٤ — ١٨٣٠ م •يتألف قصر العظم من أربعة أقسام : الحرملك والسلاملك والحمام والاصطبل

يستقر المتحف فى الأول والأخير•سنستملك الأقسام الأخرى لتوسيع المتحف •

الحرملك : فيه طبقة أرضية وطبقة علوية •

الطبقة الأرضية : باحة تتوسطهابركة مثمنة الشكل • ايوان كبير سقفه من الحجر المعقود زينت واجهة عقدهالزاوى الرأس خيوط زخرفية منحوتة وشغل صدر الأيوان بمنظر ثلاث نوافذتطل على برج أخضر، وتتضمنالزخرفة قصيدة شعرية تشير الى بناء البركة •

بماءى بركة حسنت مزاجا   فلم تبرح لظمآن علاجا •

الطبقة الأولى : باحة واسعةتتوسطها بركة مثمنة الشكل •

الرواق أمام باب القاعة الكبرى محمول على أربعة أعمدة من الرخام والغرانيت ذات تيجان كورنثية ، وفيهاخمسة عقود •

القاعة الكبرى (قاعة الذهب)تتألف من العتبة وهى مفروشة بالرخام المجزع تتوسطها فسقية ، وتعلوها قبةعظيمة (الصورة — ٦٢) • تقوم على جوانب العتبة الطرازات الثلاثة العالية يتبعها غرفتان داخليتان • الطرز

الأوسط ؛ وهو الأهم ؛ ينتهي بشرفة تطل على نهر العاصي • الكسوة الخشبية للجدران والسقوف في جميع هذه الأقسام مزينة بزخارف هندسية تتضمن زخارف نباتية وكتابية ، كلها مجملة بالألوان والذهب • تتميز بعض الرسوم المدهونة التي تمثل دورا وحدائق ومساجد : احداها تمثل القرن الذهبي في استانبول ، وأخرى في احدى القاعتين الملحقتين تمثل منظراً عاماً لحلب تبدو فيها قلعتها الشامخة •

متحف حماة : تأسس سنة ١٩٥٦ لحفظ تراث المنطقة الداخلية الوسطى من سورية وتمثيل عاداتها وتقاليدها الشعبية • جهزت القاعات التالية ، وستحدث بين وقت وآخر قاعات أخرى:

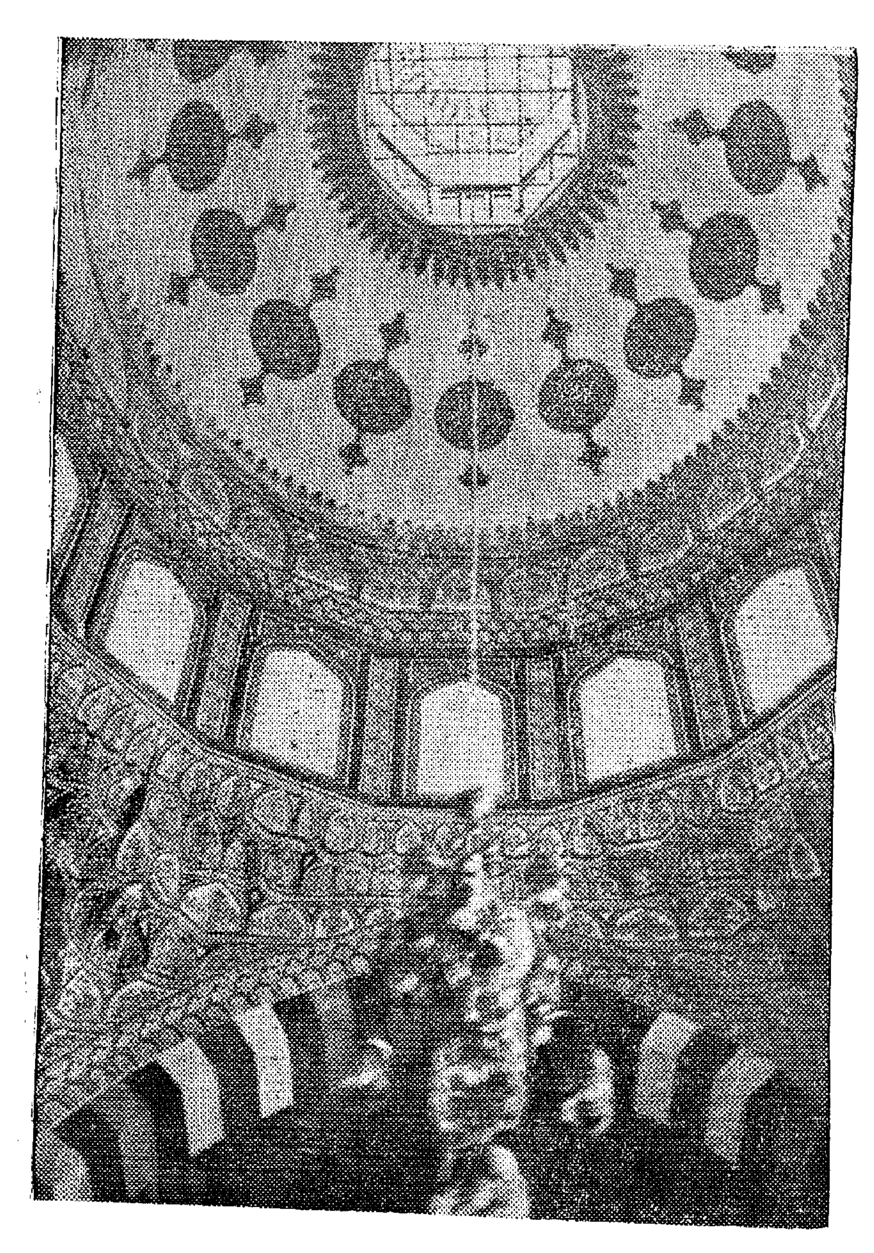
١ ـ قاعة الشهداء : ظهرت للوجود سنة ١٩٦١ وعرض فيها صور أربعين مجاهداً مع ألبستهم وأسلحتهم وبعض وثائقهم •

٢ ـ قاعة الوثائق التاريخية والمخطوطات : عرض فيها فرمانات وبراءات سلطانية وسندات تمليك أقدمها من سنة ٧٦٥ هـ • كما عرض بعض ضبوط وسجلات المحكمة الشرعية التي تقع في ٥٢ مخطوطة مجلدة ترجع الى ما بين (٩٤٤ ـ ١٢٥٩ هـ) •

٣ ـ القاعة الأثرية : دشنت عام ١٩٦٣ وفيها عشر خزائن وبعض القطع الأثرية المعروضة بين الخزائن أكثر الآثار المعروضة اكتشفتها البعثة الدانماركية التي كان يرأسها الأستاذ هارولد انهولت في قلعة حماة بين ١٩٣٢ ـ ١٩٣٨ (الصورة ـ ٦٣) •

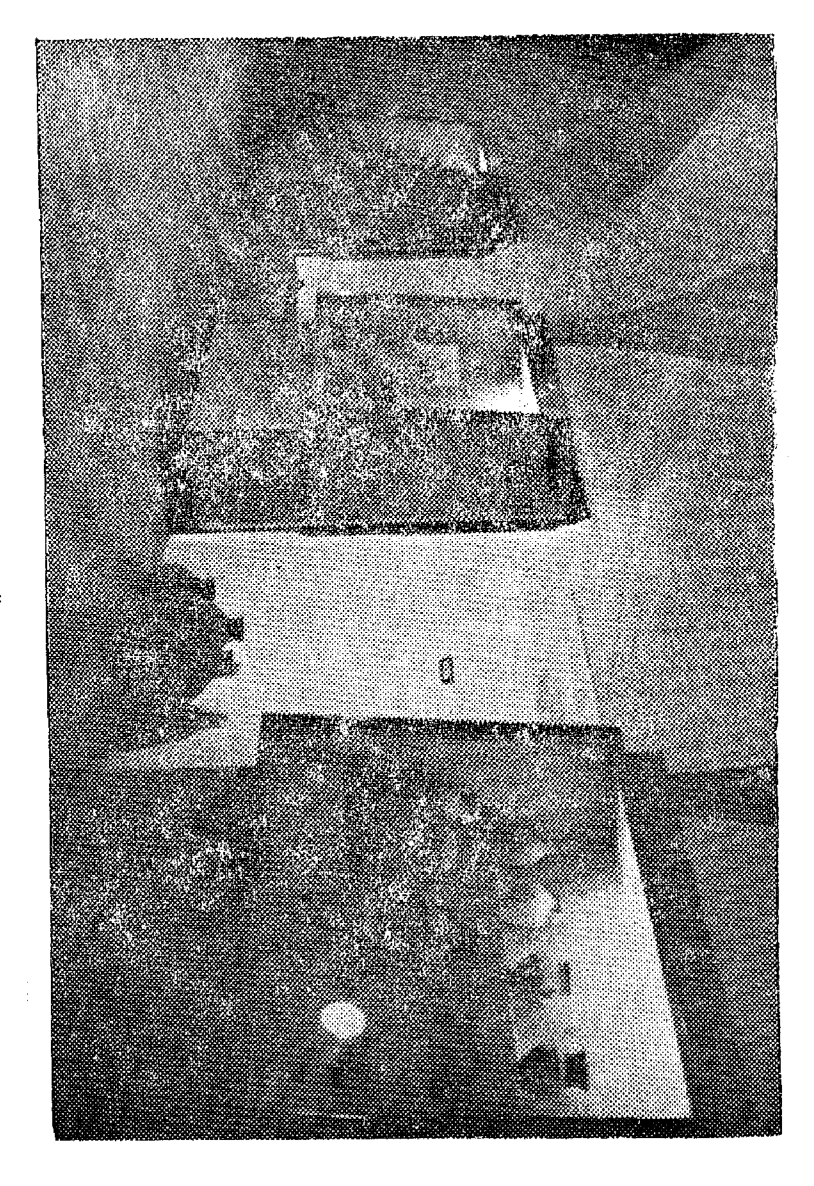
الخزانة ـ ١ : آثار فخارية من العهد الحثي •

الخزانة ـ ٢ : آثار فخارية من العهدين اليوناني والروماني : سرج مصورة ، سراج على شكل حيوان خرافي ؛ فانوس مخرم فيه سراج ؛ تمثال ديك يمتطيه رجل ؛ ابريق من الفخار الأحمر المصقول ••••



صوره رقم ٦٢

متحف حماة ـــ القاعة الكبرى



صوره رقم ٦٣

متحف حماة — القاعة الأثرية

الخزانة - ٣ : آثار برونزية من العهد الرومانى .

الخزانة - ٤ : آثار ذهبية من العهدين الرومانى والبيزنطى : عقدان سوار زين بالضغط، مجموعة من النقود والرقائق الذهبية .

الخزانة - ٥ : آثار زجاجية من العهد الرومانى . بعضها منفوخ بالقالب وبعضها من الزجاج (الفسيفسائى) و (الميليفيورى) .

الخزانة - ٦ : آثار زجاجية من العهد البيزنطى . أبرزها سمكة وحقق صغيرة .

الخزانة - ٧ : آثار فخارية من العهد العربى الاسلامى ، أبرزها مطرات مصنوعة بالقالب .

الخزانة - ٨ : الخزف العربى الاسلامى : الخزف الوحيد اللون والخزف المسمى (اللقبى) .

الخزانة - ٩ : الخزف المتعدد الألوان والخزف المزين بزخارف سوداء وزرقاء على مهد زبدى .

الخزانة - ١٠ : الخزف المزين بزخارف محزوزة غائرة ، والخزف ذو البريق المعدنى .

الأثار خارج الخزائن

- رأس ثور مجوف د قرنين من الحجر البازلتى من العصر الحثى .
- جزء من نصب من الحجر البازلتى عليه كتابة حثية وهيروغليفية .
- ثلاث جرر دفنيّة ؛ رسم على أصغرها مشهد صيد يظهر فيه صياد يصوّب سهمه نحو حيوانات صغيرة أمامه ويبدو من ورائه غزال .
- جرار فخارية كبيرة من العهد الرومانى .
- مذابح تدمرية .

- لوحة مثّل عليها الرب (مترا) يمتطى ثورا من العهد الرومانى •

- لوحة مثّل عليها رجل يقف بين أسدين يصارعهما ويطأ بقدميه عنقى أسدين ساقطين •

- لوحة مثّل عليها القديس سمعان العمودى جالساً على عموده ، ويرى شخص يصعد السلم اليه يحمل سلة •

نواة فرع التقاليد الشعبية والصناعات الدقيقة :

١ - فرشت القاعة الكبرى بالأرائك والسجاد ، وعُرض فيها منقل كبير من النحاس ؛ وشمعدانان كبيران من النحاس ؛ وعدد من الكراسى من الخشب المحفور والمرصع بالصدف وعدد آخر من الموزاييك •

٢ - فى ايوان الطبقة الأرضية معروضات قليلة تمثل صناعة اللبّاد فى حماة وصناعة طبع الأقمشة القطنية •

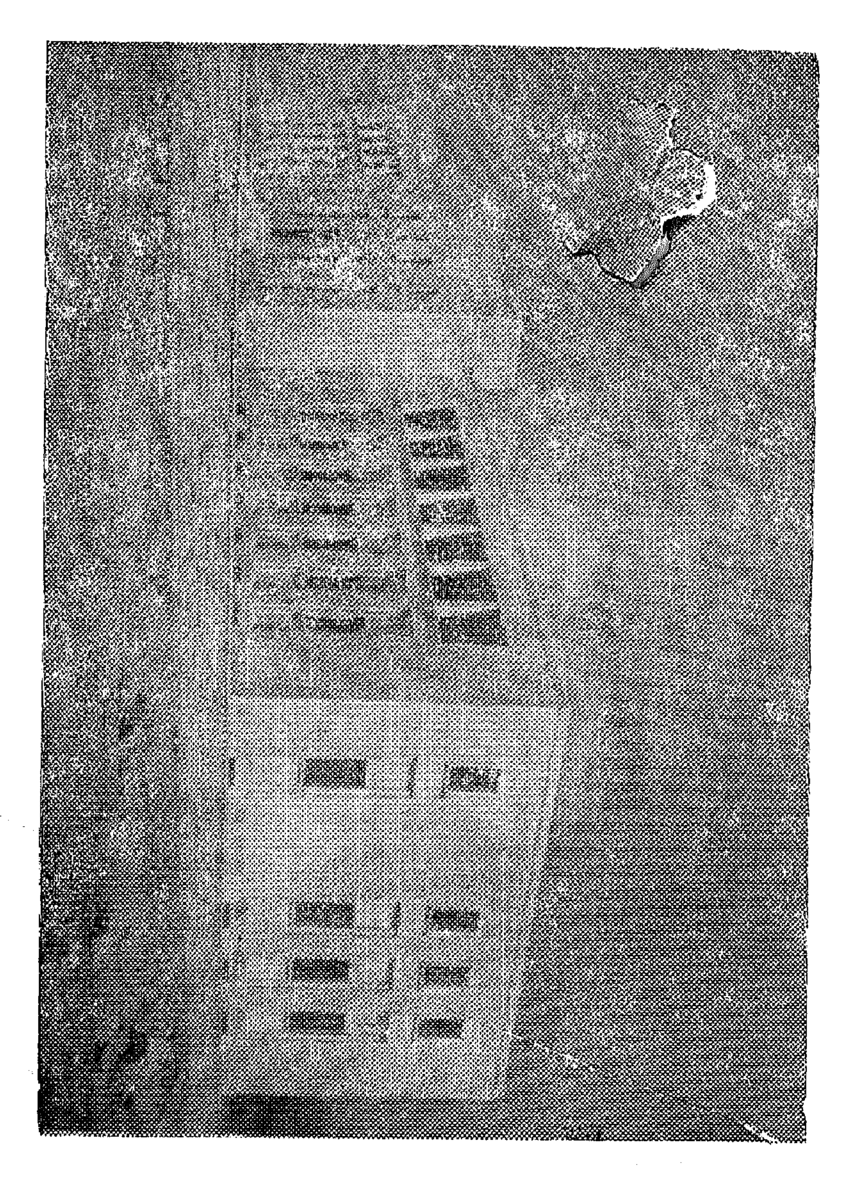
٣ - يستمر العمل من أجل احداث قاعات تمثّل العادات والتقاليد •

متحف تدمر

أنشىء متحف تدمر الجديد سنة ١٩٦١ • (الصورة - ٤٠) • خصصت الطبقة الأرضية للآثار القديمة من جميع العصور ، وخصصت الطبقة العليا لتمثيل حياة البادية الاتنوغرافية والنباتية والحيوانية •

مُثل فى البهو الانسان القديم قبل التاريخ فى حياته اليومية ، يصطاد ويصنع • وعرض الى جانبه أمثلة من الأدوات الصوانية (السيلكس) من العهد الحجرى القديم ، وقد وجدت هذه الأدوات على أثر التنقيبات التى قامت بها بعثة أميركية برئاسة الأستاذ كون •

خصصت القاعة الأولى للكتابات التدمرية التذكارية والدينية والمذابح النذرية • حيث تعدد تاريخ انشاء المعابد والهياكل فى تدمر ، وتذكر المناسبات التى قدمت بها القرابين •



صوره رقم ٦٤
متحف تدمر - منظر عام

خصصت القاعة الثانية لعرض أمثلة من أجزاء الأبنية التدمرية : قوس، اطار باب ؛ ساكف باب .... يستطيع الزائر أن يتأمل دقة الصنعة وجمال الزخارف عن قرب . وعرض فيها مخطط مجسم يمثّل معبد بل .

عرض فى القاعة الثالثة نحائت وتماثيل انسانية وحيوانية وسُرُر جنازية مثّل عليها المتوفى والرهبان .

بدأ في الرواق الغربى الجنوبى(وهو يؤلف القاعة الرابعة) لوحتان هامتان من الفسيفساء وبعض المنحوتات وثلاث خزائن ، عُرض فيها آثار فخارية وزجاجية وأجزاء تماثيل صغيرة وجصية ؛ وجدت كلها فى أثناء التنقيب .

عُرض في الرواق الشرقى الجنوبى (وهو يؤلف القاعة الخامسة) لوحتان من الفسيفساء وثلاث خزائن صُنّف فيها الخزف والحلى والأسلحة .

خصصت القاعة السادسة للشواهد والسرر الجنازية ، عرض فى خزانة الأوانى النذرية من الألباتر .

أما القاعة السابعة فقد عُرض فيها أيضا شواهد وسرير جنازى وتمثال هام يمثل ربة السعادة « تمسك بيدها اليمنى اكليلا وباليسرى مشعل النصر » .

عرض فى القاعة الثامنة جميع اللقى والتماثيل والشواهد والسرر الجنازية التي وجدت فى مدفن " شلَم السلات " .

يستطيع الباحث من دراسة المعروضات أن يتعرف على نمط الحياة التى كان يعيشها التدمريون بين القرن الأول ق.م والقرن الثالث ب.م. يعرف لباسهم وعاداتهم وتقاليدهم وطقوس عبادتهم وكتاباتهم وتفكيرهم وصناعاتهم ؛ ويقف على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

عرض فى الطبقة العليا ما يمثل حياة الانسان في البادية ومشاغله وصناعته البدائية ؛ كما عرض أمثلة عن نباتات البادية وحيواناتها وطيورها .

متحف طرطوس

فى مدينة طرطوس الواقعة على الساحل السورى معبد (كاتدرائية) من العهد الصليبى كانت قلبت الى مسجد ، ثم تهدم المسجد وأهمل .

ارتأت المديرية العامة للآثار والمتاحف آن ترمم بناء المعبد ؛ وتجعله متحفاً لحضارة الساحل . وقد نفذت أعمال الترميم منذ سنة ١٩٥٦ ؛ ودشن المتحف سنة ١٩٦١ .

جمعت الآثار التى وجدت فى الساحل ؛ سواء أكان عن طريق أعمال التنقيب فى أوغاريت (رأس الشمرة) وتل سوكاس وعمريت وتل الكزل ..... أم عن طريق أعمال الحفر غير المقصود والاكتشافات الطارئة أو المصادرات .

صنفت الآثار حسب عصورها وموادها ومواضيعها ؛ وأحدث فرع صغير يمثل عادات وتقاليد المنطقة وصناعاتها اليدوية كصنع شباك الصيد والمراكب وما اليها .....

أهم المعروضات :

١ ـ التوابيت الحجرية : جميعها من العهد الرومانى . وأهمها تابوت رخامى كبير جداً ، وجد فى اللاذقية ، مزين بأكاليل ومشهد طائر مائى يصارع أفعى ؛ وتماثيل الأرباب : ربة النصر ورب الحب....

٢ ـ أجزاء من أبنية : تيجان أعمدة ، أطناف مزينة بزخارف نباتية وحيوانية وانسانية بارزة .... كلها من العهد الرومانى .

٣ ـ تماثيل وأجزاء تماثيل ورؤوس .... أكثرها من الرخام ومن العهد الرومانى . أهمها تمثال الرب « أكتيون » .

٤ ـ الآثار الفخارية : أوان من مختلف الحجوم والأشكال مصنفة من العصور القديمة حتى آخر العهد الرومانى .

٥ - الآثار الزجاجية : مجموعة حسنة من العهدين الهلنستى والرومانى. وجد بعضها فى المنطقة وبعضها الآخر أرسل من متحف دمشق.

٦ - الآثار البرونزية : مجموعة صغيرة من العهد الرومانى .

٧ - من مكتشفات أوغاريت : مجموعات مصنفة حسب موادها تعود الى ما بين القرنين ١٥ - ١٣ ق.م .

٨ - من مكتشفات عمريت : مجموعات من الفخار والبرونز والزجاج وبعض التماثيل تعود الى مابين القرنين ٦ - ٤ ق.م .

٩ - من مكتشفات تل الكزل: مجموعة من الفخار القديم تعود الى ما بين القرنين ١٥ - ١٣ق.م .

١٠- من مكتشفات تل سوكاس: مجموعة من الفخار والبرونز تعود الى الألف الثانى ق.م .

١١ - الآثار العربية الاسلامية : مجموعة هامة أرسلت من متحف دمشق ، فيها فخار وخزف وبعض النقود الذهبية والفضية من العهد الأموى ، والعباسى ؛ والفاطمى والأيوبى والمملوكى والعثمانى .

١٢- مصنوعات الساحل السورى ولا سيما الصناعة البحرية فى أرواد .

متحف السويداء

أسس متحف السويداء منذ سنة ١٩٢٧ لحفظ الآثار المكتشفة فى منطقة جبل الدروز يضم هذا المتحف الصغير عددا كبيرا جدا من التماثيل وأجزاء التماثيل والنحائت والفسيفساء والمذابح وأجزاء الأبنية من تيجان أعمدة وأطناف وما اليها . وهى تعود الى العهدين الرومانى والبيزنطى . نعرضها فيما يلى مصنفة :

١ - الفسيفساء : وجد أكثر هذه الآثار فى مدينة شهبا (فيليبوبوليس) وهى مدينة الامبراطور فيليب العربى (٢٤٤ - ٢٤٩) ، وهى

تدل على تقدم الفن ورقى المجتمع ، كما تدل على الحياة الفكرية والدينيــة فى ذلك العصر :اليكم بعضا منها :

لوح « ديانا » ربة الصيد والغابة فاجأها الصياد « أكتيون » وهى تستحم، فغضبت عليه وحولته الى وعل افترسته كلابه •

لــوح « جى » (ربــة الأرض) ممثلة بامرأة جميلة تقدم محاصيل الفصول الى « باخوس » رب الخمر •

لوح « ولادة فينوس » ربة الجمــال ، وقــد خرجت من صدفــة بحرية على شاطىء جزيرة قبرص بيدها مرآة •

٢ — التماثيل : وهى جميعــاً من حجر البازلت الأسود •

تمثال « ذى الشراة » الرب النبطى وهو يرتدى ثوبا مثنّى وفوقــه دثاراً ينسدل الى قدميه •

تمثال « مينيرفا » ربة الحكمة ، تبدو واقفة وعلى صــدرها الغورغون (وجه ميدوز ذات الشعر الممثل بالأفاعى لرد عين الحسود) •

تماثيل أثينا « ربات النصر » وهى ترتدى المــلابس الرقيقــة الطائرة مع النسيم •

٣ — أجزاء الأبنية : جميعها منحوتة من الحجر البازالتى الأسود • أهمها :

أ — كتابات نبطيــة نقشت على ألواح أو أسكفة أبواب أو مذابح نذرية •

ب — ساكف عظيم لباب كبير يبدو عليه بالنحت البـارز الرب « بعل شــمين » بيده الحربة وبجانبــه أســد ، وعلى يســاره « فينوس » ربة الجمال ، فى صدرها التفاحة (رمز الجمال) ؛ يرافقها « ايروس » رب الحب • وتبدو على يمينه ؛ «منيرفا» ربة الحكمــة ، وعلى كتفها نسر (رمز النصر) •

متحف بصرى الشــام

فى برج من أبراج القلعة العربية(من العهد الأيوبى) المحيطة بمدرج بصرى (من العهد الرومانى) أحــدث متحف التقاليد الشعبية (١) ودشــن فى ١٩٦٧/٣/١٠ وسيحدث متحف أثرى فى برج آخر • واليكم محتويات متحف التقاليد الشعبية الحورانية :

١ ـ البيت الريفى :

وهو مؤلف من غرفة ومطبخ • يشاهد في الغرفــة المفروشــة أرضــها بالتبن ، الفلاح وهــو يصلح محــراثه ويهيئه للعمل • امرأة عجوز تحمــل على ظهــرها الشيخ تنقله الى المطبخ • امرأة مضطجعة الى جانب وليدها وهو فى مهــده ، وطفل يلهــو فى الجــانب الآخر •

يرى فى الغرفة خــوابى المؤونة وزير المــاء وقن الصيصــان والمــائدة والمنقل وكواير (٢) القمح ، كما يرى أدوات الزراعة معلقــة على الجــدران ومنتشرة هنا وهناك •

في المطبــــخ امرأة تخضّ اللبن لاســتحصال الزبدة ، وأخــرى تخبز الخبز ؛ وقد رفعت القدور على المواقد •

٢ ـ المضــــافة :

فرشت بأثاث ريفى بسيط وجميل: أرائك ووسائد غطيت بالبسط الملونة الضيوف يجلسون يدخنون النرجيلة ،وصاحب الدار يهيىء القهــوة أمامهــم ليقدمها لهم • ويبدو المنسف الكبير فى وسط المضافة •

٣ ـ المعرض الريفى :

عرضت محاصيل الريف وصــور ضوائية تمثل الفلاح عندما كان سابقاً يعتمــد على الأدوات اليدوية ، وكيف أصبح يعتمــد على الآلات الحديثــة : وعرضت أيضا جداول احصائية تشــير الى تطور الريف • يرى فى جانب آخر

---

١ ـ أشرف على تنظيمـــــه من الناحية الفنية الأستاذ شفيق الامام •

٢ ـ جمع كــوارة وهى مستودع صغير مصنوع من الطين المجفف •

الحيوانات والطيور المعروفة فى المنطقة ؛ وأمثلة من الفواكه التى أخذت تنتجها محافظة حوران .

٤ — الروح التقدمية الحديثة فى حوران:

مثلت فى غرفة صغيرة عرض فيها أشغال الابرة والسنارة وأنواع من الألبسة اللطيفة . مثل فيها طفلان : أحدهما يكتب ويحسب أمام السبورة ، وآخر يدرس ويلهو بألعاب تنمى الفكر كألعاب الميكانو .

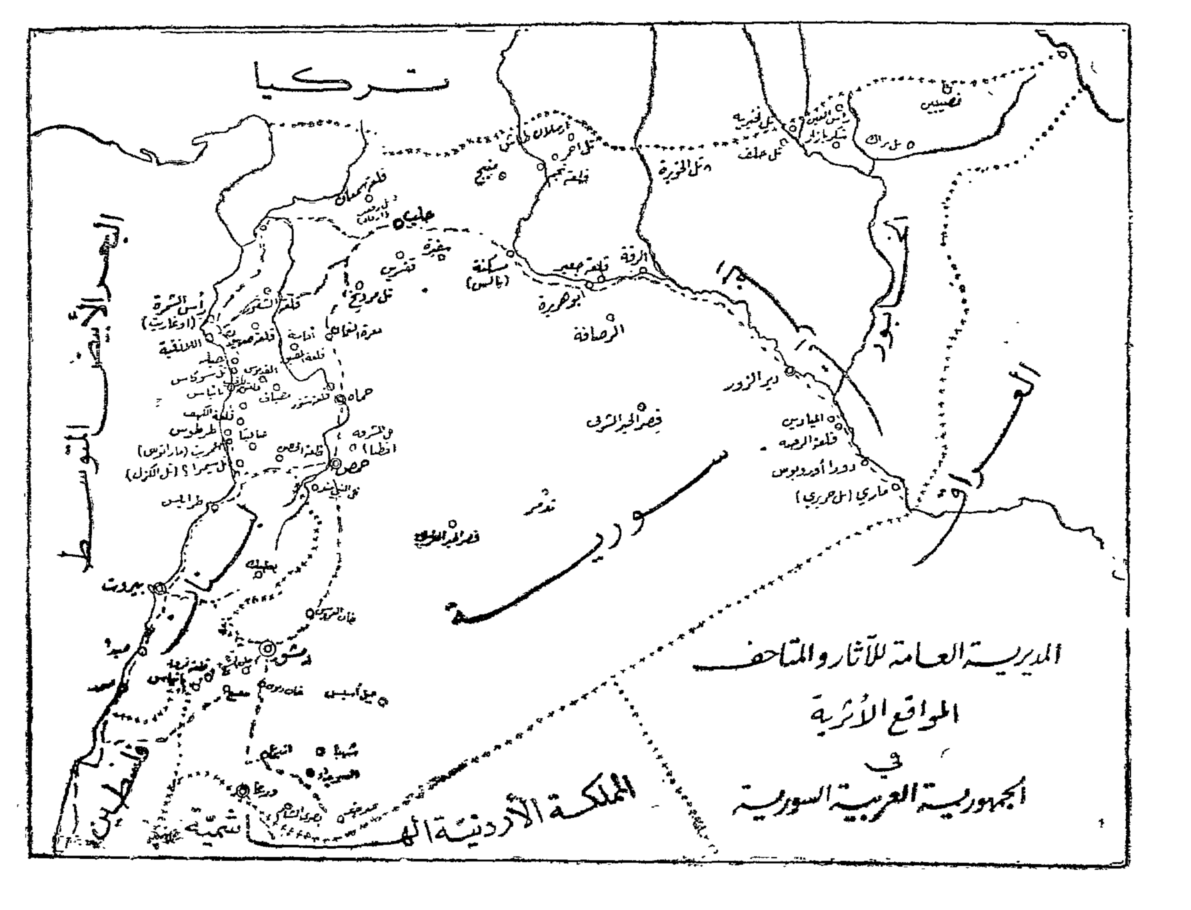
٥ — غرفة الجلوس

غرفة ريفية جميلة زينت جدرانها بدهانات ملونة زاهية فرشت بالأرائك والوسائد والبسط . يرى فى الجانب الأيمن صندوق مفصص ومطوى (يوك) حفظت فيه الفرش واللحف . ويشاهد ابريق ماء مع طشت ومصباح على حاملة مخصصة ومنقل نار فى الوسط وأطباق القش . زينت الجدران بمرآة مفصصة ورفوف ازدانت بالصحون الخزفية والأطباق النحاسية . علق على الجدار الأوسط نماذج من الأسلحة البيضاء (السيف ، الخنجر ؛ السكين ...) ونماذج من الأسلحة النارية القديمة (قرابينات وطبنجات). عرض أيضا بعض أدوات الزينة كالمكاحل تتوسطها مرآة صغيرة محفوظة بقوس من الريش (فى حوران تتكحل النساء والرجال على السواء) .

٦ — معرض المصنوعات :

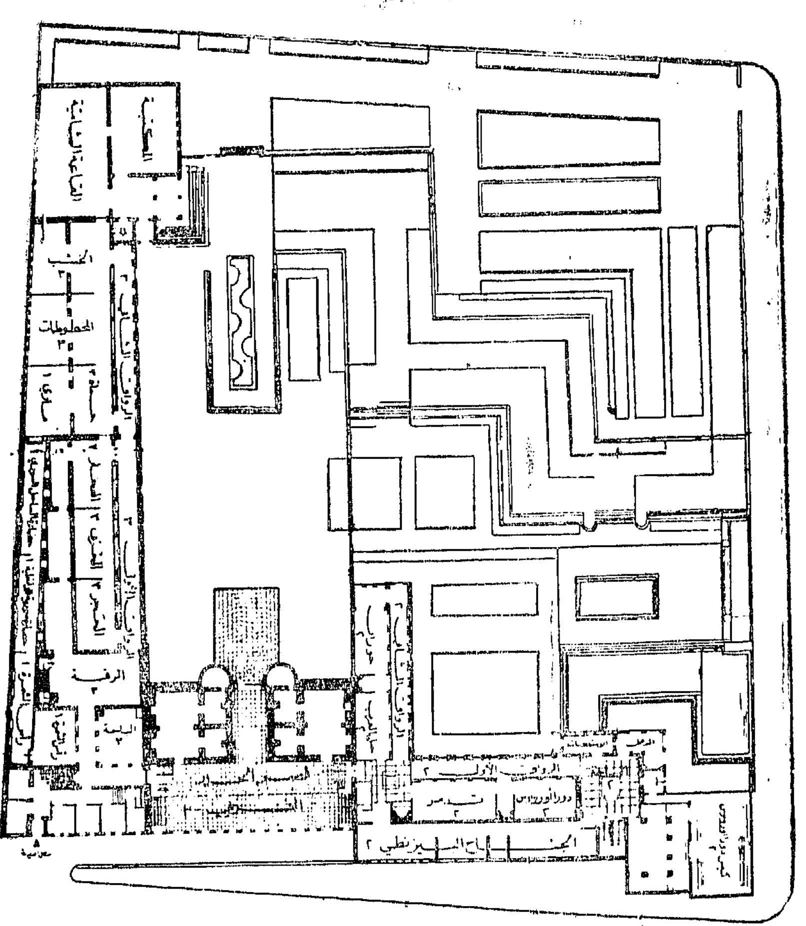
عرض بعض مظاهر الانتاج الصناعى الريفى اليدوى : بسط ، سجاد ؛ ألبسة النساء ، ألبسة الرجال ، حلى فضية تناسب أذواق الريفيات (عقد ؛ أساور خلاخيل ، أقراط ...) ، أطباق القش ...

نواة القسم الأثرى : جمعت اللقى من الأحجار المنحوتة والمكتوبة (من الحجر البازلتى) وعرضت فى الهواء الطلق أمام استراحة القلعة (وقد أحدثت فى أحد أبراج القلعة) . سبعد أحد الأبراج الأخرى لتحفظ فيه آثار المنطقة ، وهى وافرة جدا فى حوران ، يعود أكثرها الى العهدين الرومانى والبيزنطى . أما الآثار العربية فان أكثرها من الكتابات المنزوعة من الأبنية الأثرية .

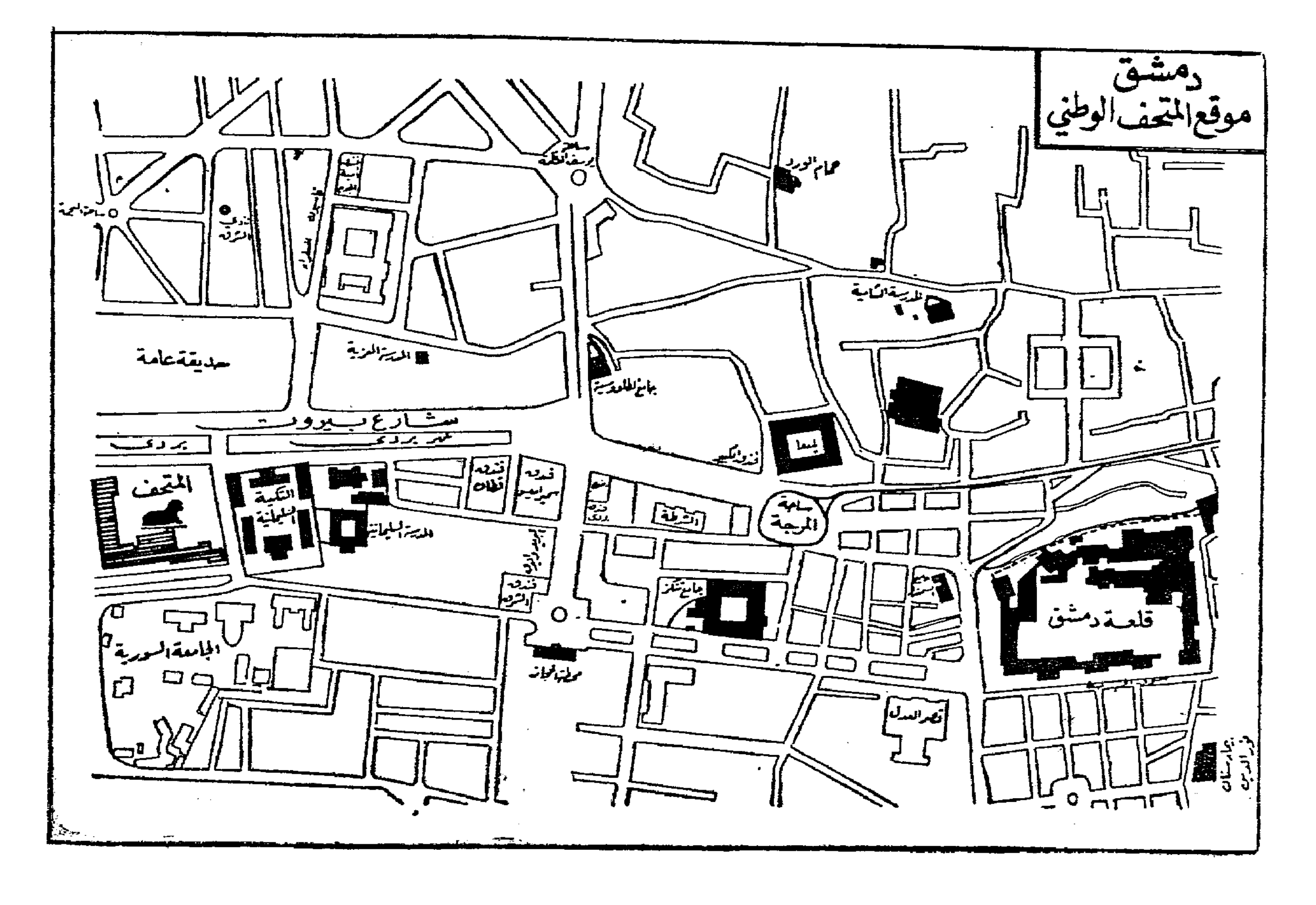


خريطة (١) المواقع الأثرية في الجمهورية العربية السورية

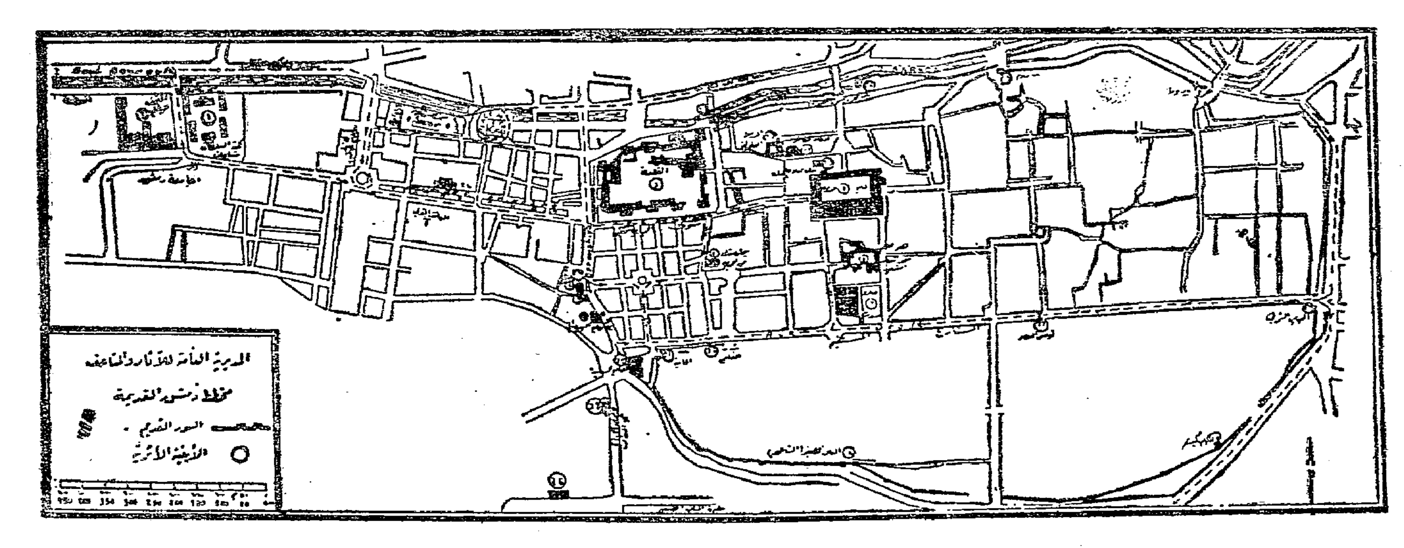
المتحف الوطني بدمشق



خريطة (٢) المتحف الوطنى بدمشق

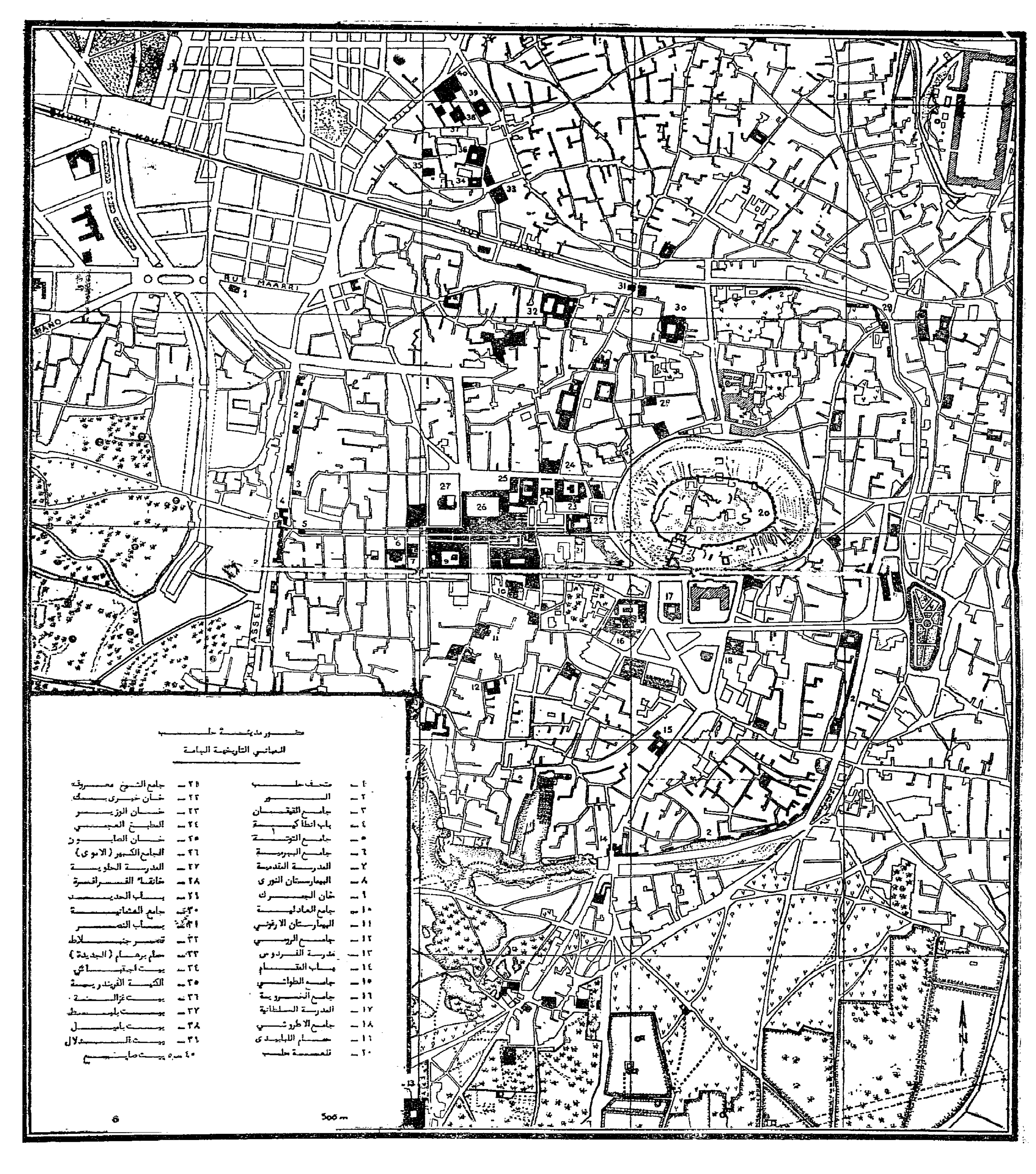


خريطة (٣) موقع المتحف الوطني بدمشق

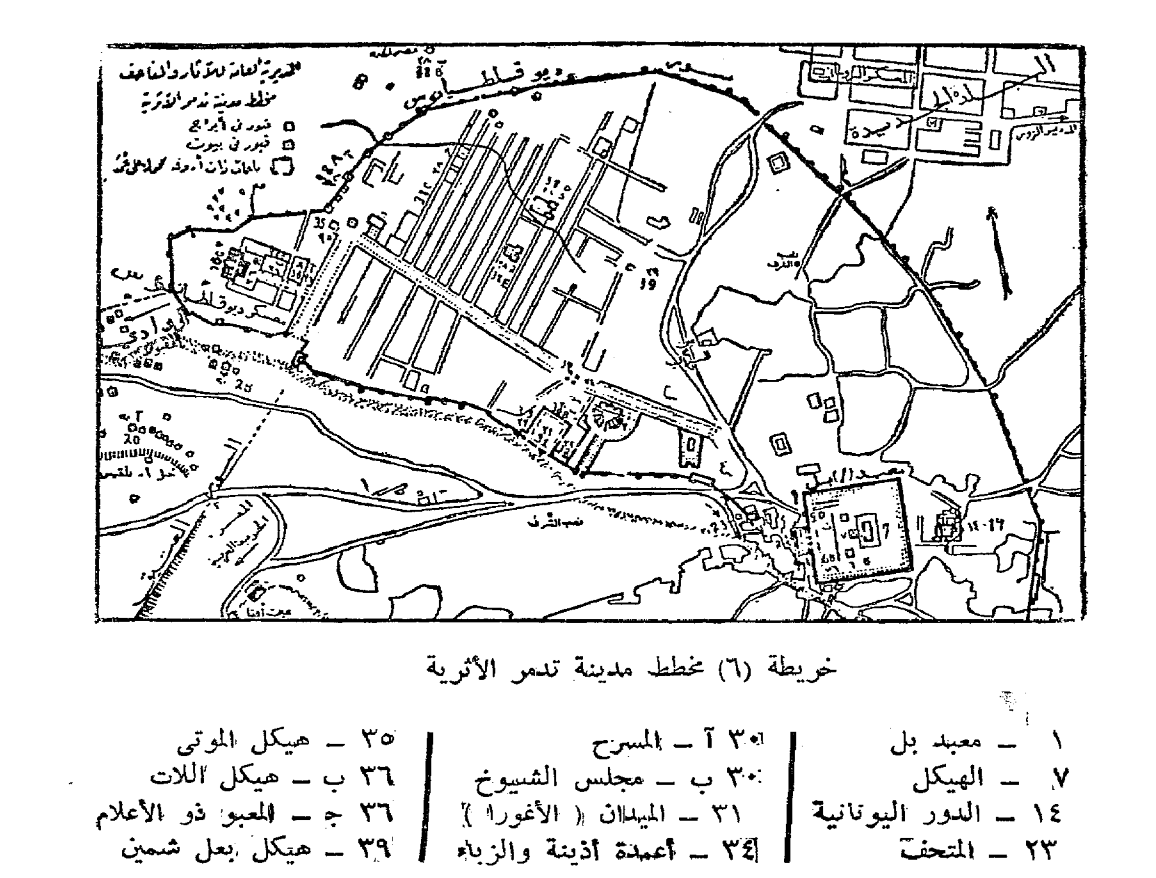


خريطة (٤) مخطط مدينة دمشق القديمة

مخطط مدينة دمشق القديمة : ويلاحظ فيه أهم الأبنية الأثرية والسور القديم منذ عهد نور الدين محمود وبعض المؤسسات الحديثة التى تفيد السائح وهى مرقومة كما يلى : (١) المتحف الوطنى (٢) تكية السلطان سليمان (٣) القلعة (٤) جامع الدرويشية (٥) تربة درويش باشا (٦) البيمارستان النورى (٧) خان أسعد باشا (٨) قصر العظم (٩) الجامع الأموى (١٠) مدفن صلاح الدين (١١) المدرسة الظاهرية (١٢) المدرسة العادلية (١٣) باب الفرج (١٤) باب الفراديس (١٥) باب السلام (١٦) باب توما (١٧) الباب الشرقى (١٨) باب كيسان ومدخل كنيسة القديس بولس (١٩) الباب الصغير (٢٠) جامع السنانية (٢١) باب الجابية (٢٢) مئذنة القلعى (٢٣) قوس النصر فى الشارع المستقيم • (٢٥) جامع السيبائية (٢٦) جامع الصابونية (٢٧) المدرسة الأفريدونية •



خريطة (٥) مصور مدينة حلب ـ المبانى التاريخية الهامة



خريطة (٦) مخطط مدينة تدمر الأثرية

١ ــ معبد بل
٧ ــ الهيكل
١٤ ــ الدور اليونانية
٢٣ ــ المتحف

٣٠ آ ــ المسرح
٣٠ ب ــ مجلس الشيوخ
٣١ ــ الميدان (الأغورا)
٣٤ ــ أعمدة أذينة والزباء

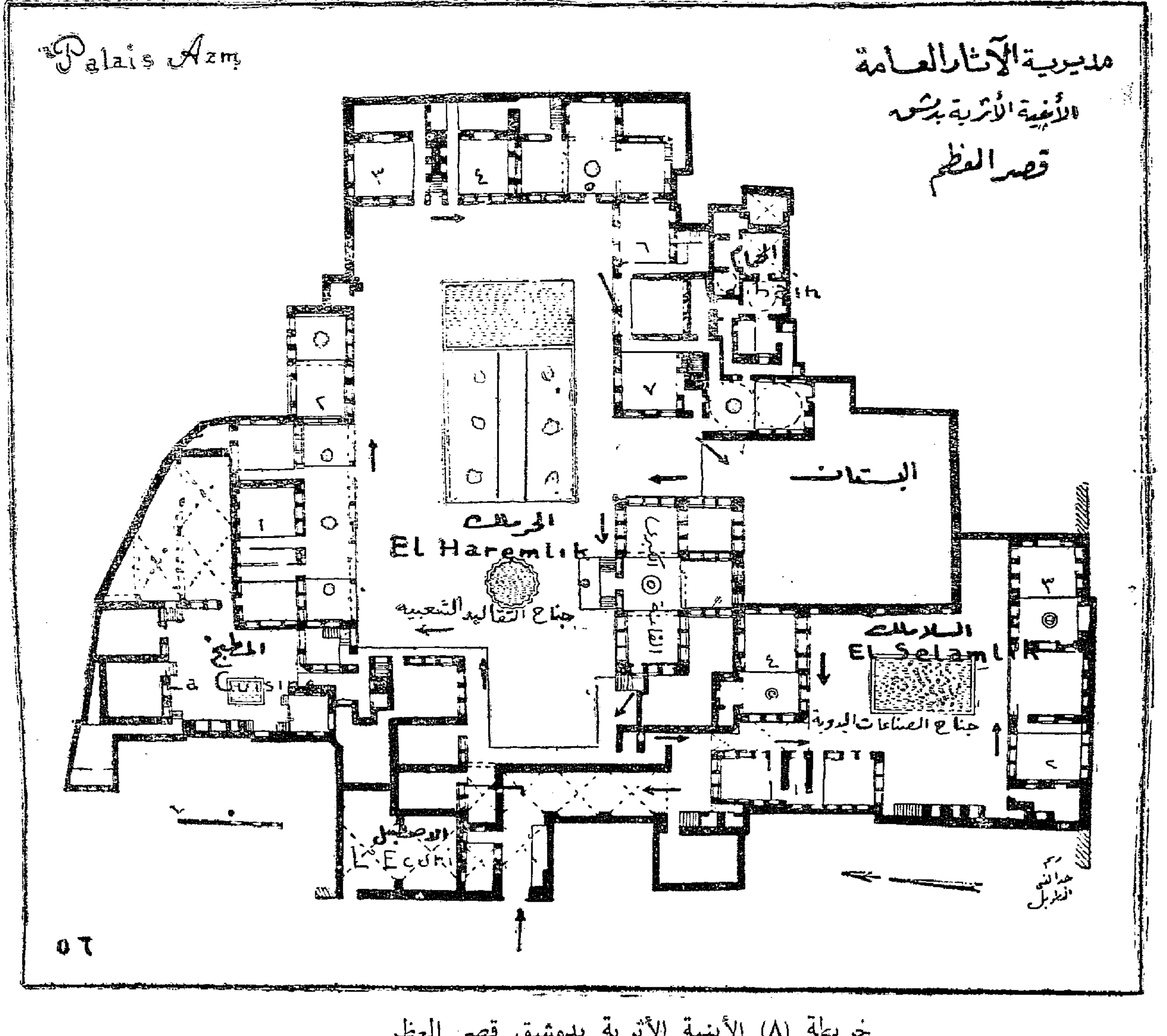
٣٥ ــ هيكل الموتى
٣٦ ب ــ هيكل اللات
٣٦ ج ــ المعبد ذو الأعلام
٣٩ ــ هيكل بعل شمين

قلعة الحصن

المقياس ١ : ١٠٠٠

0 5 10 15 20 25 m

خريطة (٧) مخطط لقلعة الحصن



خريطة (٨) الأبنية الأثرية بدمشق قصر العظم

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٢/٤١٥٢
مطابع مدكور وأولاده بالقاهرة